النهج الأسمى

في شرح أسماء الله الحسنى

تأليف

محمد الحمود النجدي

المجلد الأول

القسم الأول

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إن الله جل ذكره شرّف أهل العلم الشرعي على غيرهم فقال عز

من قائل ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

وبين أنه يرفعهم درجات فقال سبحانه ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

وأمر رسوله ﷺ بأن يسأله الزيادة في العلم لأنه زيادة في درجاته، قال سبحانه ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

وأشد الناس خشية لله عز وجل هم العلماء، قال سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

ولا ريب أن الله لا يعني في هذه الآية علماء الدنيا[1] كالحساب والهندسة والطب والصناعة والزراعة وغيرها، فإن أكثر هؤلاء لا يؤمن بالله فضلاً عن أن يخافه ويتقيه[2].

وإنما المراد هم أهل العلم الشرعي، العلم الذي جاءت به الرسل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، العلم الذي حواه كتاب الله العزيز.

وأشرف العلوم الشرعية هو العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته

---

(١) وقد وصف الله أهل الكفر والشرك والضلال بالجهل وإن كانوا علي علم دنيوي رفيع فقال ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ [البقرة: ١١٨] وقال في غير ما آية: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ»، فوصف أكثر أهل الأرض بالجهل على ما كانوا عليه من عمارة للدنيا ومهارة في الصناعة والزراعة ... إلخ.

(٢) وأما المسلم الذي يتعلم من العلوم الدنيوية علمًا يقوي به من أمر أمته على أعدائها، أو هي في حاجة إليه لتقوية نفسها عسكريًا فهو مأجور لقوله تعالي ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

وكذا من تعلم صنعة يأكل منها ويكف بها وجهه عن الناس.

العلى لتعلقها بأشرف معلوم وهو الله سبحانه وتعالى .

والقرآن الكريم لا تكاد تخلو آية من آياته من صفة لله سبحانه أو اسم من أسمائه الحسنى .

قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى : والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله ، أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة ، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته ، أعظم قدرًا من آيات المعاد ، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بن كعب : أتدري أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . فضرب بيده في صدره ، وقال : « **ليهنك العلم أبا المنذر** »[(١)] .

وأفضل سورةٍ سورةُ أم القرآن ، كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد ابن المعلَّى في الصحيح ، قال له النبي ﷺ إنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته [(٢)] وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد .

---

(١) رواه مسلم (١/٥٥٦)

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤ ، ٤٦٤٧ ، ٥٠٠٦) وليس فيه قوله: «إنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن» وإنما وقع هذا في رواية أخرى ولصحابي آخر هو أبي بن كعب أخرجها الترمذي (٣٠٣٦) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله خرج على أبي . . وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/٣٥٧، ٤١٣) ، (٥/١١٤)، والنسائي (٢/١٣٩)، وصححه ابن خزيمة (٥٠٠، ٥٠١)، والحاكم (٢/٢٥٧-٢٥٨) وقال : حديث صحيح، على شرط مسلم وإسناده صحيح، وأخرجه الدارمي (٢/٤٤٦) من الطريق السابق ولم يذكر أبيًا.

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ من غير وجه أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن (١).

وثبت في الصحيح أنه بشّر الذي كان يقرأها ويقول: إني لأحبها لأنها صفة الرحمن بأن الله يحبه(٢) فبين أن الله يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى وهذا باب واسع اهـ (٣).

والعلم بأسماء الله جل ثناؤه وصفاته ومعرفة معانيها يحدث خشية ورهبة في قلب العبد، فمن عرف أن الله بكل شيء عليم، وأنه لا تخفى عليه خافية من أعمال العباد ويؤمن بذلك أشد خوفًا ممن لا يعلم ذلك، ومن يعلم أن الله لا يعجزه شيء وهو علي كل شيء قدير أتقي لله ممن لا يعلم، وهكذا في سائر الأسماء والصفات، ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في الآية: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك وأيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه اهـ كلامه (٤).

فالعلم بالله سبحانه إذًا يدعو إلى محبته وخشيته ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه، وفي هذا فوز العبد وسعادته في الدارين.

ولا يمكن معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣، ٦٦٤٣، ٧٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٨١١) عن أبي الدرداء وبرقم (٨١٢) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٥) ومسلم (٨١٣) عن عائشة.

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣١٠-٣١٢).

(٤) «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢٢/ ٨٧).

وفهم معانيها .

٢ - والعلم بالله تعالى هو أحد أركان الإيمان بل هو أصلها، وما بعدها تبع لها . وليس الإيمان مجرد قول القائل (آمنت بالله) من غير علم بالله ! بل إن حقيقة الإيمان أن يعرفَ الربَّ الذي يؤمن به ، بل ويجب عليه أن يبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته حتي يبلغ درجة اليقين ، وبحسب علم العبد بربه تكون درجة إيمانه ، فكلما ازداد معرفةً بربه ازداد إيمانه ، والطريق الشرعي للعلم بالله وأسمائه وصفاته هو تدبر القرآن والسنة وفهم ما جاء فيهما .

٣ - ثم إنَّ الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه ، قال تعالي : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] . ولا يمكن أن يعبدوه دون أن يعرفوه ، فلابد من معرفتهم له سبحانه ليُحققوا الغاية المطلوبة منهم والحكمة من خلقهم .

والاشتغال بمعرفته سبحانه اشتغال العبد بما خلق له ، وتركه وتضييعه إهمالٌ لما خلق له ، وقبيحٌ بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة ، وفضله عليه عظيم متوال من كلِّ وجه ، أن يكون جاهلاً بربه معرضًا عن معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته .

٤ - والعالم بالله تعالى حقيقة يستدلُّ بما عَلِمَ من صفاته وأفعاله على ما يفعله وعلى ما يشرعه من الأحكام ، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته ، فأفعاله دائرةٌ بين العدل والفضل والحكمة كذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام إلا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله ، فأخباره كلها حقٌّ وصدق ، وأوامره ونواهيه عدلٌ وحكمة ، وهذا العلم أعظم وأشهر من أن يُنَبَّه عليه لوضوحه .

وكيف يَصِحُّ في الأذْهانِ شيءٌ إذ احتاجَ النَّهارُ إلي دَليل [1]

وقال أبو القاسم التيمي الأصبهاني في بيان أهمية معرفة الأسماء الحسنى : قال بعض العلماء : أولُ فرضٍ فرضه الله علي خلقه معرفته، فإذا عرَفه الناس عبدوه ، قال الله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها ، فيعظموا الله حقَّ عظمته .

قال : ولو أراد رجلٌ أنَ يتزوج إلى رجل ، أو يُزوِّجه أو يُعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته ، واسم أبيه وجده ،وسأل عن صغير أمره وكبيره ، فالله الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف من سَخْطَته أولى أن نعرف أسماءه ، ونعرف تفسيرها اهـ[2].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (١/ ١٠) بتصرف.

(٢) « الحجة في المحجة » (ق١٣أ) .

وأبو القاسم هو الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي التيمي ثم الطلحي الأصبهاني الملقب بـ « قوَام السنة » .

مولده سنة (٤٥٧ هـ) سمع أبا عمرو عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن منده وخلقًا ، وحدث عنه : أبو سعد السمعاني وأبو طاهر السِّلَفِي وأبو القاسم بن عساكر وأبو موسى المديني وغيرهم.

قال السمعاني : أبو القاسم هو أستاذي في الحديث وعنه أخذت هذا القدر ، وهو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب ، عارفٌ بالمتون والأسانيد ، كنت إذا سألته عن المشكلات أجاب في الحال . مات سنة (٥٣٥) هـ .

من كتبه «الترغيب والترهيب» و « الحجة في المحجة» ويسمى بـ «السنة» و «دلائل النبوة »، وله في التفسير أربعة كتب ، و «سير السلف» مجلد ضخم ، و «المغازي» مجلد وغيرها . انظر ترجمته : «الأنساب» (٣/٣٦٨ - ٣٦٩)، «البداية والنهاية» (١٢/٢١٧) «سر أعلام النبلاء» (٢٠/ ٨٠ -٨٨).

فهذا كلّه كان دافعًا لي أن أكتب بحثًا ميسرًا في الأسماء الحسنى يبحث في معانيها اللغوية وفي حق ربنا تبارك وتعالى ، متحريًا في ذلك المنهج الذي سار عليه أئمة أهل السنة والجماعة ، منهج الفرقة الناجية ، متوخيًا البساطة في الطرح ، وأن أشارك بجهدي المتواضع من سبقني في الكتابة في هذا الموضوع المهم .

* * *

المصنفات في الأسماء الحسنى :

أفرد بعض الأئمة السابقين الأسماء الحسنى بمصنفات خاصة ، نذكر أشهرها :

١- «تفسير أسماء الله الحسنى» لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج ، طبع بتحقيق أحمد الدقاق - دار المأمون للتراث .

٢- «شرح أسماء الله الحسنى» لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري [١].

٣- «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي - مطبوع بمصر .

٤- «الأمد الأقصي» لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي [٢].

٥- «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي صاحب التفسير[٣].

٦- «كتاب الأسماء والصفات» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري - مطبوع ببيروت.

٧- «شرح أسماء الله الحسنى» وهو الكتاب المسمى «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات» لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي - مطبوع بمصر .

---

(١) مخطوط في (٧٧ ورقة) - (شستربتي - ٣٦١٣) وعندي صورة عنها .

(٢) مخطوط .

(٣) مخطوط يوجد منه الجزء الثاني والثالث ، وعندي صورة عنها .

٨- «التحبير في الأسماء الحسنىٰ» لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي [١].

٩- «شرح أسماء الله الحسنىٰ» للإمام المحقق شمس الدين محمد ابن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية [٢].

١٠- المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ» لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديرني[٣] .

١١- أعلام الحسنىٰ بمعاني الأسماء الحسنىٰ» لجلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن الكمال الحضيري السيوطي .

وله أيضًا « أقوال العلماء في الاسم الأعظم » ، و « الدر المنظم في الاسم الأعظم »[٤].

منهج الكتاب :

وقد قسمت الكتاب إلى قسمين :

القسم الأول : الأسماء الواردة في القرآن العظيم.

القسم الثاني : الأسماء الواردة في السنة المطهرة الثابتة.

وقد سرت في القسم الأول على النحو التالي :

أولاً : ذكر المعنىٰ اللغوي للاسم :

وذلك بالرجوع إلي معاجم اللغة العربية المعتمدة كـ «لسان العرب» لابن منظور، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير و «غريب

(١) ذكره ابن كثير في تاريخه (١٢/ ١١٤) .

(٢) ذكره ابن رجب في « ذيل طبقات الحنابلة » (٢/ ٤٥٠)، والداودي (٢/ ٩٦)، ولم يشر إلىٰ وجوده مخطوطًا أحد ممن ترجم لابن القيم رحمه الله.

(٣) مخطوط ومؤلفه من المتصوفة .

(٤) مخطوطة كلها .

الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام ، و«المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني.

بالإضافة إلى كتب شروح الأسماء الحسنى - وسيأتي ذكرها - فإنها تتصدر لبيان المعنى اللغوي أيضًا .

ثانيًا : بيان ورود الاسم في القرآن الكريم :

وأذكر فيه عدد الآيات التي ورد فيها ذكر الاسم ، واضّعا بعضها أمام القاريء كأمثلة ، مع مراعاة تنويع الآيات لبيان اقتران الاسم بغيره من الأسماء الحسنى الأخري ، وتعدد سياق الآيات.

ثالثًا : بحث معني الاسم في حق الله تعالىٰ :

وذلك عن طريق :

أ - الاطلاع على تفسير الآيات التي ذُكرت الاسماء الحسنى فيها ، في كتب التفاسير المختلفة مثل :

١ - «جامع البيان في تفسير القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .

٢ - «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي.

٣ - «تفسير القرآن العظيم» لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .

٤ - «فتح القدير» لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني .

٥ - «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي .

٦- «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» لمحمد الأمين بن محمد المختار الجَكَني الشنقيطي .

٧- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» لعبد الرحمن ابن ناصر السعدي .

٨- «التفسير الكبير» لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي .

٩- «تفسير النسفي» لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي .

١٠- «الكشاف» لمحمود بن عمر الزمخشري [١].

ب - الرجوع إلى الكتب التي شرحت الأسماء الحسنى مثل :

١- «تفسير أسماء الله الحسنى» لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج .

---

(١) قال ابن خلدون : «ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير يعتي معرفة اللغة والإعراب والبلاغة كتاب «الكشاف» للزمخشري من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد ، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة ، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة ، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكامنه ، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة ، وإذا كان الناظر فيه واقفًا مع ذلك على المذاهب السنية ، محسنًا للحجاج عنها ، فلا جرم أنه مأمون غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ، ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل توريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري وتتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيّفها ، ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية علي ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما يشاء مع امتاعه في سائر فنون البلاغة ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾» اهـ من مقدمته (ص ٣٤٩).

لذلك لا يجوز لمن لم يدرس العقيدة السلفية الصحيحة أن يقرأ في هذا الكتاب وأمثاله ، خشية أن يعتقد ما جاء فيه من الباطل الذي قد لا يتنبه له .

وكذا يجب الحذر من بعض التفاسير التي يقع فيها التأويل لبعض الأسماء والصفات ، أو تذكر فيها أقاويل أهل التأويل دون ردها وبيان وجه الصواب ، كتفسير القرطبي والنسفي والرازي والشوكاني والألوسي .

٢- «شأن الدعـاء» لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ.

٣- «المنهاج في شعب الإيمان» لأبي عبد الله الحسين بن محمد الحليمي .

٤- «شرح أسماء الله الحسنى» لفخر الدين محمد بن عمر الرازي.

٥- «الاعتقاد والهداية إلي سبيل الرشاد» للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي .

٦- كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي أيضًا .

جـ - الرجوع إلى كتب اللغة المذكورة آنفًا ، لاحتوائها على شروح للأسماء الحسنى .

د - الاستعانة ببعض الكتب التي يقع فيها شروح لبعض الأسماء مثـل :

١- «العقيدة الطحاوية» لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي وشرحها لابن أبي العز الحنفي .

٢- «مدارج السالكين» لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.

٣- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

٤- «تيسير العزيز الحميد في شـرح كتـاب التوحيد» لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

وأختار من ذلك كله من العبارات أسهلها وأقربها للفهم وأتجنب التكرار قدر المستطاع.

رابعًا : بيان آثار الإيمان بالأسماء الحسنى :

وهو أصعب ما في هذا البحث ، لأنه يتطلب تتبع الاسم في الآيات الكثيرة ، والنظر فيها ، والتدبر لمعانيها ، والربط بين الخبر الذي تتحدث عنه الآية أو الحكم أو الموعظة والتذكير ، وبين الاسم الذي ختمت به الآية أو ذكر في أثنائها ، لمعرفة أثر الإيمان به.

واستعنت في ذلك بتفاسير الأئمة من السلف رحمهم الله تعالى وجزاهم عنا خير الجزاء ، فهم أتقى وأنقى ، وأعلم وأفهم ، وأقدر على الاستنباط من الآيات ومعرفة أسرارها.

وأين علمنا من علمهم وجهدنا من جهدهم ، هذا مع كثرة ذنوبنا وتقواهم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

ولا أدعي الإحاطة في بحثي هذا ، فإن هذا لا يمكن ادعاءه هنا. وذلك أن إحصاء الأسماء الحسنى ، ومعرفة معانيها ودلالاتها ، وآثار الإيمان بها شيء عظيم جدًا ، بل هو أصل للعلم بكل المعلومات .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم ، فإن المعلومات سواه -أي سوى الله سبحانه- إما أن تكون خلقًا له تعالى أو أمرًا ، إما علمٌ بما كوّنه أو علمٌ بما شرعه ، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه ، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه ، فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان ، إذ مصدره أسمائه الحسنى ، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث ولم يخلق خلقه باطلاً ولا سدى ولا عبثًا .

وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده ، فوجود من سواه تابع لوجوده، تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه.

فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسمائه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم ، لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها اهـ[1].

خامسًا : وأخيراً تخريج الأحاديث التي ترد في البحث :

فإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما، وإن كانت في خارج الصحيحين خرجتها قدر المستطاع مع الكلام عليها حسب القواعد الحديثية .

وأسأل الله العليّ القدير أن أكون قد وفقت للصواب في كتابة هذا الجزء من الكتاب ، وأن ييسر لي كتابة باقيه .

اللهم اجعل ما نخطه بأيدينا حجة لنا لا علينا يوم نلقاك .

اللهم رجح به ميزاننا في يوم لا وزن فيه للدينار والدرهم وإنما هي الحسنات والسيئات إنك سميع قريب مجيب.

وصلِّ اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً .

وكتبه

محمد بن حمد الحمود

الكويت - في يوم الثلاثاء السابع

من شهر ربيع الأول سنة ست وأربع

مائة وألف من الهجرة النبوية المشرفة[2].

***

(١) انظر كتابه القيم: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٣) .

(٢) وتمَّ إعادة النظر فيه وتنقيحه والزيادة عليه في سنة (١٤١٢ هـ) **ثم في هذه السنة (١٤١٧هـ)** .

مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنىٰ

مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنىٰ هو مذهبهم في الصفات عمومًا، وذلك أن أسماء الله سبحانه وتعالىٰ دالةٌ علىٰ صفاته كماله، فهي مشتقة من الصفات ، فهي أسماء وهي أوصاف ، وبذلك كانت حسنىٰ.

والذي درج عليه سلف الأمة ومن تابعهم بإحسان واتفقوا عليه هو : الإقرار والتصديق لآيات الأسماء والصفات وأحاديثها ، وإمرارها كما جاءت وإثباتها ، دون تشبيه أو تعطيل أو تحريف أو تأويل .

وإليك بعض النقول عنهم التي تثبت ذلك :

١- قال أحمد الدورقي : سمعت وكيعًا يقول : نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف كذا ، ولا لم كذا ، يعني مثل حديث «**يحمل السماوات علىٰ إصبع**» و«**قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن**»[1].

٢- عن يونس بن عبد الأعلىٰ : سمعت الشافعي يقول وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به فقال :

«لله تعالىٰ أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها ، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روىٰ عنه العدول.

فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر ، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل ، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية

(١) إسناده صحيح . أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب «السنة» (ص ٥٥) حدثني أحمد بن إبراهيم وهو ابن كثير الدورقي وهو ثقة حافظ عن وكيع به.

والفكر ، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها .

وتثبت هذه الصفات وينفى عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] اهـ [١].

٣- وقال في «الرسالة» : ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه [٢].

٤- وعن محمد بن إسماعيل الترمذي : سمعت نعيم بن حماد يقول :

« من شبه الله بخلقه فقد كفر . ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر . وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهًا » ا هـ [٣].

وقال الترمذي بعد روايته لحديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: « **إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربِّيها لأحدِكم كما يربي أحدُكم مُهرَه** .. » الحديث.

وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يُشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، قالوا : قد ثبتت الروايات [٤] في هذا ويُؤْمَن بها ولا يُتوهم ولا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي» عن يونس بن عبد الأعلى به وإسناده صحيح. كما في «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم (ص ٥٩) وأورده الذهبي في « العلو للعلي الغفار» (ص١٢١) الجملة الأولى منه فقط.

(٢)« الرسالة» (ص٦) .

(٣) أخرجه الذهبي في « العلو للعلي الغفار » (ص١٢٦) وصححه ووافقه محقق الكتاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني «مختصر العلو» (ص١٨٤).

(٤) تنبيه : وقع في الترمذي الطبعة المصورة عن طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة : «قد تثبت الروايات في هذا . . .» والصحيح : قد ثبتت الروايات ، وبين العبارتين فرق كبير كما هو ظاهر .

يقال كيف .

هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث : أمرُّوها بلا « كيف » ، وهكذا قول أهلِ العلم من أهل السنة والجماعة [(١)].

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه .

وقد ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات وفسَّروها على غير ما فسَّر أهل العلم، وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده . وقالوا : إنما معنى اليد القوة .

وقال إسحاق بن إبراهيم (هو ابن راهويه) : إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيدٍ أو مثلُ يدٍ ، أو سمعٌ كسمعٍ أو مثل سمعٍ . فإذا قال : سمعٌ كسمعٍ أو مثلُ سمعٍ فهذا تشبيه ، وأما إذا قال كما قال الله يدٌ وسمعٌ وبصرٌ ولا يقول « كيف » ولا يقول مثلُ سمعٍ ولا كسمعٍ فهذا لا يكون تشبيهًا وهو كما قال الله تبارك في كتابه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] اهـ [(٢)].

وهذا ما ذهب إليه أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة وترك ما كان عليه من علم الكلام المبتدع المخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ [(٣)].

قال رحمه الله في كتابه: «اختلاف المصلين ومقالات المسلمين» بعد أن ذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم :

(١) قولهم (أمرّوها كما جاءت) ردٌّ على المعطلة وقولهم (بلا كيف) ردٌّ على الممثلة .

(٢) الترمذي الزكاة (٦٥٩) وحديث أبي هريرة مخرج في الصحيحين .

(٣) أقول : فيا ليت الذين ينتسبون إليه اليوم يرجعون إلى الحق والصواب وترك التعصب لمذهبهم الباطل كما تركه إمامهم رحمه الله .

« ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث... ...جملة قولهم: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، بما جاء عن الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون من ذلك شيئًا.

وأن الله على عرشه كما قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]

وأن له يدين بلا «كيف» كما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوراج.

وأقروا أن لله علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١].

وأثبتوا السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة.

... ...» إلى آخر كلامه في إثبات الصفات [١].

وهذه العقيدة هي التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وهي التي تلقاها التابعون منهم، وتواصوا بها جيلاً بعد جيل، محذرين بعضهم البعض من مخالفتها والشطط عنها.

ودان بهذه العقيدة أئمة السلف الماضين من المحدثين والفقهاء والمفسرين واللغويين والمصنفين [٢].

---

(١) انظر: «مقالات الاسلاميين» من (ص ٢٩٠).

(٢) قال الذهبي رحمه الله: «ولو ذكرنا قول كل من له كلام في إثبات الصفات من الأئمة لاتسع الخرق، وإذا كان المخالف لا يهتدي بمن ذكرنا أنه يقول: الإجماع على إثباتها من غير تأويلها، أو لا يصدقه في نقله فلا هداه الله ولا خير والله فيمن رد على مثل الزهري ومكحول والأوزاعي والثوري والليث بن سعد ومالك وابن عيينة وابن المبارك ومحمد بن الحسن والشافعي والحميدي وأبي عبيد وأحمد بن حنبل وأبي عيسى الترمذي وابن سريج وابن جرير الطبري وابن خزيمة وزكريا الساجي وأبي الحسن الأشعري أو يقول مثل قولهم من الإجماع -أي ذكروا أن العلماء أجمعوا على هذه العقيدة- مثل =

كيف لا ، والله قد زكى اعتقاد نبيه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين بقوله جل ثناؤه ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٧ -١٣٨] .

فمذهب أهل الحق - كما قلنا آنفًا - إثبات الأسماء الحسنى والواردة بالكتاب العزيز وبالسنة المطهرة والإيمان بها ، وبما دلت عليه من المعاني والإيمان بما تعلقت بها من الآثار.

فمثلاً نؤمن بأن الله سبحانه « رحيم » ومعناه : أنه ذو رحمة ، ومن آثار هذا الاسم : أنه يرحم من يشاء .

مثال ثان : نؤمن بأن الله « قدير » ومعناه : أنه ذو قدرة ومن آثار هذا الاسم : أنه على كل شيء قدير ، وهكذا القول في جميع الأسماء.

* * *

= الخطابي وأبي بكر الاسماعيلي وأبي القاسم الطبراني وأبي أحمد العسال . . . إلخ» من كتاب « صفات رب العالمين » للذهبي - انظر مقدمة « العلو للعلي الغفار » (ص ٥٢).

مسألة

الاسم عين المسمى أو غيره

هذه المسألة من المسائل الحادثة التي لم يعرفها السلف الأوائل من الصحابة والتابعين ، ولم ينقل عنهم أنهم خاضوا فيها ، كما قال ابن جرير رحمه الله تعالى : ثم حدث في دهرنا هذا حماقات خاض فيها أهل الجهل والغباء ونوكي الأمة والرعاع يُتعب إحصاؤها ويُمل تعدادها، فيها القول في اسم الشيء ، أهو هو أم هو غيره.

وقال : وأما القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى ، فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فَيُتبع ، ولا قول من إمام فيستمع ، فالخوض فيه شين والصمت عنه زين . اهـ [1].

ولكن لما كان الكلام في هذا الأمر مستمرًا من أهل البدع والضلالات ، اضطر أهل السنة للرد على هؤلاء ، وتفنيد أقوالهم الباطلة المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه وبيان الحق في هذه المسألة .

وقبل أن ندخل في بيان هذه المسألة لنتعرف على المعنى اللغوي للفظة «اسم» .

قال الزّجّاج [2]: معنى قولنا اسمٌ هو مشتق من السُّمُوِّ وهو الرفعة،

---

(١) «صريح السنة» (ص ١٧ - ١٨) و(ص ٢٦) .

(٢) الزّجّاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي صاحب كتاب «معاني القرآن» كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب وله مصنفات حسان في الأدب وكان يخرط الزجاج وإليه نسبته ، لزم المبرد وتعلم منه النحو . توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . انظر ترجمته «تاريخ بغداد» (٦/ ٨٩) ، «وفيات الأعيان» (١/ ٤٩) ، «معجم الأدباء» (١/ ١٣٠).

والأصل فيه : سِمْوٌ مثل قِنْوٍ وأقناء .

وقال الجوهري مثله .

قال ابن سِيدَه [1]: والاسم اللفظ الموضوع على الجوهر أو العرض لتفصل به بعضه من بعض كقولك مبتدئًا : اسم هذا كذا ، وإن شئت قلت : أُسم هذا كذا .

وقال أبو العباس[2] : الاسم رسمٌ وسِمَةٌ توضع على الشيء تعرف به[3].

قال الأزهري[4] : ومن قال إن اسمًا مأخوذ من وسمت فهو غلط ، لأنّه لو كان اسمٌ من سِمَتِه لكان تصغيره وسيمًا مثل تصغير عدةٍ وصلة وما أشبههما .

قال ابن تيمية : وهو مشتق من «السمو» وهو العلو كما قال النحاة

(١) علي بن إسماعيل أبو الحسن المعروف بابن سيده إمام في اللغة وآدابها ولد بمرسية (شرق الأندلس) سنة (٣٩٨ هـ) وانتقل إلى دانية فتوفي بها سنة (٤٥٨هـ)، كان ضريراً ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف «المخصص» سبعة عشر جزءاً وغيره . انظر «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٣٠)، «بغية الملتمس» (٤٠٥) و«لسان الميزان» (٤/ ٢٠٥)، «الأعلام» (٤/ ٢٦٣).

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر: أبو العباس الأزدي ثم الثمالي المعروف بالمبرد، شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية، كان من أهل البصرة فسكن بغداد، قال الخطيب البغدادي: كان عالمًا فاضلاً موثوقًا به في الرواية ، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر. توفي سنة خمس وثمانين ومائتين . «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٨٠)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٣١٣)، «لسان الميزان» (٥/ ٤٣٠)، «الأعلام» (٧/ ١٤٤).

(٣) «اللسان» (٣/ ٢١٠٩ - ٢١١٠).

(٤) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي ولد بخراسان سنة (٢٨٢هـ) وتوفي بها سنة (٣٧٠هـ)، وكان فقيهًا شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها وكان متفقًا على فضله وثقه ودرايته وورعه، له كتاب «تهذيب اللغة». «ابن خلكان» (٤/ ٣٣٤)، «طبقات الشافعية» (٢/ ١٠٦)، «الأعلام» (٥/ ٣١١).

البصريون ، وقال النحاة الكوفيون هو مشتق من «السِمة» وهي العلامة، وهذا صحيح في « الاشتقاق الأوسط » وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبها ، فإنه في كليهما «السين والميم والواو» والمعنى صحيح ، فإن السمة والسيما : العلامة ، ومنه يقال : وسمته أسمه كقوله : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ [القلم: ١٦] ، ومنه التوسم كقوله : ﴿ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] .

لكن اشتقاقه من «السمو» هو الاشتقاق الخاص الذي يتفق فيه اللفظان في الحروف وترتيبها ومعناه أخص وأتم ، فإنهم يقولون في تصريفه : سميت ولا يقولون وسمت ، وفي جمعه أسماء لا أوسام ، وفي تصغيره سميّ لا وسيم . ويقال لصاحبه مسمى لا يقال موسوم ، وهذا المعنى أخص . فإن «العلو» مقارن «للظهور» كلما كان الشيء أعلى كان أظهر .

فالاسم يظهر به المسمى ويعلو ، فيقال للمُسَمِّي : سَمِّه أي أظهره، وأعله أي أعل ذكره بالاسم الذي يذكر به ، لكن تارة بما يحمد به ويذكر تارة بما يذم به ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٠] وقال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] وقال ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٨-٧٩] .

وقال في النوع المذموم: ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص: ٤٢] وقال تعالى: ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: ٣]، فكلاهما ظهر ذكره ، لكن هذا إمام في الخير وهذا إمام في الشر .

وما ليس له اسم ، فإنه لا يذكر ولا يظهر ولا يعلو ذكره ، بل هو

كالشيء الخفي الذي لا يعرف ولهذا يقال : الاسم دليل على المسمى ، وعلم على المسمى ونحو ذلك .

ولهذا كان أهل الإسلام والسنة الذين يذكرون أسماء الله يعرفونه ويعبدونه ويحبونه ويذكرونه ويظهرون ذكره .

والملاحدة : الذين ينكرون أسماءه وتُعرض قلوبهم عن معرفته وعبادته، ومحبته وذكره، حتى ينسوا ذكره ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾[التوبة: ٦٧].

﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ [الحشر: ١٩] .

﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ [الأعراف ٢٠٥] .

والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور في القلب ، قد يراد به مجرد اللفظ ، وقد يراد به مجرد المعنى فإنه من الكلام ، والكلام اسم للفظ والمعنى ، وقد يراد به أحدهما ، ولهذا كان من ذَكَر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره ، لكن ذكره بهما أتم.

والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه وأمر بالتسبيح باسمه كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى ، فيدعى بأسمائه الحسنى ، ويسبح اسمه ، وتسبيح اسمه هو تسبيح له ، إذ المقصود بالاسم المسمى ، كما أن دعاء الاسم هو دعاء المسمى . قال تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الإسراء: ١١٠] [(١)].

***

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٢٠٧ - ٢١٠) باختصار .

بيان المسألة

قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى : فصل في الاسم والمسمى ، هل هو هو أو غيره ؟ أو لا يقال هو هو ، ولا يقال هو غيره ؟ أو هو له ؟ أو يفصّل في ذلك ؟

فإن الناس قد تنازعوا في ذلك ، والنزاع اشتهر بعد الأئمة ، بعد أحمد وغيره ، والذي كان معروفًا عند « أئمة السنة » أحمد وغيره : الإنكار على الجهمية الذين يقولون أسماء الله مخلوقة ، ويقولون : الاسم غير المسمى ، وأسماء الله غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق .

وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلّظوا فيهم القول ، لأن أسماء الله من كلامه ، وكلام الله غير مخلوق ، بل هو المتكلم به ، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء .

والجهمية يقولون : كلامه مخلوق ، وأسماؤه مخلوقة ، وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ولا سمى نفسه باسم هو المتكلم به ، بل قد يقولون : إنه تكلم به وسمى نفسه بهذه الأسماء ، بمعنى أنه خلقها في غيره ، لا بمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به ، فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه ا هـ [1].

ويقول شارح « العقيدة الطحاوية » :

طالما غلط كثير من الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى.

فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده ونحو ذلك فهذا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٨٥ - ١٨٦).

المراد به المسمّى نفسه.

وإذا قلت: الله اسم عربي والرحمن اسم عربي والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم ها هنا المراد لا المسمّى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال.

فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق. وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى اهـ(١).

وزيادة في الإيضاح نقول إن الاسم يأتي في مواضع من الكلام ويراد به التسمية:

بَوَّبَ لذلك البخاري في كتاب التوحيد: باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها. وخرّج بعده أحاديث منها: الذكر الذي يقال عند النوم «**باسمك ربي وضعت جنبي...**» وحديث أنس في التسمية عند الذبح، وحديث ابن عمر في النهي عن الحلف إلا بالله.

قال ابن بطال: مقصود بهذه الترجمة تصحيح القول بأن الاسم هو المسمى فلذلك صحت الاستعاذة بالاسم كما صحت بالذات اهـ(٢).

وجاء في القرآن الكريم الأمر بتنزيه الاسم في قوله: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [الاعلى: ١] وقوله: ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ [الحاقة: ٥٢] وقوله: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٧٨] فدلّ هذا على أنه أمر بتسبيح الله تعالى ودلّ العقل على أن المسبَّح هو الله تعالى

(١) «العقيدة الطحاوية» (ص ١٣١).

(٢) «الفتح» (١٣/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

لا غيره. لأن تسبيح الاسم وذكره هو تسبيح المسمى وذكره.

فإن المسبِّح والذاكر إنما يسبح اسمه ويذكر اسمه، فيقول: (سبحان ربي الأعلى) فهو نطق بلفظ (ربي الأعلى)، والمراد هو المسمى بهذا اللفظ، فتسبيح الاسم هو تسبيح المسمى.

ويأتي في موضع آخر ويراد به الاسم نفسه:

كحديث أنس أن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة ونقش فيه «**محمدٌ رسول الله**»[1]، فالمراد هنا نقش الاسم والتسمية.

وقول النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا معَ عَبْدِي مَا ذَكَرني وتَحركَتْ بي شفتاه**»[2] فمعلوم أن المراد تحرك شفتاه بذكر اسم الله وهو القول، ليس المراد أن الشفتين تتحرك بنفسه تعالى[3].

وكذا حديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا**» المراد به التسمية.

وأهل السنة والجماعة الذين قالوا بأن الاسم هو المسمى، لا ينازعون

---

(١) رواه البخاري (٥٨٧٢).

(٢) رواه البخاري تعليقًا (١٣/٤٩٩) وفي «خلق أفعال العباد» (ص٨٧) موصولاً وأحمد (٢/٥٤٠) وابن حبان (٢٣١٦) كلهم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر والأوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله بن المهاجر عن كريمة ابنة الحسحاس المزنية قالت: سمعت أبا هريرة يقول في بيت أم الدرداء يقول قال رسول الله ﷺ فذكره. وإسناده صحيح.
ورواه أحمد (٢/٥٤٠) عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي هريرة به.
ورواه الحاكم (١/٤٩٦) عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما به وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قال ابن حجر: «ورجح الحفاظ طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وربيعة بن يزيد وحديث ربيعة عزاه للبيهقي في «الدلائل» ـ ويحتمل أن يكون عند إسماعيل عن كريمة ـ وعن أم الدرداء معًا».

(٣) مجموع الفتاوى (٦/١٩٨).

في أن الاسم غير المسمى من جهة أن الأسماء أقوال وأنها ليست هي المسميات فهذا لا ينازع فيه أحد من العقلاء.

لكنهم قالوا ذلك ـ أي أن الاسم هو المسمى ـ ردًا على الجهمية والمعتزلة الذين قالوا إن الاسم غير المسمى، ويقصدون أن أسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق، وأن الله كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء وهذا كله من الباطل المعلوم شرعًا وعقلاً.

وهناك قول آخر في هذه المسألة ينقل عن أهل السنة وهو أن «الاسم للمسمى» ذكره ابن جرير حيث قال: « وحسب امرء من العلم به، والقول فيه، أن ينتهي إلى قول الله عز وجل ثناؤه الصادق وهو قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]» اهـ[1].

قال شيخ الإسلام: وأما الذين يقولون أن «الاسم للمسمى» كما يقوله أكثر أهل السنة، فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]» اهـ[2].

شناعة قول الجهمية في هذه المسألة:

قال ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية»: ذكر نعيم بن حماد

---

(١) «صريح السنة» (ص ٢٧).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (ص١٧٢) وانظر في هذه المسألة «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٨٥ـ٢١٢)، «بدائع الفوائد» (١/ ١٦ ـ ٢٢)، « شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢/ ٢٠٤ ـ ٢١٥)، « شرح الأسماء» للرازي (ص١٨ ـ ٢٦)، «الفصل» لابن حزم (٥/ ٢٧ ـ ٣٦).

أن الجهمية قالوا إن أسماء الله مخلوقة لأن الاسم غير المسمى وادَّعوا أن الله كان ولا وجود لهذه الأسماء ثم خلقها ثم تسمى بها.

قال: قلنا لهم إن الله قال: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [الأعلى: ١] وقال: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**﴾ [يونس: ٣] فاخبر أنه المعبود ودل كلامه على اسمه بما دل به علي نفسه فمن زعم أن اسم الله مخلوق فقد زعم أن الله أمر نبيه أن يسبح مخلوقًا.

ونقل عن إسحاق بن راهويه عن الجهمية أن جهمًا قال: لو قلت إن لله تسعة وتسعين اسمًا لعبدت تسعة وتسعين إلهًا. قال: فقلنا لهم إن الله أمر عباده أن يدعوه بأسمائه فقال: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف. ١٨٠] والأسماء جمع أقله ثلاثة، ولا فرق في الزيادة على الواحد بين الثلاثة وبين التسعة والتسعين[١].

وقالت الجهمية لمن قال إن الله لم يزل بأسمائه وصفاته: قلتم بقول النصارى حيث جعلوا معه غيره.

فأجابوا -أي أهل السنة-: بأنا نقول إنه واحد بأسمائه وصفاته فلا نَصف إلا واحدًا بصفاته كما قال تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾ [المدثر: ١١] وصفه بالوحدة مع أنه كان له لسان وعينان وأذنان وسمع وبصر، و لم يخرج بهذه الصفات عن كونه واحدًا ولله المثل الأعلى[٢].

وقال الشافعي : من حلف باسمٍ من أسماء الله فَحَنَثَ فعليه الكفارة،

---

(١) «الفتح» (١٣/ ٣٧٨).

(٢) «الفتح» (١٣/ ٣٨١) وعزاه الحافظ من قول الإمام أحمد في كتاب «السنة» لابنه عبد الله ولم أجده فيه ولا في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» للإمام أحمد.

لأن اسم الله غيرُ مخلوق، ومن حلف بالكعبة أو بالصفا والمروة فليس عليه الكفارة، لأنه مخلوق، وذاك غيرُ مخلوق[1].

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي» (ص ١٩٣) قال: حدثني الربيع بن سليمان المرادي قال: سمعت الشافعي يقول فذكره.
وسنده صحيح، الربيع ثقة وكان من أصحاب الشافعي.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١٣) والبيهقي مختصراً في «الأسماء» (ص ٢٢٥ ـ ٢٥٦) عن الربيع به.

ولله الاسماء الحسنى

وفيها مباحث:

أولاً: وصف الله أسماءه بالحسنى:

اعلم أن الله سبحانه وصف أسماءه بالحسنى في أربع آيات من القرآن العظيم وهي:

١- قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢- قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الإسراء: ١١٠].

٣- قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [طه: ٨].

٤- قوله تعالى: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الحشر: ٢٤].

ثانيًا: قوله «الحسنى»:

الحسنى تأنيث الأحسن، كالكبرى والصغرى تأنيث الأكبر والأصغر.

وفي وصف الأسماء بالحسنى وجوه:

أ - أن أسماءه سبحانه دالةٌ على صفات كمال عظيمة وبذلك كانت حسنى.

ب - ما وعد عليها من الثواب بدخول الجنة لمن أحصاها.

جـ - أن حسنها شرف العلم بها، فإن شرف العلم بشرف المعلوم، والبارئ أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه أشرف العلوم.

د ـ ومن تمام كونها حسنى أنه لا يدعى إلا بها [1].

أخبر تعالى أنهم يبتدؤن دعاءهم بتعظيم الله وتنزيهه ويختمونه بشكره والثناء عليه وحمده.

فجعل تنزيهه دعاءً وتحميده دعاءً.

فالأول دعاء السؤال والثاني دعاء الثناء، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكذلك لا يُسأل إلا بها[2].

ثالثًا: قوله تعالى: **﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٠].

الإلحاد في اللغة: هو الزيغ والميل والذهاب عن سنن الصواب، ومنه يمسى الملحد ملحدًا، لأنه مال عن طريق الحق، ومنه:

اللحد: وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك، وقوله تعالى: **﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾** [الكهف: ٢٧] أي: لن تجد من تعدل إليه أو تهرب وتميل إليه.

والإلحاد في أسماء الله تعالى وتقدس أنواع:

النوع الأول: أن تسمى الأصنام بها، فسمّوا الأحجار والأشجار والأوثان التي كانوا يعبدونها «آلهة» وسمّوا اللاَّت من الإلهية والعزى من العزيز ومناة من المنان.

فهذا إلحاد لأنهم عدلوا ومالوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

---

(١) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/٨٠٣ ـ ٨٠٤) و«شرح الأسماء» للرازي (ص٤٧) و«تيسير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن بن ناصر (٣/٥٩).

(٢) انظر: «لسان العرب» (٢/١٣٨٥) و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/٨١٥ ـ ٨١٦) و«تيسير الكريم الرحمن» (٢/٥٩) و«بدائع الفوائد» (١/١٦٤، ٣/٥).

النوع الثاني: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول اليهود ـ عليهم لعنة الله المتتابعة ـ إنه «فقير» وقولهم إنه استراح بعد أن خلق الخلق، وقولهم «يد الله مغلولة» وأمثال ذلك من الإلحاد في أسمائه وصفاته.

قال ابن تيمية: «وقد نزّه الله نفسه عمّا وصفوه به من الفقر والبخل والإعياء، فالإعياء من جنس العجز المنافي لكمال القدرة، والفقر من جنس الحاجة إلى الغير المنافي لكمال الغنى، والبخل من جنس منع الخير وكراهة العطاء المنافي لكمال الرحمة والإحسان، وكمال القدرة والرحمة» . اهـ [1].

النوع الثالث: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها وأنها مجرد أعلام فقط، لا تتضمن صفاتٍ ولا معاني ، وهو مذهب الجهمية وأتباعهم.

فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به. وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعًا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في أسمائه[2].

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/٨٧).

(٢) وقد حكى الله عن المشركين أنهم جحدوا اسمه «الرحمن» في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] وبين أنهم يكفرون بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] فما حال هؤلاء الذين جحدوا جميع صفاته وأسمائه، نعوذ بالله من الخذلان.

ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب.

وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك، فليستقل أو ليستكثر[1].

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سبب ضلال الجهمية وأتباعهم فقال: «سبب هذا الضلال أن لفظ «التشبيه» و «التركيب» لفظ فيه إجمال، وهؤلاء أنفسهم ـ وجماهير العقلاء ـ يعلمون أنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك، ونفي ذلك القدر المشترك، ليس هو نفي التمثيل والتشبيه الذي قام الدليل العقلي والسمعي على نفيه.

وإنما التشبيه الذي قام الدليل على نفيه، ما يستلزم ثبوت شيئ من خصائص المخلوقين لله سبحانه وتعالى، إذ هو سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

ولهذا اتفق جميع طوائف المسلمين وغيرهم في الرد على هؤلاء الملاحده وبيان أنه ليس كل ما اتفق شيئان في شئ من الأشياء يجب أن يكون أحدهما مثْلاً للآخر.

ولا يجوز أن ينفي عن الخالق سبحانه كل ما يكون فيه موافقة لغيره في معنى ما، فإنه يلزمه عدم بالكلية، كما فعله هؤلاء الملاحدة، بل يلزم نفي وجوده ونفي عدمه وهو غاية التناقض والإلحاد والكفر والجهل» اهـ[2].

فالجهمية هم نفاة الأسماء والصفات ويقولون: إنما يسمى بها

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (١/١٦٩ ـ ١٧٠).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/٣٢٧).

مجازًا، أو المقصود بها غيره، أو لا يعرف معناها.

وأصل تلبيسهم: هو أن إطلاق هذه الأسماء على الله فيه تشبيه له بخلقه ولذا فيجب نفي الأسماء عنه.

ونقل الشهرستاني عن الجهم بن صفوان قوله: «لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك - بزعمه - يوجب تشبيهًا» اهـ[1].

النوع الرابع: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوًا كبيرًا.

فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة - الذين سبق ذكرهم - فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه.

فهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق حتى كأنهم عبدو صنمًا، والجهمية نفوا صفات الخالق وعطلوها حتى كأنهم عبدوا عدمًا.

تنبيه: اعلم أن الجهمية والمعتزلة ـ إلى يومنا هذا يسمون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا كذبًا منهم وافتراء ـ حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، قال ثمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية : ثلاثة من الأنبياء مشبهة ، موسى حيث قال: ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ**﴾ [الأعراف: ١٥٥] وعيسى حيث قال : ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة: ١١٦] ومحمد ﷺ حيث قال: «**ينزل ربنا...**».

وجل المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل: مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه،

---

(١) «الملل والنحل» (١/ ٧٩).

وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة[1].

فهم يزعمون أن من قال إن الله فوق العرش فقد اعتقد أنه محدود ومحصور، والحدود لا تكون إلا للمخلوق فهذا القول تشبيه. وأن من قال إن لله علمًا وقدرة وكلامًا فقد جعل الله محلاً للأعراض وهي لا تقوم إلا بالجواهر فهو مشبه.

ومن قال إن لله سبحانه يدًا ووجهًا وقدمًا وعينين فقد شبه الله بخلقه، إلى آخر ما يرمون به الرسل وأتباع الرسل من الألقاب التي يفترونها.

تمامًا كما كانت قريش تُسمي النبي ﷺ تارة مجنونًا وتارة شاعرًا وتارة كاهنًا وتارة مفتريًا.

النوع الخامس: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له (أبًا) وتسمية الفلاسفة له (موجبًا بذاته) أو (علة فاعلة بالطبع)، وقول الكرامية إنه (جسم) وقول بعضهم إنه (جوهر) ونحو ذلك[2].

بَراءَةُ أهل السُّنة مِن الإلحادِ في أسمائه:

وبرأ الله أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريًا من التشبيه وتنزيههم خليًا من التعطيل[3].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ١١٠).

(٢) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩ ـ ١٧٠) و«لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (١/ ١٢٨) و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ١١٠ ـ ١١١).

(٣) «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠).

قال العلامة المحقق ابن القيم: «إن أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان وبالعكس، فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر إنك أنت المنتقم[1]، و: اللهم أعطني فإنك أنت الضار المانع ونحو ذلك.

ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها قال تعالى: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠] ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف، لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها، ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: ٥٨]، فعلم أن (القويّ) من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة، وكذلك قوله: ﴿**فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ [فاطر: ١٠]، فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة له، لم يسم قويًا وعزيزًا» اهـ[2].

وقال في النونية:

أسماؤُه أوصافُ مدحٍ كلُّها ... مُشْتقةٌ قد حَمَلَتْ لمعانِ
إياكَ والإلحادَ فيها إنَّه ... كُفْرٌ مَعَاذَ الله من كُفْرانِ
وحَقيقةُ الإلحادِ فيها الميلُ ... بالإشراكِ والتَّعطيلِ والكفرانِ

---

(١) قد عرفت سابقًا أن المنتقم ليس من أسماء الله إنما جاء في الكتاب مقيدًا كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ**﴾ [السجدة: ٢٢] انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٩٦).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٢٨).

تنبيهات وفوائد جليلة:

التنبيه الأول: ما يوصف به الرب سبحانه أو يخبر به عنه أقسام:

أ - ما يرجع إلى نفس الذات كقولك ذات وموجود وشئ.

ب - ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم، والقدير، والسميع والبصير وتُسمى (صفات ذاتية).

جـ - ما يرجع إلى أفعاله كالخالق والرازق وتسمى (صفات فعلية).

د - ما يرجع إلى التنزيه المحض ولابد من تضمنه ثبوتًا إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام.

هـ - ما دل على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معان نحو المجيد، العظيم، الصمد، فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، ومنه: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾ [البروج: ١٥]، لسعة العرش وعظمته، والعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال وكذلك الصمد.

و - صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما، نحو الغني الحميد، العفو القدير، والحميدالمجيد، ونحو ذلك فإن الغنى من صفات الكمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناءٌ من غناه وثناءٌ من حمده وثناء من اجتماعهما وكذلك نظائرهما[١].

التنبيه الثاني: يجب أن يعلم أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشئ والموجود والقائم

---

(١)انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٥٩ ـ ١٦١).

بنفسه والشارع، فإن هذا يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

قال ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل»: ثم أنت تسميه قديمًا وواجب الوجود وذاتًا ونحو ذلك مما لم يرد به الشرع، والشارع يفرّق بين ما يُدعى به من الأسماء، فلا يُدعى إلا بالأسماء الحسنى، وبين ما يُخبر بمضمونه عنه من الأسماء لإثبات معنى يستحقه نفاه عنه نافٍ لما يستحقه من الصفات، كما أنه من نازعك في قدمه أو وجوب وجوده قلت مخبرًا عنه بما يستحقه: إنه قديم وواجب الوجود[1].

وقال في موضع آخر: فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار، فرق ثابت في الشرع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يُدعى الله به من الأسماء الحسنى، وبين ما يخبر به عنه عزّ وجلّ مما هو حق ثابت، لإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال، ونفي ما تنزه عنه عزّ وجلّ من العيوب والنقائص، فإنه الملك القدوس السلام، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وقال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، مع قوله: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾ [الأنعام: ١٩] ولا يقال في الدعاء: يا شيء» اهـ[2].

التنبيه الثالث: إن أسماء الله توقيفية:

وهذا هو مذهب الجمهور من أهل السنة والجماعة، أن أسماء الله توقيفية لا يجوز تسميته بما لم يرد به السمع.

---

(١) (٤/ ١٤٠)، ولفظة قديم لم ترد في دليل فالاستعاضة عنها بما ورد وهو (الأول) أصح.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٩٨).

وذلك أن أسماء الله تعالى وصفاته من الأمور الغيبية التي لا يمكن لنا أن نعرفها إلا عن طريق الرسل الذين يطلعهم الله على ما يشاء من الغيب ثم هم يبلغونه للناس، ولا يجوز القياس فيها أو الاجتهاد لأن هذا الباب ليس من أبواب الاجتهاد.

فالمنهج الصحيح لمعرفة توحيد الله عزّ وجلّ وأسمائه وصفاته هو الاعتماد على (الوحي) الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى الرسول ﷺ، وأمره باتباعه قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [محمد: ١٩].

وقال: ﴿ **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

وقال: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٢٥][1].

وأمرنا نحن باتباع رسوله ﷺ وما جاء به من الوحي الشريف:
قال تعالى: ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات الكثيرة.

ولو كان العقل قادرًا على معرفة أسماء الله وصفاته، وما يجوز أن يوصف به مما لا يجوز، لما احتاج الناس إلى الوحي، ولأصبح إرسال الرسل إلى الناس من العبث، تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون

(١) في هذه الآية إخبار من الله تعالى لنبيه ﷺ أن بالسمع والوحي عرف الأنبياء الذين من قبله التوحيد وصفات ربهم لا بالعقل أو الفكر.

علوا كبيراً.

وتسمية الله سبحانه بما لم يرد به الدليل يدخل في الإلحاد في أسمائه الحسنى[1] وقد يقع صاحبه في التشبيه لأن المشبهة وصفوا الله بما لم يأذن به.

قال أبو إسحاق الزجاج: «لا يجوز لأحد أن يدعو الله بما لم يصف به نفسه»[2].

قال أبو سليمان الخطابي: «ومن علم هذا الباب، أعني: الأسماء والصفات، ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام.

فالجواد لا يجوز أن يقاس عليه السخي وإن كانا متقاربين في ظاهر الكلام وذلك أن السخي لم يرد به التوقيف كما ورد بالجواد ، و«القوي» لا يقاس عليه الجلْدُ، وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين، لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد، ولا يقاس على « القادر» المطيق ولا المستطيع، وفي أسمائه العليم ومن صفته العلم، فلا يجوز قياسًا عليه أن يسمى عارفًا لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء ، وكذلك لا يوصف بالعاقل.

وهذا الباب يجب أن يراعى ولا يُغفل ، فإن عائدته عظيمة والجهل به ضار وبالله التوفيق » اهـ [3].

---

(١) انظر الكلام على الإلحاد وأنواعه (ص٣٦) وما بعدها .

(٢) «الفتح» (١١/ ٢٢٣).

وقال السفاريني في نظمه للعقيدة:

لكنَّها في الحقِّ تَوقيفيَّة لَنا بذا أدلة وَفيَّة

ثم شرح البيت فقال: «لكنها ـ أي الأسماء الحسنى ـ في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع وورود السمع بها، ومما يجب أن يعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنى والصفات العلى على الباري جلّ وعلا إذا ورد الإذن من الشارع، وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه» اهـ[1].

وقال الفخر الرازي: «مذهب أصحابنا أنها توقيفية[2]. واختاره الغزالي واحتج بأنه اتفق على أنه لا يجوز لنا أن نسمي الرسول باسم ما سماه الله به، ولا باسم ما سمى هو نفسه به، فإذا لم يجز ذلك في حق الرسول، بل في حق أحد من آحاد الناس. فهو في حق الله تعالى أولى»[3].

وأما المعتزلة والكرامية فقالوا: «إن اللفظ إذا دلّ العقل على أن المعنى ثابت في حق الله سبحانه جاز إطلاق ذلك اللفظ على الله تعالى سواء ورد التوقيف به أو لم يرد»[4].

التنبيه الرابع: لا يجوز أن يشتق له أسماء من الأفعال التي وردت في الكتاب والسنة مقيدة، كما غلط فيه بعض المتأخرين، فجعل المضل، الفاتن، الماكر، المستهزيء من أسمائه الحسنى، فإن هذه الأسماء لم يأت السمع بإثباتها وإنما وردت كأفعال مخصوصة ومعينة فلا يجوز

(١) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ١٢٤).

(٢) «شرح أسماء الله» (ص ٣٦)، لكنه اختار أن الصفات غير توقيفية وهو مخالف للحق.

(٣) «المقصد الأسنى» (ص١٠٩).

(٤) «شرح أسماء الله» (ص٣٦) وقال الرازي بعده: وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني.

اشتقاق أسماء منها على وجه الإطلاق[1].

التنبيه الخامس: يجوز أن يشتق من الأسماء الحسنى الفعل والمصدر، فيخبر عنه به فعلاً ومصدرًا، نحو السميع البصير القدير، يطلق عليه منه، السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال من ذلك، نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، هذا إن كان الفعل متعديًا.

فإن كان لازمًا لم يخبر عنه به نحو «الحي»، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال حَيِيَ[2].

التنبيه السادس: قال ابن القيم: «إن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم، فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله.

والمخلوق كماله عن فعاله فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل.

فالرب لم يزل كاملا فحصلت أفعاله عن كماله، لأنه كامل بذاته وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله، كمل ففعل، والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به» اهـ[2].

التنبيه السابع: إن الاسم من أسمائه الحسنى له دلالات ثلاثة:

١- دلالة مطابقة: إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله.

٢- دلالة تضمن: إذا فسرناه ببعض مدلوله.

٣- دلالة التزام: إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف

---

(١) انظر: «لوامع الأنوار» (١/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٣)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٤١٥).

(٢) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٢).

عليها هذا الاسم.

ومثال ذلك (الرحمن) دلالة على الرحمة والذات دلالة مطابقة، وعلى أحدهما دلالة تضمن لأنها داخلة في الضمن، ودلالة على الأسماء التي لا توجد الرحمة إلا بثبوتها كالحياة والعلم والقدرة ونحوها دلالة التزام[1].

التنبيه الثامن: إن أسماء الله سبحانه وتعالى كلها من قبيل المحكم، وليست من المتشابه كما يقول بعض المفوضة المبتدعة، لأن معانيها معروفة في لغة العرب غير مجهولة، وإنما المجهول هو الكنه والكيفية فقط، كما مر عليك آنفًا في أقوال أئمة السلف.

* * *

(١) المصدر السابق وانظر: «الأجوبة والأسئلة الأصولية على العقيدة الواسطية» (ص٤٦) للشيخ عبد العزيز السلمان.

حديث: «لله تسعة وتسعون اسمًا»

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**لله تسعة وتِسْعُونَ اسمًا مائة إلا واحدة لا يحفظها أَحَدٌ إلا دَخَلَ الجنة، وهو وِتْرٌ يحبُّ الوِتر**».

وفي رواية: «**مَنْ أحصَاهَا دَخَلَ الجنَّة**»[1].

وفيه مباحث:

أولاً: «**لله تسعة وتسعون اسمًا مائة إلا واحدة**»[2] هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذا العدد أو أنها أكثر من ذلك، ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة ؟

فذهب جمهور العلماء إلى الثاني، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه، وقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث: أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء.

وقال أبو سليمان حمد الخطابي: «إنما هو بمنزلة قولك إن لزيد ألف درهم أعدّها للصدقة، وكقولك: : إن لعمروٍ مائة ثوبٍ من زاره خلعها عليه، وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٦٤١٠، ٧٣٩٢) ومسلم (٢٦٧٧/ ٥، ٦).

(٢) فائدة: التكرار في قوله تسعة وتسعون مائة إلا واحدة هو التأكيد كقوله: ﴿**ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**﴾ [البقرة: ١٩٦] وقوله: ﴿**لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [النحل: ٥١].

من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالته أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أرصده عمروٌ من الثياب للخلع مائةُ ثوب».

والذي يدلّ على صحة هذا التأويل حديث عبد الله بن مسعود وقد ذكره محمد بن إسحاق بن خزيمة في المأثور:

«أن النبي ﷺ كان يدعو: «**اللهم إني عبدُك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حُكمك، عدلُ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك، أو أستأثرت به في علم الغيب عندك...إلخ**»[1] فهذا يدلك على أن لله أسماءً لم يُنزلها

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢) وابن حبان (٢٣٧٢ ـ موارد) والحاكم (١/ ٥٠٩) والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢) كلهم عن فضيل بن مرزوق ثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال عبد الله بن مسعود فذكره. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه من أبيه.

فتعقبه الذهبي بقوله: قلت: أبو سلمة لا يدري من هو ولا رواية له في الكتب الستة.

قال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص ٤٩٠ ـ ٤٩١): أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن روى عنه فضيل بن مرزوق. مجهول قاله الحسيني وقال مرة لا يدري من هو، وهو كلام الذهبي في «الميزان»، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات» وأخرج حديثه في صحيحه، وقرأت بخط الحافظ بن عبد الهادي: يحتمل أن يكون خالد بن سلمة، قلت: وهو بعيد لأن خالداً مخزومي وهذا جهني وقد ذكره في «الفتح» (١١/ ٢٢٠) وسكت عليه.

ونقل العلامة الألباني عن الشيخ أحمد شاكر رحمه الله قوله في تعليقه على المسند (٥/ ٢٦٧): «وأقرب منه عندي أن يكون هو: موسى بن عبد الله أو ابن عبد الله الجهني ويكنى أبا سلمة فإنه من هذه الطبقة» اهـ. واختاره الألباني وجزم به بدليل إخراج ابن حبان والطبراني رواية من طريق موسى الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه انظر: «الصحيحة» (١٩٩).

وأما سماع عبد الرحمن من أبيه فقد أثبته كثير من العلماء كابن معين والبخاري فقد =

في كتابه، حجبها عن خلقه، ولم يظهرها لهم اهـ[1].

وقال شيخ الإسلام ـ كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٨١) ـ بعد نقله كلام الخطابي: «وأيضًا فقوله: «**إن لله تسعة وتسعين**» تقيده بهذا العدد، بمنزلة قوله تعالى: ﴿**تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾ [المدثر: ٣٠] فلما استقلوهم قال: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾ [المدثر: ٣١]. فأن لا يعلم أسماءه إلا هو أولى اهـ.

وقال في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٣٢ ـ٣٣٣): والصواب الذي عليه الجمهور أن قول النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**» معناه: أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، ليس مراده أنه ليس له إلا تسعة وتسعون اسمًا، ثم ذكر حديث عبد الله بن مسعود السابق.

وقال: وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[2].

فأخبر أنه ﷺ لا يحصي ثناءً عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها فكان يحصي الثناء عليه لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه.

وخالف ابن حزم ههنا، فذهب إلى الحصر في العدد المذكور ورد عليه الحافظ ابن حجر في «الفتح» فقال: وابن حزم ممن ذهب إلى

= روى في «التاريخ الصغير» ما يدل على سماعه وأبو حاتم وسفيان الثوري وشريك. وأثبت سماعه المزي في «التحفة» (٧/ ٧٤).

(١) «شأن الدعاء» (ص٢٤) واختاره الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٢٠) ونقله عن القرطبي صاحب «المفهم»، ونقله ابن بطال عن القاضي أبي بكر الطيب، وكذا البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٧ ـ ١٨).

(٢) رواه مسلم (٤٨٦) عن عائشة.

الحصر في العدد المذكور، وهو لا يقول بالمفهوم أصلاً، ولكنه احتج بالتأكيد في قوله ﷺ: «**مائة إلا واحدًا**» قال: لأنه لو جاز أن يكون له اسم زائد على العدد المذكور، لزم أن يكون له مائة، فيبطل قوله: «**مائة إلا واحدًا**».

قال الحافظ: «وهذا الذي قاله ليس بحجة على ما تقدم، لأن الحصر المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادعى أن الوعد وقع لمن أحصى زائدًا على ذلك أخطأ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد» اهـ[١].

وقد تكلم العلماء ـ ومنهم الرازي في «شرح الأسماء»[٢] ـ عن سر هذا العدد المخصوص بكلام كثير، والذي نراه أن تفويض علمه لله أقرب إلى الصواب، لأن الله لم يطلعنا على حكمة ذلك، فهو كأعداد الصلوات، والله تعالى أعلم.

ثانيًا: معنى قوله: «**من أحصاها**» وهو يحتمل وجوها:

أ - أن يعدها حتى يستوفيها حفظًا ويدعو ربه بها، ويثني عليه بجميعها، كقوله تعالى: ﴿**وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**﴾ [الجن: ٢٨].

واستدل له الخطابي بقوله ﷺ ـ كما في الرواية الأخرى ـ «**من حفظها دخل الجنة**»[٣].

وقال النووي: قال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها، وهذا هو الأظهر لثبوته نصًا في الخبر.

---

(١) «الفتح» (١١/٢٢١).

(٢) (ص٧٣ ـ ٨٢).

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٢٦).

وقال في «الأذكار»: وهو قول الأكثرين[1].

وقال ابن الجوزي: لَمَّا ثَبَتَ في بعض طرق الحديث «من حفظها» بدل «من أحصاها»، اخترنا أن المراد «العدّ» أي: من عدها ليستوفيها حفظـًا.

وردّ هذا القول الحافظ فقال: وفيه نظر، لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ «حفظها» تعيين السرد عن ظهر قلب بل يحتمل الحفظ المعنوي.

وقال الأصيلي: ليس المراد بالإحصاء عدّها فقط لأنه قد يعدها الفاجر، وإنما المراد العلم بها.

وكذا قال أبو نعيم الأصبهاني وابن عطية[2].

ب - أن يكون المراد بالإحصاء «الإطاقة»، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠] أي لن تطيقوه، وكقول النبي ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا..»[3]. أي: لن تبلغوا كل الاستقامة.

---

(١) «الأذكار» (ص ٩٤).

(٢) «الفتح» (١١/٢٢٦).

(٣) حديث صحيح لطرقه:

الأولى: أخرجها الإمام أحمد (٥/٢٧٦ ـ ٢٧٧، ٢٨٢) وابن ماجه (٢٧٧) والدارمي (١/١٦٨) والحاكم (١/ ١٣٠) والطبراني في «الصغير» (١/ ١١) كلهم من طريق سالم ابن أبي الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَقِيموا ولن تُحصوا واعلموا أن خَيرَ أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوُضوءِ إلا مُؤمن**» وفيه انقطاع فإن سالمًا لم يسمع من ثوبان، قاله أحمد وغيره، لكنه قد توبع كما في الطريق الثانية والثالثة.

الثانية: وهي لأحمد أيضًا (٥/ ٢٨٠) من طريق حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن ثوبان وهي بلفظ: «**استقيموا تفلحوا..**» وابن ميسرة هو الحضرمي أبو سلمة الحمصي. قال الحافظ في «التقريب»: مقبول، أي حيث يتابع.

الثالثة: لأحمد أيضًا (٥/٢٨٢) والدارمي (١/١٦٨) من طريق الوليد بن مسلم ثنا ابن =

فيكون المعنى: أن يطيق الأسماء الحسنى ويُحسن المراعاة لها، وأن يعمل بمقتضاها، وأن يعتبرها فيلزم نفسه بواجبها.

فإذا قال: يا رحمن يا رحيم، تذكر صفة الرحمة، واعتقد أنها من صفات الله سبحانه، فيرجو رحمته ولا ييأس من مغفرته.

وإذا قال: «السميع البصير» علمَ أنه يراه ويسمعه وأنه لا تخفى عليه خافية، فيخافه في سره وعلنه ويراقبه في كافة أحواله.

وإذا قال: « الرزاق» اعتقد أنه المتكفل برزقه يسوقه إليه في وقته فيثق بوعده ويعلم أنه لا رازق له سواه. . . إلخ[1].

وقال أبو عمر الطلمنكي: «من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله ﷺ، المعرفة بالأسماء والصفات وما تتضمن من الفوائد وتدل عليه من الحقائق، ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالمًا لمعاني الأسماء، ولا مستفيدًا بذكرها ما تدل عليه من المعاني» اهـ[2].

= ثوبان حدثني حسان بن عطية أن أبا كبشة السلولي حدثه أنه سمع ثوبان يقول فذكره.
وإسناده حسن رجاله ثقات، سوى ابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت، صدوق يخطيء (وقد وقع عند الدارمي أبو ثوبان وهو خطأ).
الرابعة: لابن ماجة (٢٧٨) عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو به وفيه ليث وهو ابن أبي سليم ضعيف.
الخامسة: لابن ماجه أيضًا (٢٧٩) عن إسحاق بن أسيد عن أبي حفص الدمشقي عن أبي أمامة بلفظ: «**استقيموا ونعمًا أن استقمتم...**» وفيه أبو حفص مجهول.

(١) انظر: «شأن الدعاء» (ص ٢٧ ـ ٢٨)، «الفتح» (١١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) «الفتح» (١١/٢٢٦) وأبو عمر. وقيل: أبو جعفر هو أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري المقري وكان من المجودين في القراءة وله تصانيف في القراءة، روى الحديث وعمّر حتى جاور التسعين وروى عنه محمد بن عبد الله الخولاني. «معجم البلدان» (٤/ ٣٩) =

جـ - أن يكون الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة فيكون معناه أن من عرفها، وعقل معانيها، وآمن بها دخل الجنة، وهو مأخوذ من الحصاة وهي العقل، والعرب تقول: فلانٌ ذو حصاة، أي : ذو عقل، ومعرفة بالأمور[1].

قال القرطبي: المرجو من كرم الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة.

وهذه المراتب الثلاثة للسابقين والصديقين وأصحاب اليمين» اهـ[2].

د - أن يكون معنى الحديث أن يقرأ القرآن حتى يختمه فيستوفي هذه الأسماء كلّها في أضعاف التلاوة، فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة[3].

قلت: لكن قد يفوته بعض الأسماء الواردة بالأحاديث النبوية الزائدة على القرآن.

ثالثًا : طعن أبو زيد البلخي[4] في صحة الخبر بأن دخول الجنة ثبت في القرآن مشروطًا ببذل النفس والمال فكيف يحصل بمجرد حفظ ألفاظ

= و«الأعلام» (١/ ٢١٢).

(١) «شأن الدعاء» (ص ٢٨ ـ ٢٩)، الفتح (١١/ ٢٢٥).

(٢) «الفتح» (١١/ ٢٢٥).

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٢٩) وانظر فيما سبق أيضًا «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٢٢ ـ ٢٤) والرازي في «شرح الأسماء» (ص ٨١ ـ ٨٢).

(٤) أبو زيد البلخي: هو أحمد بن سهل صاحب التصانيف المشهورة. قال ابن النديم في «الفهرست» (ص ١٩٨): كان فاضلاً في علوم كثيرة وكان يسلك طريق الفلاسفة ويقال له جاحظ زمانه وكان يرمى بالإلحاد، وقال الحافظ في «اللسان» (١/ ١٨٤): ويظهر في غضون كلامه ما يدل على انحلال من الازدراء بأهل العلوم الشرعية وغير ذلك، مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة.

تعدّ في أيسر مدة؟

قال الحافظ:

«وتعقب بأن الشرط المذكور ليس مطّردًا ولا حصر فيه، بل قد تحصل الجنة بغير ذلك، كما ورد في كثير من الأعمال غير الجهاد إن فاعله يدخل الجنة، وأما دعوى أن حفظها يحصل في أيسر مدة فإنما يرد على من حمل «الحفظ والإحصاء» على معنى أن يسردها عن ظهر قلب، فأما من أوّله على بعض الوجوه المتقدمة فإنه يكون في غاية المشقة، ويمكن الجواب عن الأول بأن الفضل واسع» اهـ[(١)].

وقد ذكر الرازي أن من أخذ هذا الحديث دون الزيادة التي فيها تفصيل الأسماء كان المراد بقوله: «**من أحصاها**» أي من طلبها في القرآن وفي جملة الأحاديث الصحيحة حتى يلتقط منها تلك الأسماء التسعة والتسعين . ومعلوم أن ذلك مما لا يمكن تحصيله إلا بعد تحصيل علم الأصول والفروع حتى يقدر على التقاط هذه الأسماء من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعلوم أن من حصل هذه العلوم، واجتهد حتى بلغ درجة يمكنه معها التقاط هذه الأسماء من الكتاب والسنة فقد بلغ الغاية القصوى في العبودية»[(٢)] اهـ باختصار.

رابعًا: قوله: «وهو وتر يحب الوتر».

الوترْ: هو الفرد، ومعناه في صفة الله جلّ وعلا الواحد الذي لا شريك له ولا نظير له، المتفرد عن خلقه البائن منهم بذاته وصفاته فهو سبحانه وتر.

وجميع خلقه شفع خلقوا أزواجًا. قال سبحانه: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ**

(١) «الفتح» (١١/٢٢٧).

(٢) «شرح الأسماء» للرازي (ص ٨٢).

خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

فالمراد أن الله يحب الوتر من كل شيء وإن تعدد ما فيه الوتر، ولذلك أمر بالوتر في كثير من الأعمال والطاعات كما في الصلوات الخمس ووتر الليل وأعداد الطهارة وتكفين الميت، وفي كثير من المخلوقات كالسماوات والأرض[1].

ضعف الطرق التي فيها سرد الأسماء:

وقد وقفت على ثلاثة طرق:

الأولى: ما أخرجه الترمذي (٣٥٧٤) وابن حبان (٢٣٨٤) والحاكم (١٦/١) والبيهقي في «السنن» (٢٧/١٠) وفي «الأسماء والصفات» (ص ١٥ ـ ١٦) وفي «الاعتقاد» (ص ٥٠) والبغوي في «شرح السنة» (٣٢/٥، ٣٣) كلهم من طريق الوليد بن مسلم أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحدة من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس...»**.

قال الترمذي عقب الحديث: «هذا حديث غريب حدثنا به غيرُ واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح» اهـ.

ولم ينفرد به صفوان بن صالح كما قال الترمذي فقد أخرجه البيهقي

---

(١) انظر: «الفتح» (٢٢٧/١١).

في «الأسماء» (ص ١٥) من طريق موس بن أيوب النصيبي وهو ثقة عن الوليد بن مسلم.

وهذه الطريق هي أحسن الطرق على ضعف فيها كما سيأتي بيانه.

الثانية : ما أخرجه ابن ماجه (٣٨٦١) من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني ثنا زهير بن محمد التميمي ثنا موسى بن عقبة حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة به مع اختلاف في سرد الأسماء ونقص وتقديم وتأخير.

قال البوصيري في «الزوائد»: «لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره غير ابن ماجه والترمذي مع تقديم وتأخير وطريق الترمذي أصح شئ في الباب».

قال: «وإسناد طريق بن ماجه ضعيف لضعف عبد الملك بن محمد» اهـ.

قلت: عبد الملك بن محمد هو الحميري البرسمي قال فيه الحافظ: لين الحديث.

الثالثة : أخرجها الحاكم (١٧/١) والبيهقي في الأسماء (ص ١٨ ـ ١٩) وفي «الاعتقاد» (ص ٥١) من طريق خالد بن مخلد القطواني ثنا عبد العزيز بن حصين بن الترجمان ثنا أيوب السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ به.

قال الحاكم: عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة وإن لم يخرجاه.

فتعقبه الذهبي بقوله: بل ضعفوه.

وقد ذكر من ضعفه في «الميزان» (٦٢٧/٢) : قال البخاري : ليس

بالقوي عندهم، وقال ابن معين: ضعيف، وقال مسلم: ذاهب الحديث، وقال ابن عدي: الضعف على رواياته بيّن.

وقال البيهقي في «الأسماء» (ص ١٩) : «ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة وكذلك في حديث الوليد بن مسلم ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح» اهـ.

ونقل الحافظ في «التلخيص» (٤/ ١٧٣) عن ابن العربي قوله : «لا نعلم هل تفسير هذا الأسامي في الحديث أو من قول الراوي».

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٧٩): «فالحديث الذي فيه ذكر ذلك ـ أي الأسماء الحسنى ـ هو حديث الترمذي روى الأسماء الحسنى في جامعه من حديث الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . ورواها ابن ماجه في سننه[1] من طريق مخلد بن زياد القطواني عن هشام بن حسان بن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه». وانظر : «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٩٦ ـ ٩٧) و (٢٢/ ٤٨٢).

وقال ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٢٦٩): «والذي عوّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما

(١) تنبيه: قول ابن تيميه رحمه الله رواها ابن ماجه من طريق مخلد بن زياد عن هشام... إلخ وهم إنما رواها من طريق زهير بن محمد ثنا موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة به، والطريق المذكورة للترمذي .

رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك.

أي أنهم جمعوها من القرآن، كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان ابن عيينة[1] وأبو زيد اللغوي والله أعلم» اهـ.

وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢١٥): «واختلف العلماء في سرد الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر عن بعض الرواة، فمشى كثير منهم على الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم لأن كثيرًا من هذه الأسماء كذلك، وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه ونقله عبد العزيز النخشبي عن كثير من العلماء».

ثم نقل عن الحاكم قوله إن العلة فيه مجرد تفرد الوليد بن مسلم وأنه أوثق ممن رواه بدون ذكر الأسماء.

وردّ عليه الحافظ بقوله: «وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج» اهـ.

وقد نقل الحافظ ما يدل على الإدراج، وهو ما أخرجه عثمان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه أبو نعيم عن الطبراني عن أحمد بن عمر والخلال عن ابن أبي عمرو حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين سألت أبا جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء الحسنى فقال: هي في القرآن، ذكره الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢١٧).

وكذا رواية سفيان بن عيينة قال: وروينا في « فوائد تمام» من طريق أبي الطاهر بن السرح عن حبان بن نافع عن سفيان بن عيينة الحديث، يعني حديث «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا**» قال: فوعدنا سفيان أن يخرجها لنا من القرآن فأبطأ، فأتينا أبا زيد فأخرجها لنا فعرضناها على سفيان فنظر فيها أربع مرات وقال: نعم هي هذه، ثم ساق الحافظ ما ذكره جعفر وأبو زيد من الأسماء وقال في نهايتها: وفيها اختلاف شديد وتكرار وعدة أسماء لم ترد بلفظ الاسم اهـ.

الدارمي في «النقض على المريسي»[1] عن هشام بن عمار عن الوليد فقال عن خليد بن دعلج عن قتادة عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة فذكره بدون التعيين، قال الوليد وحدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك وقال: كلها في القرآن «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» وسرد الأسماء.

وأخرجه أبو الشيخ بن حيان من رواية أبي عامر القرشي عن الوليد ابن مسلم بسند آخر فقال: «حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة، قال زهير: فبلغنا أن غير واحد من أهل العلم قال: إن أولها أن تفتتح بلا إله إلا الله وسرد الأسماء» اهـ.

وهذه الرواية هي رواية ابن ماجه السابقة ولكن وقع فيها سرد الأسماء أولاً ثم بعد أن انتهى سردها، قال زهير: فبلغنا من غير واحد من أهل العلم، أن أولها يفتح بقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شئ قدير، لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى.

قال الحافظ: «والوليد بن مسلم أوثق من عبد الملك الصنعاني، ورواية الوليد تشعر بأن التعيين مدرج» اهـ.

قلت: بل عبد الملك لين الحديث كما نقلنا آنفًا من قول الحافظ نفسه!

وقال في «بلوغ المرام» (ص٢٥٤): «والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة» اهـ.

وقال الصنعاني في «سبل السلام» (١٠٨/٤): اتفق الحفاظ من أئمة

---

(١) طبع بمصر باسم «الرد على المريسي» بتحقيق محمد حامد الفقي.

الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة» اهـ[1].

خلاصة القول أن هذه الزيادة مدرجة في الحديث ولا يصح رفعها.

***

(١) قد خالف في ذلك بعض العلماء كالنووي رحمه الله فقد حسنه في كتابه «الأذكار» (ص ٨٥).

الاسم الأعظم للرب تبارك وتعالى

وقد ورد فيه عدة أحاديث صحيحة وهي:

١- حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. فقال: **«لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب»**.

وفي رواية فقال: **«والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»**[1].

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٩٣، ١٤٩٤) والترمذي (٣٥٤٢) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه: (٣٨٥٧) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٤٠٩، ١٧٤٥٦) وابن حبان (٢٣٨٣) والحاكم (١/ ٥٠٤) من طريق مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه به. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قلت: وهو على شرط مسلم فقط، والرواية الثانية للترمذي.

وأخرجه أحمد (٤/ ٣٣٨) وأبو داود (٩٨٥) والنسائي (٣/ ٥٢) عن عبد الوارث بن سعيد ثنا حسين المعلم عن ابن بريدة حدثني حنظلة بن علي أن محجن بن الأدرع حدثه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد إذا رجل قد قضى صلاته وهو يتشهد فقال: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم. فقال رسول الله ﷺ: **«قد غفر له»** ثلاثًا وإسناده صحيح ولم يأت فيه ذكر أنه دعا بالاسم الأعظم.

وأخرجه الحاكم (١/ ٥٠٤) عن الحسن بن الصباح ثنا الأسود بن عامر أنبا شريك عن أبي إسحاق عن ابن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد فقال: **«لقد سأل الله باسمه** =

٢- حديث أنس رضي الله عنه قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ في المسجد ورجل يصلي فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنّان المنّان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم. فقال النبي ﷺ: **«دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»**(١).

= **الأعظم والأكبر الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»** وقال صحيح على شرط مسلم وقد ساقه شاهدًا للحديث الأول. قال الترمذي: «وروى شريك هذا الحديث عن أبي إسحاق عن ابن بريدة عن أبيه وإنما أخذه أبو إسحاق عن مالك بن مغول» اهـ . وقد رواه الطحاوي في «المشكل» (١/٦١) عن شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق ومالك بن مغول عن ابن بريدة عن أبيه ، وشريك بن عبد الله هو النخعي القاضي صدوق يخطئ كثيرًا.

(١) أخرجه أحمد (٣/١٥٨، ٢٤٥) وأبو داود (١٤٩٥) والنسائي (٣/٥٢) وابن حبان (٢٣٨٢) «زوائد» والحاكم (١/٥٠٣) والطحاوي في «المشكل» (١/ ٦٢) عن خلف بن خليفة عن حفص بن أخي أنس عن أنس بن مالك به وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم قلت: خلف بن خليفة صدوق اختلط في الآخر.

وأخرجه أحمد (٣/ ١٢٠) وابن أبي شيبة (٩٤١٠، ١٧٤٥٧) وابن ماجه (٣٨٥٨) عن وكيع ثنا أبو خزيمة عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك به. وإسناده حسن. أبو خزيمة هو نصر بن مرداس وقيل صالح بن مرداس. قال أبو حاتم: لا بأس به، وقال الحافظ: صدوق. فالحديث صحيح بهذين الطريقين.

وأخرجه أحمد (٣/٢٦٥) قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم الرازي ثنا سلمة بن الفضل حدثني محمد بن إسحاق عن عبد العزيز بن مسلم عن عاصم عن إبراهيم بن عبيد الله بن رفاعة عن أنس قال: مر رسول الله ﷺ بأبي عياش زيد بن صامت الزرقي وهو يصلي فذكره.

وقد أخرجه الطحاوي في «المشكل» (١/ ٦٢) دون ذكر عاصم في الإسناد، عبد العزيز ابن مسلم قال الحافظ: مقبول أي حيث يتابع وإلا لين الحديث ، ومحمد بن إسحاق صاحب المغازي مدلس وقد عنعن هنا، وسلمة بن الفضل صدوق كثير الخطأ. ورواه الحاكم (١/ ٥٠٤) ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الربيع بن سليمان ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عياض بن عبد الله الفهري عن إبراهيم بن عبيد عن أنس بن مالك به دون ذكر اسم الصحابي، وفيه عياض بن عبد الله قال ابن معين: ضعيف الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث وقال الساجي: روى عنه ابن وهب أحاديث فيها نظر. =

٣- حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث، في البقرة وآل عمران وطه»(١).

ويلاحظ أن الاسم الذي تكرر في هذه الأحاديث هو (الله) فقد ورد

= وأخرجه الترمذي (٣٦١٢) ثنا محمد بن أبي ثلج ثنا يونس بن محمد أخبرنا سعيد بن زربيٍّ عن عاصم الاحول وثابت عن أنس به، وفيه سعيد بن زربي وهو العباداني. قال البخاري: عنده عجائب وضعفه ابوداود والنسائي وقال أبو حاتم: عنده عجائب من المناكير.

(١) صحيح لطرقه: أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٦) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٦٣) والطبراني في الكبير (٧٧٥٨) عن عمرو بن أبي سلمة الدمشقي سمعت عيسى بن موسى سمع غيلان بن أنس يحدث عن القاسم عن أبي أمامة به، وزاد الطحاوي قال أبو حفص: فنظرت في هذه السور الثلاث فرأيت فيها شيئًا ليس في القرآن مثلها. آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وفي آل عمران ﴿الم ① اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [١، ٢] وفي طه﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [١١١]. وأبو حفص هو عمرو ابن أبي سلمة التنيسي، صدوق له أوهام وغيلان بن أنس قال الحافظ: مقبول أي حيث يتابع وإلا فلين.

تنبيه: وقع عند الطحاوي علاء بن أنس وهو تصحيف.

ورواه الطحاوي (١/ ٦٣) والطبراني في «الكبير» (٧٩٢٥) والحاكم (١/ ٥٠٥) من طريق هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن العلاء أنه سمع القاسم أبا عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة فذكره وفي رواية الحاكم قال القاسم: فالتمستها أنه الحي القيوم. وإسناده حسن.

القاسم هو ابن عبد الرحمن الشامي صدوق يرسل كثيرًا. وقال البخاري وغيره: سمع من أبي أمامة. انظر: «التهذيب» (٨/ ٣٢٢) ، وهشام بن عمار صدوق كبر فصار يتلقن لكن تابعه عمار بن نصر عند الحاكم (١/ ٥٠٦) أخبرنا أبو عبد الله الصفار ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني عمار بن نصر ثنا الوليد بن مسلم بمثل الإسناد السابق وزاد: فالتمستها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وفي سورة طه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾. والصفار هو محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار. قال الذهبي في «السير» (١٥/ ٤٣٧): الشيخ الإمام المحدث القدوة، وعمار بن نصر صدوق ، فالإسناد حسن.

تنبيه: وقع في رواية الطبراني عبد الله بن العلاء بن زيد والصحيح بن زبر بالموحدة وهو ثقة من رجال البخاري.

في الحديث الأول وورد في الحديث الثاني بصيغة «اللهم». وإنما كان الأصل فيه «يا الله» فلما حذفوا الياء من أول الحرف زادوا الميم في آخره ليرجع المعنى الذي في «يا الله»(١).

وكذلك ورد في الآية التي استخرجها القاسم(٢) من سورة البقرة وسورة آل عمران.

وأما قوله في طه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] فالظاهر أنه أخطأ فيه كما قال الطحاوي رحمه الله: «وقد يحتمل أن يكون هو ما في «طه» سوى ذلك وهو قول الله تعالى فيها: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ٧ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [طه: ٧، ٨] الآية. فيرجع ما في «طه» إلى مثل ما رجع إليه ما في سورة البقرة وما في سورة آل عمران أنه الله تعالى(٣).

وأما حديث أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله ﷺ: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وفاتحة آل عمران ﴿الم ۝ ١ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢] فهو حديث ضعيف(٤).

---

(١) انظر تفصيل القول فيها في «التفسير القيم» (ص ٢٠٢).

(٢) ورد في «مشكل الآثار» أن الذي استخرجها من القرآن هو أبو حفص عمرو بن أبي سلمة الدمشقي.

(٣) «مشكل الآثار» (١/ ٦٣).

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد (٥/ ٤٦١) وأبو داود (١٤٩٦) والترمذي (٣٤٧٢) وابن ماجه (٣٨٥٥) وابن أبي شيبة (٩٤١٢، ١٧٤٥٥) والدارمي في «السنن» فضائل القرآن (٢/ ٤٥٠) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٦٤) كلهم من طريق عبيد الله بن أبي زياد القداح ثنا شهر بن حوشب عن أسماء مرفوعًا، وهذا إسناد ضعيف، فعبيد الله بن أبي زياد ضعفه ابن معين وأبو داود والنسائي وأبو حاتم وقال. لا يحتج به إذا انفرد وقال الحافظ في «التقريب»: ليس بالقوي، وكذا شهر بن حوشب فقد ضعفه شعبة وابن عون وموسى=

وقد اختار القول بأن الاسم الأعظم لله تعالى هو (الله) الطحاوي كما سبق وكذا ابن القيم فقد قال ـ بعد أن بيّن لوازم أسماء الله الحسنى ـ : فاسم (الله) دالٌ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث ، فإنه دالٌ على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ويقال: «الرحمن والرحيم والقدوس والسلام والعزيز والحكيم» من أسماء الله ولا يقال: (الله) من أسماء (الرحمن) ولا من أسماء (العزيز) ونحو ذلك.

«فعلم أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دالٌ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله) واسم (الله) دالٌ على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمن لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله). وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال

= ابن هارون والنسائي وقال الحافظ في «التقريب»: صدوق كثير الإرسال والأوهام ، فالحديث ضعيف بهذه الطريق والله أعلم.

القوة وتدبير أمر الخليقة: أخص باسم «الرب».

وصفات الإحسان والجود والبر، والحنان والمنة، والرأفة واللطف أخص باسم «الرحمن» وكرر إيذانًا بثبوت الوصف وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته»[1].

وقد ساق فخر الدين الرازي في كتابه «شرح أسماء الله الحسنى» حجج من قال: «إن الاسم الأعظم هو (الله) منها:

١- إن هذا الاسم ما أطلق على غير الله تعالى فإن العرب كانوا يسمون الأوثان آلهة إلا هذا الاسم فإنهم ما كانوا يطلقونه على غير الله سبحانه وتعالى والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] معناه هل تعلم من اسمه الله سوى الله، ولما كان هذا الاسم في الاختصاص بالله تعالى على هذا الوجه، وجب أن يكون أشرف أسماء الله سبحانه وتعالى.

٢- إن هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله سبحانه وتعالى وسائر الأسماء مضافة إليه. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فأضاف سائر الأسماء إليه، ولا محالة أن الموصوف أشرف من الصفة، ولأنه يقال: الرحمن الرحيم الملك القدوس كلها من أسماء الله تعالى، ولا يقال الله اسم الرحمن الرحيم فدل هذا على أن الاسم هو الأصل.

فإن قيل لفظ (الله) قد جعل نعتًا في قوله تعالى في أول سورة إبراهيم: ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٢ ـ ٣٣).

﴿الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١، ٢] قلنا: قرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وخبره فيما بعده والباقون بالجر عطفًا على قوله العزيز الحميد، وقال أبو عمرو: والخفض على التقديم والتأخير تقديره: صراط الله العزيز الحميد.

٣- قوله تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾** [الإسراء: ١١٠] خص هذين الاسمين بالذكر وذلك يدل على أنهما أشرف من غيرهما، ثم إن اسم (الله) أشرف من اسم (الرحمن).

وأما أولاً: فلأنه يقال قدمه في الذكر(١).

وأما ثانيًا: فلأن اسم الرحمن يدل على كمال الرحمة ولا يدل على كمال القهر والغلبة والعظمة والقدس والعزة، وأما اسم الله فإنه يدل على كل ذلك، فثبت أن اسم (الله) تعالى أشرف.

٤- هذا الاسم له خاصية غير حاصلة في سائر الأسماء وهي أن سائر الأسماء والصفات إذا دخل عليه النداء أسقط عنه الألف واللام، ولهذا لا يجوز أن يقال: يا الرحمن يا الرحيم، بل يقال: يا رحمن يا رحيم، أما هذا الاسم فإنه يحتمل هذا المعنى فيصح أن يقال: يا الله. وذلك أن الألف واللام في هذا الاسم صار كالجزء الذاتي فلا جرم لا يسقطان حالة النداء وفيه إشارة لطيفة، وذلك لأن الألف واللام للتعريف فعدم سقوطهما عن هذا الاسم يدل على أن هذه المعرفة لا تزول أبدًا ألبتة اهـ باختصار(٢).

---

(١) وأيضًا كل الناس يقدمون هذا الاسم في الذكر على سائر الأسماء وكذا في الخطب والمواعظ.

(٢) «شرح أسماء الله الحسنى» (٩١ ـ ٩٦).

مسألة

* هل اسم (الله) مُشْتَقٌّ أو هو اسمٌ جَامد؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين أصحهما أنه: مشتق.

قال ابن القيم رحمه الله: «زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم الله غير مشتق[1]، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ولاريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه (الله) ثم الجواب عن الجميع.

إننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعًا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

وقال: ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى اهـ[2].

---

(١) وذهب الزجاج أيضًا أنه غير مشتق. انظر: «تفسير الأسماء» (ص ٢٥).

(٢) «بدائع الفوائد» (١/ ٢٢ ـ ٢٣).

أَصلُ كلمة (الله) في اللغة

قال ابن الأثير(١): «هو مأخوذ من إله وتقديرها فعلانية، بالضم، تقول: إله بين الإلهية والأُلهانية، وأصله من أَلِهَ يأْلَهُ إذا تحيّر، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف همه إليها، أبغض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد» اهـ(٢).

قال أبو الهيثم: فالله أصله إله، قال الله عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قال: ولا يكون إلهًا حتى يكون معبودًا، وحتى يكون لعابده خالقًا ورازقًا ومدبرًا وعليه مقتدرًا، فمن لم يكن كذلك فليس بإله وإن عُبد ظلمًا بل هو مخلوق ومُتعبدٌ. قال: وأصل إله وِلاهٌ فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح إشاح، وللوجاح إجاح، ومعنى وِلاهٍ أن الخلق يَولَهونَ إليه في حوائجهم ويَضرعون إليه فيما يصيبهم ويفزعون إليه في كل ما ينوبُهُم كما يَوله كل طفل إلى أمه.

وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها إلاهَة.

---

(١) هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير صاحب كتاب « النهاية في غريب الحديث والأثر» وكتاب «جامع الأصول» وغيرها ولد سنة (٥٤٤ هـ) بجزيرة ابن عمر ـ بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام - وكان به نقرس فكان يُحمل في محفة، توفي سنة (٦٠٦هـ) بالموصل. «السير» للذهبي (٢١/ ٤٨٨)، «وفيات الأعيان»(١٤/ ١٤١)، «الأعلام» (٥/ ٢٧٢).

(٢) «النهاية» (١/ ٦٢).

وقد ضعّف الزجاج هذا القول (وهو أن أصل إله ولاه)[٣].

وقال ابن سيدَه: والإلاهة والألُوهة والأُلوهية العبادة، وقد قريء ﴿ ويَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وقرأ ابن عباس ﴿ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ﴾ بكسر الهمزة أي وعبادتك، وهذه الأخيرة عند ثعلب كأنها هي المختارة. قال: لأن فرعون كان يُعبد ولا يَعبد فهو على هذا ذو إلاهةٍ لا ذو آلهة والقراءة الأولى أكثر والقراء عليها.

قال ابن بَرِّي[١]: يقوي ما ذهب إليه ابن عباس في قراءته ﴿ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ﴾ قول فرعون: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] وقوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

وكانت العرب في الجاهلية يدعون معبوداتهم من الأوثان والأصنام آلهة وهي جمع إلاهة. قال الله عز وجل ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ وهي أصنام عبدها قوم فرعون معه، و(الله) أصله إلاه، على فعال بمعنى مفعول لأنه مألُوه أيّ: معبود، كقولنا إمام فِعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به، فلما أُدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفًا لكثرته في الكلام[٢].

وقال ابن القيم: القول الصحيح أن (الله) أصله الإله. كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم.

* * *

---

(١) «تفسير الأسماء» (ص ٢٥).

(٢) هو عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي الأصل المصري، أبو محمد من علماء العربية النابهين ولد سنة (٤٩٩هـ) بمصر ونشأ بها وتوفي سنة (٥٨٢ هـ)، وولي رياسة الديوان المصري، له «الرد على ابن الخشاب» ط و «غلط الضعفاء من المحدثين» ط. الأعلام(٤/ ٧٤).

(٣) انظر: «لسان العرب» (١/ ١١٤ ـ ١١٥) وكذا الأقوال السابقة.

* **تنبيه:**

لا يشرع ذكر الله باسم الجلالة (الله) مفردًا:

وذلك أن بعض الجاهلين من المسلمين يذكر الله باسم الجلالة مفردًا ، فيجعلون لهم أورادًا يرددون فيها لفظ الجلالة (الله) مرات عديدة كألف أو ألفين أو أكثر، وأحيانًا يجتمعون على ذلك في حلقات وهم جالسون أو وهم واقفون يتمايلون ذات اليمين وذات الشمال، ويقفزون بين الحين والآخر، ويُصاحب ذلك دقات الطبول وأصوات المزامير!! وتشتد الأصوات حتى لا تسمع إلا (هو هو هو) أو (أه أه أه) أو (حع حع حع) ويزعمون بعد هذه البدعـة النكراء والفعلة الشنعاء أنهم يذكرون الله!!!

ومن قال أنه يشرع للمسلم أن يردد هذا الاسم مفردًا؟! أو غيره من الأسماء؟! إن الأذكار التي جاءت عن النبي ﷺ لم تكن على هذه الصورة أبدًا، ولم يسن لهم ذلك في حديث قط، بل كل الأذكار الصحيحة الواردة عنه نجد فيها أن لفظ الجلالة لا يذكر مفردًا، من ذلك قوله ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطَّت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر**»[1].

وقوله: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[2].

وقوله: «**أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[3].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

وهكذا سائر الأذكار الواردة عنه ﷺ، ولم يأت في حديث قط أنه ردَّد هذا الاسم (الله) مفردًا.

* أحب الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله وعبد الرحمن، كما جاء في الحديث الصحيح، وكشف عن سر ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في كلامه على «الأسماء والكنى» في كتابه الممتع «زاد المعاد»: «ولما كان الاسم مقتضيًا لمسماه، ومؤثرًا فيه كان أحب الأسماء إلى الله ما اقتضى أحبَّ الأوصاف إليه، كعبد الله وعبد الرحمن، وكان إضافة العبودية إلى اسم الله واسم الرحمن، أحبَّ إليه من إضافتها إلى غيرهما، كالقاهر والقادر، فعبد الرحمن أحبُّ إليه من عبد القادر، وعبد الله أحبُّ إليه من عبدِ ربِّه، وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين الله إنما هو العبوديةُ المحضة، والتعلقُ الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة، فبرحمته كان وجوده وكمالُ وجوده، والغاية التي أوجده لأجلها: أن يتألَّه له وحده محبة وخوفًا، ورجاء وإجلالاً وتعظيمًا، فيكون عبدًا لله، وقد عبده لما في اسم الله من معنى الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره. ولما غَلَبَت رحمته غضبه، وكانت الرحمةُ أحبَّ إليه من الغضب، كان عبد الرحمن أحبَّ إليه من عبد القاهر»[1].

* * *

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٣٤٠).

الرَّحْمَنُ - الرَّحِيم
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٢، ٣)

* **المعنى اللغوي:**

الرحمة هي الرقة والتعطّف، والاسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و(رحمن) أشد مبالغة من (رحيم)، لأن بناء فعلان أشد مبالغة من فعيل ونظيرهما نديم وندمان.

وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا[١].

واتفق أكثر العلماء على أن اسم (الرحمن) عربي لفظه.

وقال ابن الحصار بعد سرده للحديث القدسي: «**أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي...**»: فقد دل هذا الحديث الصحيح على الاشتقاق، فلا معنى للمخالفة والشقاق[٢].

وقال ثعلب: إنه عبراني الأصل وكان رخمانا بالخاء المعجمة[٣].

---

(١) «جامع البيان» (١/ ٤٣).

(٢) «الكتاب الأسنى» ورقة (٢٥٤ ب).

(٣) «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٢٠٧) و«لسان العرب» (٣/ ١٦١١).

فائدة: اختلف الأئمة في وقوع المُعَرَّب في القرآن ـ أي ما هو بغير لغة العرب ـ فالأكثرون ومنهم الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [يوسف: ٢] وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ** ﴾ [فصلت: ٤٤] وقد شدد الشافعي النكير على القائل=

اما انكـــار كفار قريش يـوم الحديبيـــة لما قال رســـول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)». فقال سهيل: أما (الرحمن) فوالله ما أدري ما هي ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

فاظاهر أنه إنكار جحود وعناد وتعنت، ومما يدل على أنهم كانوا يعرفون هذا الاسم قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

وقد جاء في بعض أشعار الجاهلية، كقول سلامة بن جندب الطهوي:

عجلتم علينا إذ عجلنا عليكم ... وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

= ذلك. انظر: «الرسالة» (ص ٤٠ ـ ٥٣).

وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن إنها بالفارسية والحبشية والنبطية أو نحو ذلك. إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعًا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها اعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب فعرّبتها بالسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال: إنها عربية فهو صادق ومن قال أعجمية فصادق ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون. انظر: «الاتقان في علوم القرآن» للسيوطي (١٧٨/١ ـ ١٨٠).

(١) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) والتصريح بأن الكاتب هو علي رضي الله عنه جاء في رواية أخرى للبخاري ايضًا برقم (٢٦٩٨).

وقد ردّ ابن جرير بشدة علي من قال أن العرب كانت لا تعرف (الرحمن) فقال: وقد زعم أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن» اهـ. وبين أن ذلك كان جحوداً[1].

*** ورود الاسمين في القرآن الكريم:**

ذُكر (الرحمن) في القرآن سبعًا وخمسين مرة منها قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقوله سبحانه: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴾ [مريم: ٩٣].

وقوله: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [طه: ٥].

وقوله: ﴿ **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا** ﴾ [الفرقان: ٢٦].

وأما اسمه (الرحيم) فقد ذكر مائة وأربع عشرة مرة منها:

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ٥٤].

وقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ وهو كثير في الكتاب، انظر مثلاً [البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٩].

وقولـه تعالى: ﴿ **يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

وقولـه سبحـانه: ﴿ **فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٩].

---

(١) «جامع البيان»(١/ ٤٤).

وقوله تعالى: ﴿واسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ترددت مرارًا في الشعراء.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

وقوله: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء: ٦٦].

*** معنى الاسمين في حق الله تعالى:**

الاسمان كما قلنا مشتقان من الرحمة و(الرحمن) أشد مبالغة من (الرحيم)، ولكن ما الفرق بينهما ؟ هناك قولان في الفرق بين هذين الاسمين:

الأول: إن اسم (الرحمن): هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة. و(الرحيم): هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فذكر الاستواء باسمه (الرحمن) ليعم جميع خلقه برحمته.

وقال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. فخص المؤمنين باسمه (الرحيم)(١).

ولكن يشكل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

القول الثاني: هو أن (الرحمن) دال علي صفة ذاتية و(الرحيم) دال على صفة فعلية.

قال ابن القيم رحمه الله: «إن (الرحمن) دال على الصفة القائمة به

(١) انظر: «جامع البيان» (٤٣/١)، وقد ذكر أقوالاً أخرى، إن شئت فراجعها (ص ٤٤ ـ ٤٥).

سبحانه، و «الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل.

فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ولم يجئ قط «رحمن بهم» فعلم أن (رحمن) هو الموصوف بالرحمة و(رحيم) هو الراحم برحمته. وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها» اهـ[١].

و(الرحمن) من الأسماء التي منع الله من التسمية بها كما قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهو (الله).

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو الأشهب عن الحسن قال: (الرحمن) اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى[٢]. ولذا فلا يجوز أن يصرف للخلق.

وأما (الرحيم) فإنه تعالى وصف به نبيه ﷺ حيث قال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فيقال: رجل رحيم. ولا يقال: رحمن.

قال ابن كثير: «والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره ومنها

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ٢٤).

(٢) وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٢١) وإسناده حسن.

ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم، لأن التسمية أولاً تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص» اهـ[1].

*** آثار الإيمان بهذين الاسمين:**

١- إثبات صفة الرحمة لله رب العالمين:

من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة «الرحمة»، وهي صفة كمال لائقة بذاته كسائر صفاته العلى، لا يجوز لنا أن ننفيها أو نعطلها لأن ذلك من الإلحاد في أسمائه.

وأما قول الزمخشري وأصحابه أن الرحمة مجاز في حق الله تعالى وأنها عبارة عن إنعامه على عباده[2]، فهي نزعة اعتزالية قد حفظ الله تعالى منها سلف المسلمين وأئمة الدين فإنهم أقروا ما ورد على ما ورد، وأثبتوا لله تعالى ما أثبته له نبيه ﷺ من غير تصرف بكناية أو مجاز، وقالوا: لسنا أغير على الله من رسوله[3].

وقد ردّ ابن القيم رحمه الله تعالى على القائلين بأن رحمة الله مجاز ردًا مفصلاً، وأتى بما لا مزيد عليه في كتابه «الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة».

ولعظيم فائدتها فإنا نسوقها إليك باختصار:

الرد الأول: إن الإلحاد إما أن يكون بإنكار لفظ الاسم، أو بإنكار معناه، فإن كان إنكار لفظه إلحادًا فمن ادعى أن (الرحمن) مجاز لا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: «الكشاف» (١/ ٤٥).

(٣) انظر: «روح المعاني» (١/ ٦٠).

حقيقة فإنه يجوّز إطلاق القول بنفيها فلا يستنكف أن يقول ليس بالرحمن ولا الرحيم. كما يصح أن يقال للرجل الشجاع ليس بأسد على الحقيقة.

وإن قالوا : نتأدب في إطلاق هذا النفي فالأدب لا يمنع صحة الإطلاق وإن الإلحاد هو إنكار معاني أسمائه وحقائقها فقد أنكرتم معانيها التي تدل عليها بإطلاقها، وما صرفتموها إليه من المجاز فنقيض معناها، أو لازم من لوازم معناها، وليس هو الحقيقة ولهذا يصرح غلاتهم بإنكار معانيها بالكلية ويقولون هي ألفاظ لا معاني لها.

الرد الثاني: إن هذا الحامل لكم على دعوي المجاز في اسم الرحمن هو بعينه موجود في اسم العليم والقدير والسميع والبصير وسائر الأسماء.

فإن المعقول من العلم صفة عرضية تقوم بالقلب إما ضرورية وإما نظرية، والمعقول من الإرادة حركة النفس الناطقة لجلب ما ينفعها ودفع ما يضرها، أو ينفع غيرها أو يضره.

والمعقول من القدرة القوة القائمة بجسم تتأتى به الأفعال الاختيارية فهل تجعلون إطلاق هذه الأسماء والصفات على الله حقيقة أم مجازاً؟

فإن قلتم حقيقة تناقضتم أقبح التناقض، إذ عمدتم إلى صفاته سبحانه فجعلتم بعضها حقيقة وبعضها مجازاً، مع وجود المحذور فيما جعلتموه حقيقة.

وإن قلتم لا يستلزم ذلك محذوراً، فمن أين استلزم اسم الرحمن المحذور؟ وإن قلتم الكل مجاز، لم تمكنوا بعد ذلك من إثبات حقيقة لله ألبتة، لا في أسمائه ولا في الإخبار عنه بأفعاله وصفاته وهذا انسلاخ من العقل والإنسانية.

الرد الثالث: إن نفاة الصفات يلزمهم نفي الأسماء من جهة أخرى، فإن العليم والقدير والسميع والبصير، أسماء تتضمن ثبوت الصفات في

اللغة فيمن وصف بها، فاستعمالها لغير من وصف بها، استعمال للاسم في غير ما وضع له، فكما انتفت عنه حقائقها فإنه تنتفي عنه أسماؤها، فإن الاسم المشتق تابع للمشتق منه في النفي والإثبات، فإذا انتفت حقيقة الرحمة والعلم والقدرة والسمع والبصر انتفت الأسماء المشتقة منها عقلاً ولغة، فيلزم من نفي الحقيقة أن تنفي الصفة والاسم جميعًا.

الرد الرابع: إنه كيف يكون أظهر الأسماء التي افتتح الله بها كتابه في أم القرآن وهي من أظهر شعار التوحيد، والكلمة الجارية على ألسنة أهل الإسلام وهي: بسم الله الرحمن الرحيم التي هي مفتاح الطهور والصلاة وجميع الأفعال، فكيف يكون مجازًا؟

الرد الخامس: قولهم الرحمة رقة القلب، تريدون رحمة المخلوق أم رحمة الخالق؟ أم كل ما سمي رحمة شاهدًا أو غائبًا؟

فإن قلتم بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئًا، وإن قلتم بالثاني والثالث كنتم قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيوانًا له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه وإن كان مَلَكًا فرحمته تناسب ذاته.

فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق لمخلوق.

وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة إلزامًا ووجوبًا، فكيف يكون رحمة أرحم الراحمين مجازًا دون السميع العليم؟

الرد السادس: إنه من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شئ مجازًا ورحمة العبد الضعيفة القاصرة المخلوقة

المستعارة من ربه التي هي من آثار رحمته حقيقة. وهل في قلب الحقائق أكثر من هذا؟

الرد السابع: ما رواه أهل السنن عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «**أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**»[1].

فهذا صريح في أن اسم الرحمة مشتق من اسمه (الرحمن) تعالى، فدل على أن رحمته لما كانت هي الأصل في المعنى كانت هي الأصل في اللفظ ومثل هذا قول حسان رضي الله عنه في النبي ﷺ:

فَشَقَّ له من اسمه لِيُجِله فذُو العَرْشِ مَحمودٌ وهذا مُحمد

فإذا كانت أسماء الخلق الممدوحة مشتقة من أسماء الله الحسنى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/٤٩٨) والحاكم (٤/١٥٧) عن يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال: **قال الله عز وجل**... فذكره، وهذا إسناد حسن، محمد بن عمرو هو ابن وقاص الليثي صدوق له أوهام، وللحديث طرق أخرى فقد أخرجه أبو داود (١٦٩٤) والترمذي (١٩٧٢) عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن عوف به. وقال الترمذي: صحيح. والحديث منقطع فإن أبا سلمة لم يسمع من أبيه شيئًا.
وجاء من طريق أخرى موصولاً: فقد أخرج أحمد (١/١٩٤) وأبو داود (١٦٩٥) وابن حبان (٢٠٣٣) والحاكم (٤/١٥٧) الحديث من طريق معمر عن الزهري ثني أبو سلمة أن أبا الرداد الليثي أخبره عن عبد الرحمن بن عوف به. وقد نقل الترمذي عن البخاري قوله أن هذا خطأ من معمر. ولكن معمر لم يتفرد فقد تابعه شعيب بن أبي حمزة وهو من أثبت الناس في الزهري عند الإمام أحمد (١/١٩١) والحاكم (٤/١٥٨)، ومتابعة أخرى عند الحاكم لسفيان بن عيينة (٤/١٥٨) وثالثة عند الحاكم أيضًا لمحمد بن أبي عتيق (٤/١٥٨)، وأبو الردَّاد وقيل ردّاد الليثي، قال الحافظ: مقبول.
وللحديث طريق أخرى عند أحمد (١/١٩١) عن هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ أن أباه حدثه أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف.. فذكره . وعبد الله بن قارظ لا يعرف. فالحديث بجملة هذه الطرق صحيح.

كانت أسماؤه يقينًا سابقة فيجب أن تكون حقيقة، لأنها لو كانت مجازًا، لكانت الحقيقة سابقة لها، فإن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له فيكون اللفظ قد سمي به المخلوق ثم نقل إلى الخالق وهذا باطل قطعًا.

الرد الثامن: ما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لما قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ كِتابًا فهو مَوضوعٌ عنده فوقَ العَرشِ: إنَّ رحمتي سَبَقَت غَضَبي**» وفي لفظ: «**غلبت**».

وقال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام: ٥٤]، فوصف نفسه سبحانه بالرحمة وتسمّى بالرحمن قبل أن يكون بنو آدم.

فادعاء المدعي أن وصفه بالرحمن مجاز من أبطل الباطل.

الرد التاسع: إنه من المعلوم أن المعنى المستعار يكون في المستعار منه أكمل في المستعار له، وأن المعنى الذي دل عليه اللفظ بالحقيقة أكمل من المعنى الذي دل عليه بالمجاز، وإنما يستعار لتكميل المعنى المجازي تشبيهه بالحقيقي، كما يستعار الشمس والقمر والبحر للرجل الشجاع والجميل والجواد.

فإذا جعل الرحمن والرحيم والودود وغيرهما من أسمائه سبحانه حقيقة في العبد، مجازًا في الرب، لزم أن تكون هذه الصفات في العبد أكمل منها في الرب تعالى.

الرد العاشر: إن الله سبحانه وتعالى فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل فقال تعالى: ﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ**﴾ [التوبة: ٢١].

فالرحمة والرضوان صفته، والجنة ثوابه، وهذا يبطل قول من جعل

الرحمة والرضوان ثوابًا منفصلاً مخلوقًا، وقول من قال هي إرادته الإحسان، فإن إرادته الإحسان هي من لوازم الرحمة، فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان إلى المرحوم فإذا انتفت حقيقة الرحمة انتفى لازمها وهو إرادة الإحسان[1].

٢- ظهور آثار رحمة الله سبحانه على الخلق بجلاء:

قال ابن القيم رحمه الله: «إن ظهور هذه الصفة في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شئ كما أن الموجودات كلها شاهدة له بالربوبية التامة الكاملة.

وما في العالم من آثار التدبير والتصريف الإلهي شاهد بملكه سبحانه.

فجعل صفة الرحمة واسم الرحمة مجازًا كجعل صفة الملك والربوبية مجازاً ولا فرق بينهما في شرع ولا عقل ولا لغة.

وإذا أردت أن تعرف بطلان هذا القول، فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة.

فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه وعلّمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصّرنا من العمى، وأرشدنا من الغي.

وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا.

وبرحمته أطلع الشمس والقمر وجعل الليل والنهار وبسط الأرض

---

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/١١٢ ـ ١٢٦) وبقيت بعض الردود على القائلين بالمجاز نستوفيها في الفقرات التالية إن شاء الله تعالى.

وجعلها مهاداً وفراشًا وقراراً وكفاتًا للأحياء والأموات.

وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى.

ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدر.

وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم (الرحمن الرحيم) وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته وبصرهم ومكن لهم أسباب مصالحهم برحمته.

وأوسع المخلوقات عرشه وأوسع الصفات رحمته، فاستوى على عرشه الذي وسع المخلوقات بصفة رحمته التي وسعت كل شئ.

ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته وتسمى به دون خلقه، كتب مقتضاه على نفسه يوم استوائه على عرشه حين قضى الخلق كتابًا فهو عنده وضعه على عرشه «**إن رحمته سبقت غضبه**» وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقة كلها بالرحمة لهم والعفو عنهم والصفح عنهم والمغفرة والتجاوز والستر والإمهال والحلم والأناة. فكان قيام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب، الذي لولاه لكان للخلق شأن آخر.

وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالهم، فبرحمته خلقت وبرحمته عمرت بأهلها وبرحمته وصلوا إليها وبرحمته طاب عيشهم فيها.

وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه ومن عقوبته بعفوه ومن نفسه بنفسه.

ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه وألقى بينهما المحبة والرحمة، ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه.

ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وانحل نظامهم، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والراعي والمرعي، ثم أفقر الجميع إليه ثم عمّ الجميع برحمته.

ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، فبها تعطف الوالدة على ولدها والطير والوحش والبهائم وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه.

وتأمل قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن: ١ - ٤] كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة متعلقًا باسم (الرحمن)، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم وختمها بقوله: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٧٨] فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة، إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك فكل ما ذكر عليه بورك فيه، وكل ما أخلي منه نزعت منه البركة» اهـ[1].

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ١٢١ ـ ١٢٤).

٣- سعة رحمة الله تعالى:

قال تعالى إخبارًا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

يخبر تعالى شأنه عن رحمته التي وسعت وشملت كل شئ في العالم العلوي والسفلي، البر و الفاجر، المسلم والكافر، فما من أحدٍ إلا وهو يتقلب في رحمة الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار.

ولكن للمؤمنين الرحمة الخاصة بهم، والتي يسعدون بها في الدارين ولذلك قال في تمام الآية السابقة: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فالكافر لا رحمة له في الآخرة.

وفتح الله تعالى أبواب رحمته للتائبين فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال ﷺ في ذلك: «لو يَعلمُ المؤمنُ ما عندَ الله من العُقُوبة ما طَمعَ بجنته أحد، ولو يَعلمُ الكَافرُ ما عند الله من الرّحمة ما قَنطَ من جنته أحد»[١].

وسمى الله تعالى وحيه إلى أنبيائه بالرحمة كما في قوله تعالى مُخبرًا عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود: ٢٨] يشير إلى ما خَصَّه الله به من الوحي والعلم والحكمة.

وكذلك قال صالح عليه السلام: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: ٦٣].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٧٥٥) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة به.

وقوله تعالى عن نبينا ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] .

ويختار لوحيه رجالاً يَختصُّهم بذلك، بعلمه وحكمته كما قال سبحانه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤].

٤- رحمة الله تغلب غضبه:

وقد ثبت في ذلك حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه ـ وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش ـ إن رَحمتي تَغلِب غَضَبي**»وفي رواية: «**إن رحمتي سَبَقت غضبي**»(١).

وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: «**وهو يكتب على نفسه**» لأنه لا آمر له سبحانه ولا ناهي يوجب عليه ما يلزمه المطالبة به، ولكن الله ينجز عباده ما وعدهم وهو لا يخلف الميعاد.

٥- لله جل ثناؤه مائة رحمة:

عن أبي هريـــرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله خَلَق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ـ وفي رواية: كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ـ فأمسكَ عنده تسعًا وتسعين رحمةً وأرسلَ في خلقهِ كلهم رحمة واحدة**».

وفي رواية: «**إن لله مائة رحمة، أنزل منها رَحمةً واحدةً بين الجنِ والإنسِ والبهائمِ والهوامِّ، فبها يَتَعاطفـون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها ـ وفي رواية: حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ـ**

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٤، ٧٤٢٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤) ومسلم (٢٧٥١).

وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يَرحَمُ بها عبادَه يَومَ القيامة»[1].

٦- الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الأم بولدها:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي - وفي رواية البخاري: تسعى - إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترونَ هذه المرأة طَارحة ولَدها في النار؟**» قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تَطْرَحَه. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ أرحَمُ بعبادِهِ من هذه بولدها**»[2].

---

(١) رواه البخاري (٩٤٦٩) ومسلم (٢٧٥٢/١٨ - ١٩)، (٢٧٥٣/٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤).

فائدة: قال الرازي كتابه «الأسماء الحسنى» مستعرضًا بعض التساؤلات على صفة «الرحمة»:

السؤال الثاني:

ما معنى كونه رحيمًا وكونه أرحم الراحمين فإن الرحيم إذا رأى مبتلى أو معدومًا وهو يقدر على إزالة البلاء عنه فإنه لابد وأن يزيله، والرب سبحانه وتعالى قادر على إزالة كل محنة ودفع كل بلية ثم نرى الدنيا طافحة بالشرور والآفات والمحن والبليات وهو تعالى قادر على إزالتها ثم إنه لا يزيل شيئًا منها بل نرى أنه خلق السباع والمؤذيات وسلط بعضها على بعض حتى إن بعضها يقتل بعضًا وبعضها يغتذي من بعض، فكيف تتحقق الرحمة مع أن الأمر كذلك؟.

فأجاب بعدة أجوبة قول أهل السنة منها: هو أن (الرحيم) هو الذي يفعل الرحمة ويوصل النعمة، وليس من شرط كونه رحيمًا أن لا يفعل إلا الرحمة فهو تعالى رحيم، كريم، جواد، ودود، رؤوف في حق بعض عباده، وقهار جبار منتقم في حق آخرين اهـ. انظر: (ص١٦١ - ١٦٣) وبنحوه قال ابن العربي «الأسنى» (ورقة ٢٦٠ ب).

والمسألة لها تعلق بالقدر فإن الله سبحانه لا يقدر الشر المحض لأنه منزه عنه كما قال ﷺ: «والخير كله بيديك والشر ليس إليك..» رواه مسلم، فما كان شرًا لبعض الناس قد يكون فيه خير لغيره فوجود الشر في الأرض إنما هو الحكمة. راجع «الطحاوية» (ص ٤١٢).

٧- اتصاف الإنسان بالرحمة:

الرحمة من الأخلاق العظيمة التي حض الله سبحانه عباده على التخلق بها فقد مدح بها أشرف رسله فقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال سبحانه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن أسمائه ﷺ: «**نبي الرحمة**»[(١)].

ومدح النبي ﷺ أفضل أصحابه من بعده بهذه الصفة فقال: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر..**»[(٢)].

وبين ﷺ أن الرحمة تنال عباده الرحماء فقال: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» وفي رواية «**لا يَرْحَم الله من عباده إلا الرحماء**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٥٥).

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد (٣/ ١٨٤) وابن ماجه (١٥٥) عن وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي أبو بكر وأشدها في دين الله عمر وأصدقها حياء عثمان وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأقرؤها أبيّ وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**» وقد تابعه وهيب بن خالد وسفيان هو الثوري. أخرجه أحمد (٣/ ٢٨١) والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٣٨).

وتابعهما عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عند ابن ماجه (١٥٤) والنسائي في فضائل الصحابة (١٨٢) وابن حبان (٢٢١٨، ٢٢١٩) وزاد: «**وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على رجل أصدق ذي لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه ألا وإن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح**» وعبد الوهاب ثقة تغير قبل موته.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٤، ٥٦٥٥، ٦٦٠٢، ٦٦٥٥، ٧٣٧٧، ٧٤٤٨)، ومسلم (٩٢٣) =

وقال ﷺ: «مَنْ لا يَرحَم الناسَ لا يَرحمه الله»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتُقبلون صبيانكم؟. فقالوا: نعم. فقالوا: لكنا والله ما نُقبّل. فقال رسول الله ﷺ: «وأملكُ إن كان الله نَزَعَ منكم الرحمة» ـ وفي رواية: «من قلبك الرحمة»[2].

وهذه الأحاديث وغيرها فيها بيان فضل الرحمة والتخلق بها، وأن الشقي هو الذي نزعت من قلبه الرحمة، لأن ذلك معناه المنع من الدخول في رحمة الله.

٨- طاعة الله ورسوله سبب للرحمة:

واعلم أنه كلما كان الإنسان أقرب إلى الله تعالى كانت رحمة الله أولى به أي كلما كان العبد طائعًا لله ولرسوله ﷺ عاملاً بما أمره به الله ورسوله ﷺ منتهيًا عما نهاه الله ورسوله عنه، كان استحقاقه للرحمة أعظم. قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

= من حديث أسامة بن زيد وفيه بكاءه ﷺ على ابن بنته لما رفع إليه وقول سعد بن عبادة يا رسول الله ما هذا؟. فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله...

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٦) ومسلم (٢٣١٩) عن جرير بن عبد الله واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٩٨) ومسلم (٢٣١٧) وقاله النبي ﷺ للأقرع بن حابس.

٩- تسمية الله سبحانه وتعالى بعض النعم بالرحمة :

وقد سمى الله سبحانه بعض نعمه بالرحمة ، كالمطر في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾ [الأعراف: ٥٧]، أي: يرسل الرياح تبشر بقدوم الغيث.

وسمى رزقه بالرحمة في قوله : ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٨] أي : إذا سألك أقاربك وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقة فقل لهم قولاً ميسورًا أي : عدهم باللين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله .

وسمى الله كتابه العزيز بالرحمة في غير ما آية كقوله تعالى : ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: ٨٩] وقوله : ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ٥٢].

وسمى الله سبحانه الجنة بالرحمة وهي أعظم رحمة خلقها الله لعباده الصالحين ، قال تعالى : ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٧] وقوله : ﴿**يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [الإنسان: ٣١] وغيرها من الآيات.

١٠ - العزم عند سؤال الله سبحانه الرحمة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم في المسألة ، فإنه لا مُستكرِهَ له**» وفي رواية : «**وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له**»[1].

أي : إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء أي: اجزموا ولا ترددوا، من

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٤٧).

عزمت على الشئ إذا صممت على فعله، وقيل: عزم المسألة الجزم بها من غير ضعف في الطلب.

وقوله: «**لا مكره له**» لأن في الاستثناء والتعليق صورة المستغني عن الشئ. أو لأن التعليق يوهم إمكان إعطائه على غير المشيئة، وليس بعد المشيئة إلا الإكراه، والله لا مكره له[1].

اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

* * *

---

(١) انظر: «الفتح» (١١/ ١٤٠)، (١٣/ ٤٥١).

الملك ـ المالك ـ المليك
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٤ ، ٥ ، ٦)

* **المعنى اللغوي:**

المُلك : معروف وهو يذكر ويؤنث كالسلطان ، ومُلك الله تعالى وملكوته سلطانه وعظمته وعزته.

والمَلْك والمَلِك والمَليك والمالك : ذو الملك.

قال ابن سيده : المَلك والمُلك والمِلْك : احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به .

وتملَّكه : أي ملكه قهرًا ، وأملكه الشيء وملَّكه إياه تمليكًا جعله مِلكًا له ، وأملكوه : زوجوه، شبه الزوج بملك عليها في سياستها .

والملكوت مختص بمِلك الله تعالى وهو مصدر مَلَكَ أدخلت فيه التاء نحو جبروت ورهبوت ورحموت ، قال تعالى : ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وملكت العجين: شددت عجنه أي : قوي عليه فأجاد عجنه[1].

* **وروده في القرآن العظيم :**

ورد الملك في القرآن خمس مرات منها قوله تعالى : ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ**﴾ [طه: ١١٤].

وقوله تعالى : ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ**﴾ [الحشر: ٢٣].

(١) «النهاية» (٤/٣٥٨)، «اللسان» (٦/٤٢٦٦)، «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/٣٢٩)، «المفردات» للراغب (ص ٤٧٢).

وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢].

وورد المالك مرتين، في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وأما المليك فلم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

*** المعنى في حق الله تعالى:**

قال الزجاج: «وقال أصحاب المعاني: الملك، النافذ الأمر في ملكه، إذ ليس كلُّ مالك ينفذُ أمره أو تصرفه فيما يملكه. فالملك أعمُّ من المالك والله تعالى مالك المالكين كلِّهم، وإنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى» اهـ(١).

قال الخطابي: الملك: هو التامُ الملك الجامع لأصناف المملوكات، فأما المالك: فهو الخاصُّ الملك(٢).

وقال الليث: المَلِكُ هو الله تعالى وتقدَّس، مَلِكُ الملوك، له الملك، وهو مالك يوم الدين وهو مليك الخلق أي: ربهم ومالكهم(٣).

وقال ابن جرير: الملك الذي لا مَلِكَ فوقه ولا شئ إلا دونه(٤).

قال ابن كثير: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣] أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا مُمانعة ولا مدافعة(٥).

---

(١) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٣٠).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٤٠).

(٣) «اللسان» (٦/٤٢٦٦).

(٤) «جامع البيان» (٢٨/٣٦).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٤/٣٤٣).

وما ذكروه من ثبوت الملكية المطلقة لله وحده لا شريك له وأن له كمال التصرف والقدرة في ملكه ظاهر جدًا في القرآن ، كقوله تعالىٰ : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٤٩]. وقوله : ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله تعالىٰ : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] وقوله : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢]. فذكر ملكه العظيم الشاسع ثم ذكر قدرته التامة في ملكه وأنه لا يعجزه شيء.

وكقوله تعالىٰ : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي : لا يثقل عليه ولا يعجزه حفظ هذا الملك العظيم.

وقد قال الزجاج : إنَّ أصل المَلْك في الكلام : الربط والشدّ ، يقال: ملكت العجين أملكُهُ مَلْكًا، إذا شددت عجنه، وإملاك المرأة من هذا إنما هو ربطها بالزواج[1]. وهذا الربط والشدّ يرجع حاصله إلىٰ القدرة التامة الكاملة.

أما الناس فقد تملك مع العجز عن التصرف كأن يكون المالك صبيًا أو مجنونًا، ووليهما لا مُلك له مع أن التصرف ثابت له.

مسألة : أيهما أبلغ الملك أو المالك ؟

قال الشوكاني: وقد اختلف العلماء أيهما أبلغ ملك أو مالك؟ فقيل إن مَلِك أعمّ وأبلغ، إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملك، ولأن أمر الملك نافذ علىٰ المالك في ملكه حتىٰ لا يتصرف إلا عن تدبير الملك.

---

(١) «أسماء الله الحسنىٰ» للزجاج (ص ٣٠).

قاله أبو عبيد والمبرد ورجحه الزمخشري.

وقيل مالك أبلغ لأنه يكون مالكًا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ في مدح الخالق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك لأن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذا كان الله تعالى مالكًا كان ملكًا. واختار هذا القاضي أبو بكر بن العربي.

ثم قال الشوكاني: «والحق أنَّ لكلٍّ واحدٍ من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر علي ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فالمالك أقوى من الملك في بعض الأمور، والملك أقوى من المالك في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله اهـ[1].

*** آثار الإيمان بهذه الأسماء:**

١- إن الملك الحقيقي لله وحده لا يشركه فيه أحد، وكل من مَلَكَ شيئًا فإنما هو بتمليك الله له، قال ﷺ: **«لا مالك إلا الله»** وفي رواية: **«لا ملك إلا الله»**[2].

وقد يسمى بعض المخلوقين مَلِكًا، إذا اتسع ملكه إلا أن الذي يستحق هذا الاسم هو الله جل وعز لأنه مالك الملك، وليس ذلك لأحد غيره، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذلُّ من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير[3].

(١) «فتح القدير» (١/ ٢٢).

(٢) الفقرة الأخيرة من حديث رواه مسلم (٢١٤٣) عن أبي هريرة.

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٤٠).

فالمخلوقات لا تملك شيئًا، وقد أنكر تعالى على المشركين الذين عبدوا هذه المخلوقات التي هي مثلهم في الضعف والعبودية لله تعالى وأنها لا تملك من السماوات والأرض شيئًا ولا مثقال ذرة ولا تنفع أحدًا ولا تضره.

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ(١)﴾ [فاطر: ١٣].

فالله تبارك وتعالى هو المالك لخزائن السماوات والأرض، بيده الخير، يرزق من يشاء، وهو المالك للموت والحياة والنشور، والنفع والضر وإليه يرجع الأمر كله، فهو المالك لجميع الممالك، العلوية والسفلية وجميع من فيهما مماليك لله فقراء مدبرون.

وهو سبحانه كل يوم هو في شأن يتصرف في ملكوته كيف يشاء، فعن أبي الدرداء رضي الله قال عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] قال: «مِنْ شَأنه أن يغفر ذنبًا ويُفرّج كربًا ويرفع

---

(١) «القطمير»: هو اللفافة التي تكون نواة التمرة، أي لا يملكون من السموات والأرض شيئًا ولا بمقدار هذه اللفافة.

قومًا ويخفض آخرين»[1]. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله عز وجل قال: أنا الدهر، الأيام والليالي لي، أجددها وأبليها، وآتي

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم (٨/ ٦٢٠) موقوفًا علي أبي الدرداء وأخرجه موصولاً ابن ماجه (٢٠٢) وابن حبان (١٧٦٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١) عن هشام بن عمار ثنا الوزير بن صبيح ثنا يونس بن حلبس عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به. وقال البوصيري في «الزوائد» (ص/٢٨): هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والاتقان قال فيه أبو حاتم: صالح. وقال دحيم: ليس بشئ. وقال أبو نعيم: «كان يعد من الأبدال ربما أخطأ وذكره ابن حبان في الثقات» اهـ. وقد تابع هشام بن عمار صفوان ابن صالح وذلك في رواية البزار (٢٢٦٣) وزاد هو وابن أبي عاصم: ويجيب داعيًا.
ورواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٧٣) عن الوزير صبيح سمعت يونس ابن ميسرة يحدث عن أم الدرداء عن النبي ﷺ به. وهذا مرسل فإن أم الدرداء هي الصغرى، وأما الكبرى فلا رواية لها في الكتب الستة، والصغرى ثقة فقيهة من الثالثة قاله الحافظ في «التقريب».
وأخرجه من طريق أخرى ابن عساكر عن يحيى بن إسماعيل عن أبيه عن أم الدرداء مرفوعًا به.
قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٢٣): «وصله المصنف - أي البخاري - في «التاريخ» وابن حبان في« الصحيح» وابن ماجه وابن أبي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعًا، وأخرجه البيهقي في «الشعب» من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفًا، وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر أخرجه البزار، وآخر عن عبد الله بن منيب أخرجه الحسن بن سفيان والبزار وابن جرير والطبراني» اهـ.
وحديث ابن عمر في البزار (٢٢٦٨) وفيه محمد بن عبد الرحمن البيلماني ضعيف متهم.
وحديث ابن منيب أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٧٩) وابن أبي عاصم (٣٠١) معلقًا.
قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٧): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» والبزار وفيه من لم أعرفهم. قلت: فيه عمروبن بكر وهو السّكسكي متروك، وهو لا يصلح شاهدًا للحديث وكذا الحديث الذي قبله. وانظر: «تغليق التعليق» (٤/ ٣٣٢).

بملوك بعد ملوك»[1].

ولكن من الناس من يطغى ويظن أنه المالك الحقيقي وينسى أنه مستخلف فقط فيما آتاه الله من مُلك ومال وجاه وعقار، فيتكبر ويتجبر ويظلم الناس بغير حق، كما حكى الله سبحانه عن فرعون عليه لعنة الله الذي نسي نفسه وضعفها وزعم لنفسه الملك بل والألوهية، قال تعالى عنه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤].

ودعا قومه إلى هذه الضلالة الكبرى فاستجابوا له فعاقبهم الله جميعًا، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا[2] انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤ - ٥٦]. وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦].

وإهلاك الله سبحانه لفرعون وقومه عبرة لكل ظالم متكبر من ملوك الأرض، تفرعن على الناس فيما آتاه الله من ملك، وظن أنه مخلد، ونسي أن ملكه زائل وأن إقامته في ملكه مؤقتة وأن الموت مدركه لا

(١) حديث حسن: اخرجه احمد في مسنده (٢/٤٩٦): ثنا ابن نمير ثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن ذكوان عن أبي هريرة مرفوعًا ورجاله رجال الشيخين سوى هشام بن سعد فمن رجال مسلم وحده فقد أخرج له في الشواهد قاله الحاكم، وفي حفظه شيء، قال الحافظ في «التقريب»: صدوق له أوهام ورمي بالتشيع. ومع قوله هذا فقد حكم لإسناده بالصحة في «الفتح» (١٠/٥٦٥) والحديث حسن فقط وأصله في الصحيحين.

(٢) آسفونا: أي أغضبونا.

محالة، قال تعالى منبهًا عباده إلى ذلك: ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [المائدة: ١٨].

٢- وإذا كان الملك المطلق إنما هو لله وحده لا شريك له، فالطاعة المطلقة إنما هي له وحده لا شريك له، لأن من سواه من ملوك الأرض إنما هم عبيدٌ له وتحت إمرته.

فلابد من تقديم طاعة الملك الحق على طاعة من سواه وتقديم حكمه على حكم غيره، لأن طاعته سبحانه أوجب من طاعة غيره بل لا طاعة لأحد إلا في حدود طاعته، أما في معصيته فلا سمع ولا طاعة.

٣- عدم جواز التسمية بملك الملوك:

وقد ورد في ذلك الحديث المتفق عليه حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخنع اسم عند الله - وقال سفيان غير مرة: أخنع الأسماء عند الله - رجلٌ تسمى بملك الأملاك**» وفي رواية: «**أخنى الأسماء يوم القيامة..**».

قال سفيان: يقول غيره - أي غير أبي الزناد - تفسيره: شاهان شاه[1].

ومعنى أخنع: أوضع اسم وأذله. قال أبو عبيد: الخانع الذليل، وخنع الرجل ذل. قال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشد ذلاً.

ومعنى أخنى: أي أفحش اسم من الخنا وهو الفحش في القول.

وجاء في رواية مسلم: «**أغيظُ رَجُلٍ على الله يَومَ القِيامةِ وأَخبثه وأغيظه عليه**».

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٥، ٦٢٠٦) ومسلم (٢١/١٢٤٣).

قال ابن حجر: واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء[1].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أيضًا قال قال رسول الله ﷺ: «**اشتد غضبُ الله على مَن زَعَمَ أنه ملكُ الأملاك لا ملك إلا الله**»[2].

قال المناوي في شرحه: «أي من تسمى بذلك ودعي به وإن لم يعتقده فإنه لا ملك في الحقيقة إلا الله، وغيره وإن سمي ملكًا أو مالكًا فإنما هو بطريق التجوز، وإنما اشتد غضبه عليه لمنازعته لله في ربوبيته وألوهيته، فهو حقيق بأن يمقته عليه فيهينه غاية الهوان ويذله غاية الذل ويجعله تحت أقدام خلقه لجرأته وعدم حيائه في تشبهه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له، فهو ملك الملوك وحده حاكم الحكام وحده، فهو الذي يحكم عليهم كلهم لا غيره» اهـ[3].

(١) «الفتح» (١٠/ ٥٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٢) قال: ثنا محمد بن جعفر وروح قالا ثنا عوف عن خلاس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله نبيه وقال روح: قتله رسول الله واشتد غضب** ..» فذكره، وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الصحيحين وخلاس: هو ابن عمرو الهجري. قال أحمد: ثقة ثقة. وقال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يسمع من أبي هريرة شيئًا. قال ابن حجر في مقدمة «الفتح» (ص٤٠١): روايته عنه عند البخاري أخرج له حديثين قرنه فيهما معًا بمحمد بن سيرين وليس له عنده غيرهما فالحديث لا ينزل عن رتبة الحسن وله طريق أخرى ضعيفة عند الطبراني في «الكبير» (١٢١١٣) من طريق أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ثنا إسماعيل بن أبان ثنا أبو شيبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس مرفوعًا وليس فيه: لا ملك إلا الله.
قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٥٠): وفيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان وهو متروك.

(٣) «فيض القدير» (١/ ٥١٤).

وقال ابن القيم رحمه الله :

ولما كان المُلْكُ الحق لله وحده، ولا مَلِكَ على الحقيقة سواه ، كان أخنع اسم وأوضعه عند الله ، وأغضبه له اسم «شاهان شاه» أي : ملكُ الملوك ، وسلطان السلاطين ، فإن ذلك ليس لأحد غير الله ، فتسميةُ غيره بهذا من أبطل الباطل ، والله لا يحب الباطل.

وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا «قاضي القضاة» وقال: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين، الذي إذا قضى أمرًا فإنما يقول له : كن فيكون[1].

٤- الله سبحانه مالك يوم الدين وملكه :

فالمُلك في ذلك اليوم العظيم لله وحده لا ينازعه فيه أحد من ملوك الأرض وجبابرتها ، قال تعالى : ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: ٤][2].

وقال تعالى : ﴿**وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ**﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقال تعالى : ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الحج: ٥٦].

وقال تعالى : ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ**﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقال تعالى : ﴿**يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [غافر: ١٦].

وقد جاء مايبين ذلك من السنة الشريفة:

فعن عبد الله بن مسعود قال : جاء حَبرٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! أو يا أبا القاسم! إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على

---

(١) «الزاد» (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).

(٢) وتقرأ أيضًا ﴿مَلِكِ يوم الدين﴾ وهي قراءة نافع المدني وغيره.

إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزُّهُن فيقول : أنا الملك أنا الملك . فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحَبر، تصديقًا له ، ثم قرأ ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧](١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : **«يَقبضُ الله تَبارك وتعالى الأرضَ يومَ القِيامةِ ويَطوي السماء بيمينه ثم يقول : أَنَا الملك ، أين ملوك الأرض»**(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : **«يَطوي الله عز وجل السماوات يَومَ القِيامةَ ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجَبارون ؟ أين المتكبرون ؟ »**(٣).

فهل يجيبه أحد من طغاة الأرض وفراعنتها، كلا بل الجميع خاشعون صامتون ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً ﴾ [طه: ١٠٨].

ومن الرحمة للخلق أن الله سبحانه هو الملك الوحيد يوم القيامة لأنه الذي يحاسب بالعدل ولا يظلم ولا يجور ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١ ، ٧٤١٤ ، ٧٤١٥ ، ٧٤٥١ ، ٧٥١٣) ، ومسلم (٢٧٨٦/ ٢٠، ٢١ ، ٢٢) واللفظ له .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٢ ، ٦٥١٩)) ومسلم (٢٧٨٧).

(٣) رواه مسلم (٢٧٨٨) ، وقد تفرد بذكر الشمال فيه عمر بن حمزة ـ أحد رواة الحديث وقد ضُعف ـ وقد رواه عن ابن عمر أيضًا نافع وعبيد الله بن مقسم بدونها ورواه أبو هريرة وغيره عن النبي ﷺ كذلك وثبت عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه **«المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»** انظر : «الفتح» (١٣/ ٣٩٦).

وانظر التحقيق على «إبطال التأويلات» (١/ ١٧٨ ـ ١٧٩).

[فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال الرازي: «الحكم الثاني من أحكام كونه ملكًا، أنه ملك لا يشبه سائر الملوك لأنهم إن تصدقوا بشيء انتقص ملكهم، وقلّت خزائنهم، أما الحق سبحانه وتعالىٰ فملكه لا ينتقص بالعطاء والإحسان بل يزداد، بيانه أنه تعالىٰ إذا أعطاك ولدًا لم يتوجه حكمه إلا علىٰ ذلك الولد الواحد، أما لو أعطاك عشرة من الأولاد كان حكمه وتكليفه لازمًا علىٰ الكل، فثبت أنه تعالىٰ كلما كان أكثر عطاء كان أوسع ملكًا.

الحكم الثالث من أحكام كونه ملكًا كمال الرحمة، والدليل عليه آيات إحداها: ما ذكر في هذه السورة من كونه ربًا رحمانًا رحيمًا وهو قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣، ٤].

وثانيها: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] ثم قال بعده: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣] ثم ذكر بعده كونه قدوسًا عن الظلم والجور ثم ذكر بعده كونه سلامًا، وهو الذي سلم عباده من ظلمه وجوره، ثم ذكر بعده كونه مؤمنًا، وهو الذي يؤمن عبيده من جوره وظلمه، فثبت أن كونه ملكًا لا يتم إلا مع كمال الرحمة.

وثالثها: قوله تعالىٰ: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] لما أثبت لنفسه الملك أردفه بأن وصف نفسه بكونه رحمانًا، يعني إن كان ثبوت الملك له في ذلك اليوم يدل علىٰ كمال القهر فكونه رحمانًا يدل علىٰ زوال الخوف وحصول الرحمة.

ورابعها: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١، ٢].

فذكر أولاً كونه ربًا للناس ثم أردفه بكونه ملكًا للناس.

وهذه الآيات دالة على أن المَلِك لا يحسن ولا يكمل إلا مع الإحسان والرحمة ، فيا أيها الملوك اسمعوا هذه الآيات ، وارحموا هؤلاء المساكين ، ولا تطلبوا مرتبة زائدة في الملك على ملك الله تعالى» اهـ[١].

* * *

(١) «التفسير الكبير» للرازي (١/ ٢٣٩).

القُدُّوس

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(٧)

* **المعنى اللغوي:**

وله معنيان في اللغة:

الأول: أن (القدوس) فعول من القُدْس وهو الطهارة، والقَدَس بالتحريك السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يُتقدس منه أي: يتطهر منه، وجاء في التنزيل﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال الزجاج: معنى نقدس لك أيّ: نطهر أنفسنا لك. ولهذا قيل بيت المقْدِس أيّ: البيت المطهر أو المكان الذي يُتطهر به من الذنوب.

وقال الفرّاء: الأرض المقدسة الطاهرة وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وروح القدس هو جبريل عليه السلام معناه روح الطهارة أيّ: خلق من الطهارة.

والمعنى الثاني: أن القدس البركة، والأرض المقدسة أيّ: المباركة، وهو قول قتادة وإليه ذهب ابن الأعرابي، ويقويه أنَّ الله تعالى قد بيّن أن الأرض المقدسة مباركة وذلك في قوله: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ [الإسراء: ١] وقوله سبحانه: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٧١] وهي الأرض المقدسة.

و(القدوس) على وزن: «فُعول» بالضم من أبنية المبالغة[1].

* ورود الاسم في القرآن العظيم:

وقد ورد هذا الاسم في القرآن مرتين. مرة في سورة الحشر وهو قوله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [آية: ٢٣]. ومرة في مطلع سورة الجمعة وهو قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

* معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال قتادة: القدوس أي: المبارك[1].

وعن ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]: «ونحن نسبح بحمدك: ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك، ونقدس لك: ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك» اهـ[2].

وقال البيهقي: (القدوس) هو الطاهر من العيوب المنزه عن الأولاد والأنداد، وهذه صفة يستحقها بذاته[3].

(١) «النهاية» لابن الأثير (٥/٢٣)، «اللسان» (٥/٣٥٤٩)، «أسماء الله الحسنى» (ص ٣٠)، «شأن الدعاء» (ص ٤٠)، وقد قرأ الجمهور (القدوس) بضم القاف وقرأ أبو ذر وأبو السماك بفتحها. وقال ثعلب: كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول مثل: سفود وكلوب وسمور وتنور إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما الأكثر وقد يفتحان.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٨/٣٦) حدثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة به. بشر هو ابن معاذ العقدي صدوق، ويزيد هو ابن زريع ثقة ثبت، وسعد هو ابن أبي عروبة من أثبت الناس في قتادة فالإسناد حسن.

(٢) «جامع البيان» (١/١٦٧).

(٣) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٤) وانظر كذلك: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٢٣) و«شرح أسماء الله الحسنى» للرازي (ص ١٨٦).

وقال الغزالي : هو المنزه عن كل وصف يدركه حس ، أو يتصوره خيال ، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير ، أو يقضي به تفكير(١).

وقال ابن كثير في معنى القدوس : أي المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال(٢).

وبنحوه قال الشوكاني(٣).

وقال الألوسي: (القدوس) البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانًا، أو الذي له الكمال في كل وصف اختص به، أو الذي لا يحد ولا يتصور(٤).

وقال ابن القيم في النونية:

هذا ومن أوصافه القدوس ذو الـ تنزيه بالتعظيم للرحمن(٥).

*** آثار الإيمان بهذا الاسم:**

١- تقديس الله سبحانه وتنزيهه عن النقائص وأنه موصوف بكل كمال، وصفات الكمال هي ما وصف به نفسه سبحانه في كتابه أو ما وصفه به رسوله ﷺ.

وليس معنى التنزيه هو تعطيل صفات الله ونفي معاني أسمائه الحسنى كما ظنه الجهمية والمعتزلة ومن شابههم من الفرق الضالة، وإنما هو تنزيهه عن مشابهة الخلق كما قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١].

فتنزيه أهل السنة ليس فيه تعطيل، وإثباتهم ليس فيه تشبيه، والآية

(١) «المقصد الأسنى» (ص٣٨).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٦٣).
(٣) «فتح القدير» (٥/ ٢٠٧).
(٤) «روح المعاني» (٢٨/ ٦٢).
(٥) «النونية» (٢/ ٢٣٣).

السابقة فيها تنزيه وإثبات، وكل تنزيه ونفي في الكتاب فإنما هو لثبوت كمال ضده، فمثلاً نفي الله عن نفسه الظلم بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وذلك لثبوت كمال العدل له سبحانه وهكذا، وأما النفي المحض فلا كمال فيه وهو مذموم.

وقال الحليمي: (القدوس) ومعناه الممدوح بالفضائل والمحاسن، والتقديس مضمن في صريح التسبيح، والتسبيح مضمن في صريح التقديس، لأن نفي المَذَامّ إثباتٌ للمدائح، كقولنا: لا شريك له ولا شبيه له، إثبات أنه واحد أحد، وكقولنا: لا يعجزه شيء، إثبات أنه قادر قوي، وكقولنا: إنه لا يظلم أحدًا، إثبات أنه عدل في حكمه.

وإثبات المدائح له نفي للمذام عنه كقولنا: إنه عالم، نفي للجهل عنه، وكقولنا: إنه قادر، نفي للعجز عنه، إلا أن قولنا هو كذا، ظاهره التقديس، وقولنا ليس بكذا، ظاهره التسبيح، لأن التسبيح موجود في ضمن التقديس، والتقديس موجود في ضمن التسبيح.

وقد جمع الله تبارك وتعالى بينهما في سورة «الإخلاص» فقال عزَّ اسمه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فهذا تقديس، ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فهذا تسبيح، والأمران راجعان إلى إفراده وتوحيده ونفي الشريك والتشبيه عنه[1].

٢- وكما أنه مُنزه عن النقائص في صفاته وأسمائه الحسنى، فهو أيضًا منزه عن النقص في أقواله وأفعاله.

فقوله: الصدق وخبره الحق، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

---

(١) «المنهاج» في شعب الإيمان» (١/١٩٧) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٣٨).

حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] وقال: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٢].

وفعله منزه عن الخطأ والنسيان وغيرها من الآفات، قال سبحانه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقًا فيما قال وأخبر ووعد، وعدلاً فيما حكم وشرع من أحكام.

وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦] أي تعالى وتقدس وتنزه عن أن يخلق شيئًا عبثًا أو سفهًا.

٣- كان النبي ﷺ يكثر من ذكر هذا الاسم في ركوعه وسجوده. فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبُّوح قدوس رب الملائكة والروح»[1].

وكان يسبح الله به بعد فراغه من الوتر كما جاء في حديث أبي بن كعب قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فإذا سلم قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٧).

(٢) إسناده صحيح. أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٢٣) وأبو داود (١٤٣٠) والنسائي في (الوتر) (٣/ ٢٤٤) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٧٦٢) عن طلحة الأيامي عن زر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن أبي بن كعب مرفوعًا به.

وأخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦ -٤٠٧) والنسائي (٣/ ٢٤٥ - ٢٤٧)، (٣/ ٢٤٩ - ٢٥١) بطرق كثيرة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن النبي ﷺ به، وقيل إن هذا مرسل لكن عبد الرحمن بن أبزي صحابي صغير ومراسيل الصحابة حجة، وقد حسن الحديث الحافظ في «التلخيص» (٢/ ١٩) فقصر.

السَّلَام
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٨)

*** المعنى اللغوي:**

السلام والسلامة: البراءة، وتسلم منه: تبرأ.

قال ابن العربي: السلامة العافية، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٣] معناه تسلمًا وبراءة، والسلام. في الأصل: السلامة يقال: سَلِم يسلَم سلامًا وسلامة.

ومنه قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات، وقوله عز وجل: ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ**﴾ [طه: ٤٧] معناه أن من اتبع هدى الله سلم من عذابه وسخطه[١].

وقال الرازي: وأيضًا الصواب من القول سمي سلامًا، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ وذلك لسلامته من العيب والإثم[٢].

وإذا قال المسلم للمسلم: السلام عليكم، فكأنه يخبره بالسلامة من جانبه ويؤمنه من شره وغائلته، وأنه سلم له لا حرب عليه.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٣/٢٠٧٨)، «النهاية» لابن الأثير (٢/٣٩٢)، «تفسير أسماء الله» الحسنى للزجاج (ص ٣٠).

(٢) «شرح أسماء الله الحسنى» للرازي (ص ١٨٧).

* وروده في القرآن الكريم :

ورد مرة واحدة في قوله تعالىٰ : ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ . .﴾ [الحشر : ٢٣].

* معنىٰ الاسم في حق الله تعالىٰ :

قال ابن كثير : السلام أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله[1].

وقال الألوسي في تفسيره : السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة[2].

وقال البيهقي : السلام هو الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل آفة، وهذه صفة يستحقها بذاته.

وقيل: هو الذي سلم المؤمنون من عقوبته[3].

وقال القرطبي: (السلام) أيّ: ذو السلامة من النقائص ، ونقل عن ابن العربي قوله : اتفق العلماء رحمة الله عليهم علىٰ أن معنىٰ قولنا في الله (السلام) النسبة، تقديره ذو السلامة ، ثم اختلفوا في ترجمة النسبة علىٰ ثلاثة أقوال :

الأول : معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص.

الثاني : معناه ذو السلام ، أي المُسلّم علىٰ عباده في الجنة ، كما قال: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

الثالث : أن معناه الذي سلم الخلق من ظلمه.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٣٤٣).

(٢) «روح المعاني» (٢٨/٦٣).

(٣) «الاعتقاد» (ص٥٥).

قلت ـ أي القرطبي ـ : وهذا قول الخطابي وعليه والذي قبله يكون صفة فعل ، وعلىٰ أنه البريء من العيوب والنقائص يكون صفة ذات ، وقيل السلام معناه المسلِّم لعباده[1].

وقال ابن القيم في «النونية»:

وهو السَّلام علىٰ الحقيقة سالمٌ   من كل تمثيلٍ ومن نقصانِ[2]

*** آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١- الله سبحانه وتعالىٰ هو (السلام) أي : السالم من كل نقص وآفة وعيب، فمعناه قريب من القدوس.

وقيل إن القدوس : إشارة إلىٰ براءته عن جميع العيوب في الماضي والحاضر ، والسلام : إشارة إلىٰ أنه لا يطرأ عليه شئ من العيوب في الزمان المستقبل ، فإن الذي يطرأ عليه شئ من العيوب تزول سلامته ولا يبقىٰ سليمًا[3].

٢- الله سبحانه هو المسلم علىٰ عباده وأوليائه في الجنة ، قال تعالىٰ: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ** ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وقال سبحانه : ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. وقال : ﴿ **سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** ﴾ [يس: ٥٨].

فالله تعالىٰ يحيي عباده في الجنة بالسلام عليهم ، والجنة هي دار السلام من الموت والمرض وسائر الآفات. قال تعالىٰ : ﴿ **لَهُمْ دَارُ**

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٨/ ٤٦) وانظر: كذلك «فتح القدير» (٥/ ٢٠٧) وانظر قول الخطابي في «شأن الدعاء» (ص٤١).

(٥) «النونية» (٢/ ٢٣٣).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٢٩/ ٢٩٣).

﴿السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧] وقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ﴾ [يونس: ٢٥].

٣- والله تعالى هو المسلم على أنبيائه ورسله، لإيمانهم وإحسانهم وطاعتهم له وتحملهم في سبيله أعظم الشدائد، فيؤمنهم في الآخرة فلا يخافون ولا يفزعون.

وقيل: سلم الله تعالى عليهم ليقتدي بذلك البشر فلا يذكرهم أحد بسوء[1].

قال تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩].

قال: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩].

وقال: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصافات: ١٢٠].

وقال: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠].

وقال: ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١].

وقال سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩].

قال الخطابي: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن مالك حدثنا موسى بن إسحاق الأنصاري عن صدقة بن الفضل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول: أوحش ما تكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجًا مما كان، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم. قال: فأكرم الله فيها يحيى فخصه بالسلام فقال: ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥]، كأنه

---

(١) ذكره الألوسي (٢٣/ ٩٩) عن أبي حيان.

أشار إلى أن الله جل وعز سلَّم يحيى من شر هذه المواطن الثلاثة وأمَّنه من خوفها[1].

وكذا عباده المؤمنين فإن الملائكة تسلم عليهم عند قبض أرواحهم وتطمئنهم وتؤمنهم. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٣٢]. فالملائكة تبشرهم بالفوز بالجنة والنجاة من عقاب الله والنار.

٤- الأمر بإفشاء هذا الاسم وأنه سبب في دخول الجنة:

وقد ورد الأمر من النبي ﷺ بإفشاء السلام بين المسلمين كما جاء في حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدُلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[2].

قال النووي: «وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف.

وقال: والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة وفي إفشائه تَمَكُّن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم عن غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين» اهـ[3].

---

(١) أخرجه الخطابي في «شأن الدعاء» (ص٤٢) وسنده صحيح وقد أخرج مثله ابن جرير في تفسيره (١٦/٤٥) عن أحمد بن منصور الفيروزي كذا والظاهر أنه المروزي المعروف بزاج) قال أخبرني صدقة بن الفضل قال سمعت ابن عطية يقول ... فذكره.

(٢) أخرجه مسلم (٥٤).

(٣) «شرح مسلم» للنووي (٢/٣٦).

وإفشاء السلام من شعائر الإسلام العظيمة التي يتهاون فيها كثير من المسلمين وهي من أوائل ما دعا إليه النبي ﷺ عندما وصل إلى المدينة ، فعن عبد الله بن سلاّم قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستثبته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال : وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : **«أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»**(١).

٥- لا يقال السلام على الله :

جاء ذلك في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نصلي خلف النبي ﷺ فنقول : السلام على الله. فقال النبي ﷺ : **«إن الله هو السلام ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»**(٢).

قال البيضاوي ما حاصله : أنه ﷺ أنكر التسليم على الله وبيّن أن ذلك عكس ما يجب أن يقال ، فإن كل سلام ورحمة له ومنه وهو مالكها ومعطيها(٣).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٥/٤٥١) والترمذي (٢٦٠٣) وصححه، وابن ماجه (١٣٣٤ ، ٣٢٥١) والدارمي (١/ ٣٤٠) والحاكم (٣/١٣) ومحمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» (ص ٢١) ـ من المختصر ـ بطرق عن عوف بن أبي جميلة عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام مرفوعًا به.

(٢) متفق عليه : أخرجه البخاري (٨٣١، ٨٣٥، ١٢٠٢، ٦٢٣٠، ٦٢٦٥، ٦٣٢٨، ٧٣٨١) ومسلم في الصلاة (٥٦).

(٣) «الفتح» (٢/ ٣١٢).

وقال الخطابي : المراد أن الله هو ذو السلام فلا تقولوا السلام على الله فإن السلام منه بدأ وإليه يعود[1].

ولذلك أمر النبي ﷺ المسلمين أن يقولوا : التحيات لله . قال ابن حجر: جمع تحية ومعناها السلام. وقيل : البقاء. وقيل: العظمة. وقيل: السلامة من الآفات والنقص. وقيل : المُلك.

وقال ابن قتيبة : لم يكن يُحيّا إلا الملك خاصة ، وكان لكل ملك تحية تخصه فلهذا جمعت ، فكان المعنى التحيات التي كانوا يسلمون بها على الملوك كلها مستحقة لله.

وقال المحب الطبري : يحتمل أن يكون لفظ التحية مشتركًا بين المعاني المقدم ذكرها، وكونها بمعنى السلام أنسب هنا[2].

وجاء في حديث أنس قال قال جبريل للنبي ﷺ إن الله يقرئ خديجة السلام ، يعني فأخبرها. قالت : إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته[3].

قال العلماء : في هذه القصة دليل على وفور فقهها لأنها لم تقل «وعليه السلام» كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد

(١) الفتح (٢/ ٣١٢).

(٢) المصدر السابق . وانظر كذلك «النهاية» لابن الأثير (١/ ١٨٣).

(٣) أخرجه النسائي في فضائل الصحابة» (٢٥٤) عن أحمد بن فضالة أنا عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس به وإسناده حسن فإن جعفر بن سليمان صدوق . وقد تابع عبد الرزاق قتيبة بن سعيد وذلك عند الحاكم (٣/ ١٨٦)، والحديث سكت عليه الحافظ في الفتح (٧/ ١٣٩) وهو دليل على التصحيح منه أو التحسين كما نص في المقدمة.

فائدة: يستفاد منه ردّ السلام على من أرسل السلام وعلى من بلّغه.

«السلام على الله» فنهاهم النبي ﷺ فعرفت خديجة رضى الله عنها لصحة فهمها أن الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى.

* * *

المؤْمن
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(٩)

* المعنىٰ اللغوي:

وله معنيان في اللغة.

الأول : التصديق.

قال الزجاج : أصل الإيمان التصديق والثقة. وقال الله عزَّ قائلاً: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف: ١٧] أي: لفرط محبتك ليوسف لا تصدقنا[١].

والثاني : الأمان الذي هو ضد الإخافة . قال تعالىٰ : ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

والأمان والأمانة بمعنىٰ ، وقد أمنت فأنا آمنٌ وآمنت غيري من الأمن والأمان، والأمن ضِدّ الخوف ، والأمانة ضدّ الخيانة ، والإيمان ضدّ الكفر، والإيمان: بمعنىٰ التصديق ، ضده التكذيب، يقال : آمن به قوم وكذب به قوم ، وفي التنزيل العزيز : ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] أي الآمن يعني مكة ، ورجل أُمنة: يأمَنُ كل أحد ، وقيل : يأمنه الناس ولا يخافون غائلته. ورجل أَمنة : الذي يصدق ما يسمع ولا يُكذّب بشئ، وإذا كان يطمئن إلىٰ كل واحد ويثق بكل أحد[٢].

---

(١) «تفسير الأسماء» (ص ٣١).

(٢) «اللسان» (١/ ١٤٠ ـ ١٤١).

* وروده في القرآن الكريم :

ورد في آية واحدة هي قوله تعالىٰ: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى الاسم في حق الله تعالىٰ :

قال الضحاك عن ابن عباس: (المؤمن) أي : أَمِنَ خَلْقُه مِن أنْ يظلمهم.

وقال قتادة : المؤمن آمن بقوله أنه حق[1].

قال ابن جرير : (المؤمن) الذي يُؤمِّن خلقه من ظلمه . ونسبه إلىٰ قتادة[2].

وقال الشوكاني: (المؤمن) أي: الذي وهب لعباده الأمن من عذابه، وقيل: المصدق لرسله بإظهار المعجزات ، وقيل: المصدق للمؤمنين بما وعدهم به من الثواب، والمصدق للكافرين بما أوعدهم به من العذاب، وقال مجاهد: المؤمن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو[3].

وقال الألوسي : (المؤمن) قيل : المصدق لنفسه ولرسله عليهم السلام فيما بلغوه عنه سبحانه إما بالقول أو بخلق المعجزة، أو واهب عباده الأمن من الفزع الأكبر أو مؤمنهم منه إما بخلق الطمأنينة في قلوبهم أو بإخبارهم أن لا خوف عليهم . وقيل : مؤمن الخلق من ظلمه . وقال ثعلب : المصدق للمؤمنين في أنهم آمنوا[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير عنه بإسناد حسن.

(٢) الطبري (٢٨/٣٦).

(٣) فتح القدير (٥/٢٠٧) وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٨/٤٦)، و«المنهاج» للحليمي (١/٢٠٢).

(٤) «روح المعاني» (٢٨/٦٣) وانظر: «تفسير أسماء الله» للزجاج (ص ٣١) و«النهاية» لابن=

وقال السعدي : (المؤمن) الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال ، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان ويدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به[1].

*** آثار الإيمان بهذا الاسم:**

١- إن الله سبحانه وتعالى هو المؤمن الموحد لنفسه، وقد أخبر عن وحدانية نفسه في قوله تعالى : ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [آل عمران: ١٨].

فالله صدّق نفسه بهذا ، وتصديقه علمه بأنه صادق ، وهذا التصديق إيمان.

وأخبر تعالى أنه سيُري خلقه علامات وحدانيته ودلائل إلهيته وعظمته، قال تعالى : ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: ٥٣].

٢- إنه سبحانه صدق أنبياءه بإظهار الآيات الباهرة على أيديهم التي تبين للناس أنهم صادقون في ادعائهم أنهم رسل الله ولتحملهم على الدخول في دين الله، قال تعالى : ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال : ﴿**وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ [آل عمران: ٥٠].

= الأثير (١/ ٦٩) وانظر : «الطحاوية» (ص٩٤) و«الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٥) و«شرح الأسماء للرازي (ص ١٨٩ ـ ١٩٠).

(١) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠١).

٣- إنه تعالى يصدق عباده ما وعدهم به من النصر في الدنيا والتمكين في الأرض ومن الثواب في الآخرة، ويصدق الكفار ما أوعدهم من العقاب والخذلان في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ومن نظر إلى سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين علم صدق وعد الله لعباده المخلصين.

وقال تعالى : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الاعراف: ٤٤].

وقال : ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

٤- إنه يأمن عذابه من لا يستحقه، ويهب الأمن لعباده المؤمنين يوم القيامة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال تعالى : ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فصلت: ٤٠].

وقال : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الانبياء: ١٠٣].

وقال : ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

٥- وأما المؤمن فقد وجب عليه أنْ يأمن المؤمنون شره وغوائله.

فقد قال ﷺ : **«والله لا يُؤمنَ والله لا يُؤمنُ والله لا يؤمن»** قيل : ومَنْ يا رسول الله ؟ قال : **«الذي لا يأمَن جاره بَوائقَه»**[1] أي : لا يكون الرجل مؤمنًا كامل الإيمان حتى يأمن جاره بوائقه . أي : شروره وغوائله.

وقال أيضًا : **«المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمونَ من لِسانه ويَده»**[2].

وعن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : **«ألا أخبركم بالمؤمن ! مَن أمنه الناسُ على أموالِهم وأنفسهم والمسلم مَن سَلِم الناسُ مِن لِسانه ويده»**[3].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩ ، ١٠ ، ٦٤٨٤) ومسلم (٤٠ ، ٤٢) من حديث عبد الله بن عمرو وأبي موسى الأشعري ومسلم (٤١) عن جابر بن عبد الله.

(٣) حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢١) ثنا علي بن إسحاق ثنا عبد الله أنا ليث أخبرني أبو هاني الخولاني عن عمرو بن مالك الجنبي حدثني فضالة بن عبيد به . وبقية الحديث: **«والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»**.

وهذا إسناد صحيح أبو هاني: هو حميد بن هاني والليث: هو ابن سعد وعبد الله الراوي عنه: هو ابن وهب، وقد تابعه عبد الوارث بن عبيد الله عند ابن حبان (٢٥ -زوائد).

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٣٤) عن عبد الله بن وهب عن أبي هاني عن عمرو بن مالك أن فضالة بن عبيد حدثه به ، فحدث به ابن وهب عن ابن هاني مباشرة، وأخرجه أحمد (٦/ ٢٢) ثنا قتيبة بن سعيد حدثني رشدين بن سعد عن حميد أبي هاني به . وفيه رشدين ضعيف.

وأخرج الترمذي (٢٧٦٢) والنسائي (٨/ ١٠٤) عن قتيبة أخبرنا الليث عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»**. وإسناده حسن، للكلام في محمد بن عجلان.

المُهَيْمِن
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٠)

*** المعنى اللغوي :**

قال بعضهم معناه الأمين، وهو من آمَنَ غيره من الخوف ، وأصله أأمن فهو مؤَأْمِن بهمزتين قُلبت الهمزة الثانية ياءً كراهة اجتماعهما فصار مؤَيمن، ثم صُيرت الأولى هاءً كما قالوا هَراق وأراق .

وقال بعضهم : مُهيمن معنى مؤَيمن والهاء بدل من الهمزة كما قالوا هرقت وأرقت وكما قالوا إياك وهياك، وقال الأزهري: وهذا على قياس العربية صحيح، مع ما جاء في التفسير أنه بمعنى الأمين، قيل بمعنى مؤتمن[1] .

وقيل : إن (المهيمن) الرقيب الحافظ.

وقيل : إنه الشاهد تقول : فلانٌ مُهيْمني على فلان إذا كان شاهدُك عليه[2] .

*** وروده في القرآن العظيم :**

ورد الاسم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وذكر الله معناه في قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

---

(١) «اللسان» (٦/ ٤٧٠٥).

(٢) «تفسير الأسماء» للزجاج (ص٣٢) وانظر: «أحكام القرآن» للقرطبي (٦/ ٢١٠).

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى:**

قال ابن جرير: وقوله المهيمن اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم: (المهيمن) الشهيد، قاله مجاهد وقتادة وغيرهم[١].

وقال أيضًا: وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال: إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل إلا أنهم اختلفت عباراتهم عنه[٢].

وقال ابن كثير: قال ابن عباس وغير واحد أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦] وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣][٣].

وقال الحليمي: (المهيمن) ومعناه لا ينقص للمطيعين يوم الحساب من طاعاتهم شيئًا فلا يثيبهم عليه، لأن الثواب لا يعجزه، ولا هو مُسْتَكرهٌ عليه فيحتاج إلى كتمان بعض الأعمال أو جحدها، وليس ببخيل فيحمله استكثار الثواب إذا كثرت الأعمال على كتمان بعضها، ولا يلحقه نقص بما يثيب فيحبس بعضه، لأنه ليس منتفعًا بملكه حتى إذا نفع غيره به زال انتفاعه بنفسه.

---

(١) وقد رواه عنهما بأسانيد صحيحة. انظر (٢٨/٣٦).

(٢) «جامع البيان» (٦/١٧٢).

(٣)« تفسير ابن كثير» (٤/٣٤٣) وكذا قال الشوكاني في «فتح القدير» (٥/٢٠٨) وبمثله قال الألوسي في تفسيره (٢٨/٦٣). وانظر الجلالين (ص ٤٦٥).

وكما لا ينقص المطيع من حسناته شيئًا ، لا يزيد العصاة على ما اجترحوه من السيئات شيئًا فيزيدهم عقابًا على ما استحقوه ، لأنَّ واحدًا من الكذب والظلم غير جائز عليه ، وقد سمى عقوبة أهل النار جزاء ، فما لم يقابل منها ذنبًا لم يكن جزاء ، ولم يكن وِفَاقًا، فدل ذلك على أنه لا يفعله(1).

قال الرازي : في تفسيره وجوه :

الأول: (المهيمن) هو الشاهد ومنه قوله : ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الشاعر:

إنَّ الكتابَ مُهيمنٌ لنبينا   والحق يَعرفه أُولو الألباب

فالله سبحانه مهيمن أي : شاهد على خلقه بما يصدر منهم من قول أو فعل ، ولهذا قال : ﴿إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] فيكون المهيمن على هذا التقدير هو العالم بجميع المعلومات الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

الثاني : (المهيمن) هو المؤمن قلبت الهمزة هاء لأن الهاء أخف من الهمزة.

الثالث : قال الخليل بن أحمد: (المهيمن) هو الرقيب الحافظ ومنه قول العرب : هيمن فلان على كذا إذا كان محافظًا عليه.

الرابع : قال المبرد : (المهيمن) الحدب المشفق ، تقول العرب للطائر إذا طار حول وكره ورفرف عليه وبسط جناحه يذب عن فرخه : قد هيمن الطائر.

---

(1) المنهاج (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٦٣ ـ ٦٤).

قال أمية بن أبي الصلت :

مَلِيكٌ على عَرشِ السماءِ مُهيمنٌ لعزتِهِ تَعنُو الوُجوه وتَسجد

الخامس : قال الحسن البصري : (المهيمن) المصدق ، وهو في حق الله تعالىٰ يحتمل وجهين:

أحدهما : أن يكون ذلك التصديق بالكلام ، فيصدّق أنبياءه بإخباره تعالىٰ عن كونهم صادقين.

الثاني : أن يكون معنىٰ تصديقه لهم هو أنه يظهر المعجزات علىٰ أيديهم.

السادس : قال الغزالي : اسم لمن كان موصوفًا بمجموع صفات ثلاث ، أحدها العلم بأحوال الشيء ، والثاني : القدرة التامة علىٰ تحصيل مصالح ذلك الشئ، والثالث : المواظبة علىٰ تحصيل تلك المصالح ، فالجامع لهذه الصفات اسمه «المهيمن» وأنىٰ أن تجتمع علىٰ الكمال إلا لله تعالىٰ[1].

وقال السَّعدي : (المهيمن) : المُطَّلع علىٰ خفَايا الأمور ، وخبايا الصدور، الذي أحَاطَ بكل شئ علمًا[2].

❋ آثار الإيمان بهذا الاسم :

١- إن الله سبحانه هو الشاهد علىٰ خلقه بما يصدر منهم من قول أو فعل ، لا يغيب عنه من أفعالهم شيء ، وله الكمال في هذا فلا يضل ولا ينسىٰ ولا يغفل : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] .

---

(١) «شرح الأسماء» (ص ١٩٢ ـ ١٩٤)، وانظر: قول الغزالي في «المقصد الأسنىٰ» (ص ٤١) وقد نقله بمعناه.

(٢) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠١).

٢- جعل الله تعالى كلامه المنزَّل على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ مُهيمنًا على ما قبله من الكتب ، فقال سبحانه : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن الحصار: ومعنى قوله تعالى : ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: عالٍ ، وعلوه على سائر كتب الله ، وإن كان الكلُّ كلام الله تعالى بأمور:

أحدها: بما زاد عليها من السور ، فقد جاء في حديث الصحيح أن نبينا ﷺ خُصَّ بسورة الحمد وخواتيم سورة البقرة[1].

والأمر الثاني : أن جعله الله قرآنًا عربيًا مبينًا ، وكل نبي قد بينَّ لقومه بلسانهم ـ كما أخبر الله تعالى ـ ولكنْ للسان العرب مَزِيَّة في البيان.

والثالث : أنْ جعل نَظْمه وأُسلوبه معجزًا ، وإن كان الإعجاز في سائر الكتب المنزلة من عند الله سبحانه ، من حيث الإخبار عن المغَيبات ، والإعلام بالأحكام المحكمات ، وسنن الله المشروعات، وغير ذلك ، وليس فيها نظم وأسلوب خارج عن المعهود .

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في مواضع منها (٨/١٥٦ ـ ١٥٧) من حديث أبي سعيد بن المعلى وفيه قوله ﷺ: «**الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**».

أما خواتيم سورة البقرة، فليس حديثها في الصحيح ، وإنما أخرجه الإمام أحمد (٥/٣٨٣) من حديث حذيفة وفيه : «**...وأعطيت هذه الآيات من أخر سورة البقرة، من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي**» ورجاله ثقات رجال الشيخين ، انظر التعليق على كتاب «العرش» لابن أبي شيبة (٦٣).

فكان أعلى منها بهذه المعاني ، لهذا المعنى الإشارة بقوله الحق : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤][١].

* * *

(١) «الكتاب الأسنى» ورقة (٣١٥ ب - ٣١٦ أ).

العَزيز
جلّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١١)

* **المعنى اللغوي:**

العزُّ في الأصل القوة والشدة والغلبة ، والعزُّ والعزةُ : الرفعة والامتناع ، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ أي : وله العزة والغلبة . ورجلٌ عزيز : منيعٌ لا يغلب ولا يقهر.

ويقال عزّني فلانٌ على الأمر : إذا غلبني عليه كقوله تعالى : ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾وقوله تعالى : ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: شددنا وقوّينا. وعزّ الشيء يَعزّ فهو عزيز قل حتى ما كاد يوجد يعني أصبح نادرًا[١].

* **وروده في القرآن العظيم :**

ذكر (العزيز) في القرآن اثنتين وتسعين مرة منها :

قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء] وقد تكررت مرارًا.

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

---

(١) «اللسان» (٤/ ٢٩٢٥ ـ ٢٩٢٧) و«النهاية» (٣/ ٢٢٨) و«تفسير الأسماء» (ص ٣٣).

وقوله سبحانه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص: ٦٦]

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى:**

قال قتادة: العزيز أي: في نقمته إذا انتقم[1].

وقال ابن جرير: (العزيز) الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه.

وقال: (العزيز) في انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد يدفعه عنه[2].

وقال ابن كثير: (العزيز) أي: الذي قد عزّ كل شئ فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه[3].

وقال القرطبي: العزيز معناه المنيع الذي لا ينال ولا يغالب.

وقال ابن كيسان: معناه الذي لا يعجزه شئ دليله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال الكسائي: (العزيز) الغالب ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٣] وفي المثل: «من عزّ بزّ» أي: من غلب سلب.

وقيل: العزيز الذي لا مثل له بيانه ﴿ليس كمثله شيءٌ﴾[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٨/ ٣٦) ثنا بن عبد الأعلى ثنا ابن ثور عن معمر عنه. وهذا إسناد صحيح.

ابن عبد الأعلى: هو محمد بن عبد الأعلى الصنعاني: ثقة.

ابن ثور: هو محمد بن ثور الصنعاني، ومعمر: هو بن راشد، وأخرجه بإسناد آخر ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عنه وهذا إسناد حسن وقد تقدم بيانه.

(٢) «جامع البيان» (٧/ ٩٠)، (٢٨/ ٣٦).

(٣) ابن كثير (٤/ ٣٤٣) و (٣/ ٤٥٧).

(٤) القرطبي (٢/ ١٣١) و«شأن الدعاء» للخطابي (ص ٤٧). وانظر: «فتح القدير» (٥/ ٢٠٨).

وقال البيهقي : وهو من صفات الذات[1] .

وقال الحليمي : (العزيز) ومعناه الذي لا يُوصل إليه، ولا يمكن إدخالُ مكروهٍ عليه ، فإن (العزيز) في «لسان العرب» هو من : العزة والصلابة[2] .

وقال السعدي : (العزيز) الذي له العزة كلها : عزة القوة ، وعزة الغلبة ، وعزة الامتناع ، فامتنع أن يناله أحدٌ من المخلوقات وقهر جميع الموجودات ، دانَت له الخليقة وخضعت لعظمته[3] .

وهو ما نظمه ابن القيم في «النونية» بقوله :

وهو العزيزُ فلن يُرام جَنَابُه ... أنَّى يُرام جَنَابُ ذي السلطان؟!
وهو العزيزُ القَاهرُ الغلاَّبُ لم ... يَغْلبه شيءٌ هذه صِفتَان
وهو العزيزُ بقوةٍ هي وَصْفُه ... فالعِزُّ حينئذٍ ثلاث معانِ
وهي التي كَمُلَتْ له سبحانه ... من كلِّ وجهٍ عادم النقصانِ[4]

وعلى هذا فيكون معنى الاسم على أربعة أوجه :

أ - (العزيز) : هو المنيع الذي لا يُرام جنابه .

ب - (العزيز) : هو القاهر الذي لا يغلب ولا يقهر .

جـ - (العزيز) : هو القوي الشديد .

---

(١) «الاعتقاد» (ص٥٥).

(٢) «المنهاج» (١/ ١٩٥) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده ، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص٣٣).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٤) «النونية» (٢/ ٢١٨).

د - العزيز بمعنى نفاسة القَدْر، وأنه سبحانه لا يعادله شيئ، ولا مِثْلَ له ولا نظير.

*** آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١- الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى من أسمائه العزيز الذي لا يغلب ولا يقهر، يعطي المسلم شجاعة وثقة كبيرة به، لأن معناه أن ربه لا يُمانع ولا يُرد أمره وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءوا . والناظر في قصص الرسل والأنبياء عليهم أفضل الصلوات والتسليم يرى ذلك واضحًا جليًا، فمثلاً في قصة موسى عليه الصلاة والسلام حاول فرعون أن يمنع خروج هذا الصبي إلى الدنيا ، بأن أمر بقتل جميع الذكور من بني إسرائيل لأنه علم أنه سيخرج فيهم نبي ينتزع منه ملكه ولكن يأبي الله العزيز إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فولد موسى عليه الصلاة والسلام ، وكان أن تربى موسى في قصر فرعون وفي بيته وتحت رعايته ، ولما حاول أن يقتله أهلكه الله هو وقائده هامان وجنوده أجمعين .

وهكذا الأمر أيضًا بالنسبة ليوسف عليه الصلاة والسلام فقد أراد إخوته قتله في أول الأمر ، ولم يكن لهم سبيل إلى قتله لأن الله تعالى كان يريد منه أمرًا لابد من إمضائه وإتمامه من الإيحاء إليه بالنبوة ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها فصرفهم الله عنه بمقالة «روبيل» فيه وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب وهو أسفله[1].

ولما حاول اليهود قتل عيسى ﷺ رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا.

وهكذا الأمر بالنسبة لنبينا محمد ﷺ فقد مكر به كفار قريش ليقتلوه

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٠).

أو يحبسوه أو يخرجوه من بلدته ، وحاولوا أن يصدوا الناس عن الإيمان به وبدعوته وحاربوه وألبوا عليه القبائل وحرضوا عليه اليهود والمنافقين في المدينة ، ولكن ذلك كله لم يمنع الإسلام من الانتشار في أرض الجزيرة العربية ، والسيطرة عليها، وظهور الغلبة والتمكين في الأرض للإسلام والمسلمين ولله الأمر من قبل ومن بعد .

٢- إن العزيز في الدنيا والآخرة هو من أعزه الله . قال تعالىٰ : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فمن طلب العز فليطلبه من رب العزة كما قال تعالىٰ : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** ﴾ [فاطر: ١٠] أي : من كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالىٰ فإنه يحصل له مقصوده لأن الله تعالىٰ مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعًا .

وبذلك تعلم ضلال من بحث عن العزة عند غير الله تعالىٰ ، وبغير طاعته والتزام نهج المؤمنين ، فعادىٰ رب العزة وشريعته ، وحارب حزبه المؤمنين ووالىٰ أعداء الله من المشركين واليهود والنصارىٰ وغيرهم ظنًا منه أن هذا هو سبيل العزة وطريقها ، قال تعالىٰ منكرًا عليهم : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [النساء: ١٣٩].

ومع عظم الطاعة تزداد العزة ، فأعز الناس هم الأنبياء ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم.

قال فخر الدين الرازي : وعزة كل أحد بقدر علو رتبته في الدين

فإنه كلما كانت هــذه الصفــة فيــه أكمــل كان وجدان مثله أقل وكان أشد عزة وأكمــل رفعــة ولهــذا قال تعــالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨][١].

٣- كثيراً ما اقترن اسمه (العزيز) مع (الرحيم) كما في سورة الشعراء وغيرها، فالله عزيز في رحمته، رحيم في عزته وهذا هو الكمال ، العزة مع الرحمة والرحمة مع العزة، فهو رحيم بلا ذل[٢].

٤- من أسباب العزة العفو والتواضع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**مَا نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ وما زَادَ اللهُ عَبْدًا بعفْوٍ إلا عِـزًا، وما تَواضَــعَ أَحَــدٌ لله إلا رَفَعَـه الله**»[٣].

فمن عفا عن شئ مع قدرته على الانتقام ، عظم في القلوب في الدنيا، أو في الآخرة بأن يعظم ثوابه أو فيهما ، ومن تواضع رجاء التقرب إلى الله دون غرض غيره. رفعه الله عند الناس وأجل مكانه.

٥- سمَّى الله تبارك وتعالى كتابه (العزيز) في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ

---

(١) «شرح الأسماء» (ص ١٩٦).

(٢) ابن كثير (٣/ ٤٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) والترمذي (٢٠٩٨) وقال: حديث حسن صحيح. وجاء من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «**ما من آدمي إلا في رأسه حكَمَةٌ بيد مَلَك فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك: دع حكمته**». رواه الطبراني في «الكبير» برقم (١٢٩٣٩) والبزار بنحوه عن أبي هريرة ومداره على عليّ بن زيد بن جدعان وهو ضعيف لسوء حفظه وقد أورد له شيخنا محمد ناصر الدين الألباني شاهدًا يرويه ابن عساكر في «مدح التواضع» وحسنه. انظر: «الصحيحة» رقم (٥٣٨).

الحكمة: بالتحريك ما يجعل تحت حنك الدابة يمنعها المخالفة كاللجام والحنك متصل بالرأس.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

قال قتادة : أعزه الله لأنه كلامه وحفظه من الباطل[1].

فكلامه تعالىٰ عزيز محكم لا يتطرق إليه الباطل.

قال ابن جرير : لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده وتبديل شئ من معانيه عما هو به وذلك هو الإتيان من بين يديه ، ولا إلحاق ما ليس منه فيه وذلك إتيانه من خلفه وقوله : ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. يقول تعالىٰ ذكره هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده وصرفهم فيما فيه مصالحهم، حميد: يقول محمود علىٰ نعمه عليهم بأياديه عندهم[1].

* * *

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٧٩) عنه بإسناد حسن.

الجبَّار
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٢)

*** المعنىٰ اللغوي:**

جَبَرَ الرجلُ علىٰ الأمر يَجبرهُ جَبْرًا وجُبُورًا وأجبره : أكرَهَه عليه. والجَبْر خلاف الكسر جبَر العظم يَجبُره جَبْرًا والجَبْر أن تُغني الرجل من الفقر، أو يَجبر عظمه من الكسر، وتجبر النبتُ والشجر: اخضَرَّ وأورق.

و(الجبار) : العظيم القوي الطويل . قال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢].

قال اللحياني : أراد الطول والقوة والعظم .

قال الأزهري : كأنه ذهب به إلىٰ الجبار من النخيل . وهو الطويل الذي فات يد المتناول ، ونخلةٌ جبارة أي : عظيمة سمينة.

وتجبر الرجل إذا تكبر. قال تعالىٰ : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢] أي : متكبراً علىٰ عبادة الله تعالىٰ[١].

*** وروده في القرآن الكريم:**

ورد هذا الاسم في القرآن مرة واحدة في قوله تعالىٰ : ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] .

---

(١) انظر: «النهاية» لابن الأثير (١/ ٢٣٥) و«لسان العرب» (١/ ٥٣٥) و«تفسير الأسماء» للزجاج (ص/ ٣٤)، و«شأن الدعاء» (ص ٤٨).

* معنىٰ الاسم في حق الله تعالىٰ:

قال الطبري: (الجبار): يعني المصلح أمور خلقه المصرفهم فيما فيه صلاحهم[1] وقال قتادة: جبر خلقه علىٰ ما يشاء من أمره[2].

وقال الخطابي: (الجبار) هو الذي جبر الخلق علىٰ ما أراد من أمره ونهيه، يقال: جبره السلطان وأجبره بالألف.

ويقال: هو الذي جبر مفاقر الخلق وكفاهم أسباب المعاش والرزق.

ويقال: بل الجبّار العالي فوق خلقه من قولهم: تجبر النبات إذا علا واكتهل ويقال للنخلة التي لا تنالها اليد طولاً الجبارة[3].

وقال الشوكاني: (الجبار): جبروت الله عظمته، والعرب تسمي الملك: الجبار[4].

وقال السعدي: (الجبار): هو بمعنىٰ العلي الأعلىٰ، وبمعنىٰ القهار، وبمعنىٰ الرؤوف الجابر للقلوبِ المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذَ به ولجأ إليه[5].

قلت: وهو ما نظمه ابن القيم في «النونية»:

وكذلك الجبَّارُ من أوْصَافه ... والجَبْرُ في أوْصَافِهِ قِسْمانِ
جَبْرُ الضَّعيفِ وكلُّ قلبٍ قد غَدَا ... ذا كَسْرَةٍ فالجبر منه دَانِ

---

(١) الطبري (٢٨/٣٦) وابن كثير (٤/ ٣٤٣).

(٢) رواه ابن جرير عنه بإسناد صحيح.

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٤٨) وراجع «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٣٤ ـ ٣٥) و«الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٥) والقرطبي (٤٧/١٨) وروح المعاني (٢٨/ ٦٣).

(٤) «فتح القدير»: (٥/٢٠٨).

(٥) «تيسير الكريم» (٥/٣٠١).

والثاني جَبْرُ القَهْر بالعزِّ الذي لا ينبغي لِسِواه من إنسانِ
وله مسمًّى ثالث وهو العُلُّو فليس يَدْنُو منه من إنسانِ
من قولهم جَبَّارة للنَّخْلةِ الـ عليا التي فَاتَتْ لكلِّ بنانِ[1]

فيكون معنى الجبار على وجوه:

١- (الجبار): هو العالي على خلقه ، وفعّال من أبنية المبالغة.

٢- (الجبار): هو المصلح للأمور من جبر الكسر إذا أصلحه وجبر الفقير إذا أغناه.

٣- (الجبار) هو القاهر خلقه على ما أراد من أمر أو نهى[2]. كما قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] أي: لست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى ولم تكلف بذلك.

وعلى المعنى الأول يكون من صفات الذات وعلى المعنى الثاني والثالث يكون من صفات الفعل.

*** آثار الإيمان بهذا الاسم:**

١- إن الله تعالى هو الجبار الذي له العُلُوُّ على خلقه، علو الذات، وعلو القَدْر والصفات، وعلو القهر والجبر[3]، لا يدنو منه الخلق إلا بأمره، ولا يشفعون أو يتكلمون إلا من بعد إذنه، لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه.

٢- جَبَرَ الله تعالى خَلْقَــه على ما أراد أنْ يكونــوا عليه من خَلْقٍ، لا يمتنع عليه شيءٌ منهم أبداً ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن

(١) «النونية» (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «شرح الأسماء» للرازي (ص ١٩٧ ـ ١٩٨) ولسان العرب (١/ ٥٣٤).

(٣) ويأتي الكلام على العلو بالتفصيل عند أسمائه تعالى (العلي ـ الأعلى ـ المتعال).

فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

[فصلت: ١١ ـ ١٢].

أي: استجيبا لأمري، وانفعلا لفعلي، طائعتين أو مكرهتين.

٣- والله سبحانه جبر خلقه أيضًا على ما شاء من أمر أو نهي، بمعنى أنه شرع لهم من الدين ما ارتضاه هو، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

فشرع لهم من الشرائع ما شاء، وأمرهم باتباعها ونهاهم عن العدول عنها، فمن أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار. ولم يجبر أحدًا من خلقه على إيمان أو كفر، بل لهم المشيئة في ذلك كما قال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

[الكهف: ٢٩].

وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠] وهم مع ذلك لا يخرجون

عن مشيئته[1].

ولو شاء الله لهدىٰ الناس جميعًا، ولم يجعل لهم اختيارًا كما قال سبحانه: ﴿**أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [الرعد: ٣١] وقال: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾ [السجدة: ١٣].

٤- الجبروت لله وحده وقد مدح الله بهذا الاسم نفسه وأما في حق الخلق فهو مذموم فما الفرق؟.

الفرق أنه سبحانه قهر الجبابرة بجبروته وعلاهم بعظمته لا يجري عليه حكم حاكم فيجب عليه انقياده، ولا يتوجه عليه أمر آمر فيلزمه امتثاله، آمر غير مأمور، قاهر غير مقهور ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وأما الخلق فهم موصوفون بصفات النقص مقهورون مجبورون تؤذيهم البقة وتأكلهم الدودة، وتشوشهم الذبابة، أسير جوعه، وصريع شبعه ومن تكون هذه صفته كيف يليق به التكبر والتجبر؟![2].

وقد أنكرت الرسل علىٰ أقوامها صفة التجبر والتكبر في الأرض بغير الحق كما قال تعالىٰ عن هود ﷺ أنه قال لقومه: ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ [الشعراء: ١٣٠، ١٣١] إلىٰ أن قال: ﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الشعراء: ١٣٥]. ولكنهم عاندوا واتبعوا

---

(١) وأما الجبرية الضلال فإنهم نفوا ان يكون للعبد أي فعل أو اختيار، فقالوا: الإنسان كالميت الذي لا فعل له، أو كالشجر الذي تحركه الريح! والفاعل في الحقيقة هو الله!! وهو مع ذلك ملوم ومحاسب على فعله!! هذا هو التوحيد عندهم!

وسيأتي مزيد من التفصيل في الكلام على خلق أفعال العباد، انظر آثار الإيمان بـ(الخالق) رقم (٣).

(٢) شرح الأسماء للرازي (ص ١٩٩).

أمر جبابرتهم فهلكوا أجمعين. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود: ٥٩].

وقد كان التجبر سببًا للطبع على قلوبهم فلم تعرف معروفًا ولم تنكر منكرًا ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وقد توعد الله سبحانه الجبابرة بالعذاب والنكال، توعدهم بجهنم وبئس المهاد، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

وقال ﷺ: «يَخرج عنقٌ من النار يوم القيامة له عينان تُبصران وأُذُنان تَسمعان ولسانٌ ينطق يقول: إني وكِّلتُ بثلاثة: بكلِّ جبّار عَنيد، وبكل من دعَا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين»[1].

وقال ﷺ: «تَحاجّت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبّرين والمتجبّرين...»[2].

٥- الأرض كلها خبزة بيد الجبار سبحانه وتعالى يوم القيامة:

عن أبي سعيد الخدريّ قال قال رسول الله ﷺ: «تَكُونُ الأَرضُ يومَ القِيامة خُبزةً واحدةً يَتكفَّؤها الجبَّارُ بيده كما يكفأ أحدُكم خبزته في السفر نُزُلاً لأهل الجنة..»[3].

---

(١) رواه أحمد (٢/٣٣٦) والترمذي (٢٦٩٨) كلاهما من طريق عبد العزيز بن مسلم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين.

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦).

(٣) رواه البخاري (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢) ومعنى «يكفؤها الجبار بيده»: أيّ: يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها وتكون كالرغيف العظيم ويكون ذلك طعامًا نزلاً لأهل الجنة.

٦- وكان النبي ﷺ يدعو بين السجدتين فيقول: « **اللهم اغْفِر لي وارْحَمني واجْبُرْني وارْفَعني واهْدِني وعافني وارزقني**»[١].

فكان يدعو بما دلّ عليه اسم (الجبار) جل وعلا.

قال ابن الأثير: واجبرني أي: أغْنِني، من جَبَر الله مصيبته: أي: ردّ عليه ما ذَهَب منه وعوضه، وأصله من جَبْر الكسر[٢].

وكان يعظم ربه أيضًا بهذا الاسم في الصلاة في الركوع والسجود كما جاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي أنه كان يقول في ركوعه: «**سُبْحَانَ ذِي الجَبروتِ والمَلكوتِ والكِبْرياءِ والعَظَمة**»[٣]، وفي سجوده مثل ذلك.



(١) رواه أبو داود (٨٥٠) والترمذي (٢٨٣) وابن ماجه (٨٩٨) والحاكم (١/ ٢٧١) وصححه من طريق كامل أبي العلاء عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر**» إلخ. ورجاله ثقات سوى كامل أبو العلاء: وهو ابن العلاء التميمي الكوفي صدوق يخطيء كذا في «التقريب»، فالحديث إسناده حسن والله أعلم.

(٢) «النهاية» (١/ ٢٣٦).

(٣) حديث حسن: أخرجه أبو داود (٨٧٣) والنسائي (٢/ ٢٢٣) من طريق معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعي.
معاوية بن صالح: هو بن حُدير صدوق له أوهام ، وعمرو بن قيس: هو ابن ثور ثقة وعاصم: هو السكوني مخضرم صدوق، فالحديث حسن بهذا الإسناد.

المُتَكَبِّر ـ الكَبِير[1]

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(١٣ ـ ١٤)

* **المعنى اللغوي:**

يقال كَبُرَ بالضم يكبُر أي: عَظُمَ فهو كبير.

قال ابن سيده: الكبر: نقيض الصغر، وكَبَّر الأمر: جعله كبيرًا، واستكبره رآه كبيرًا كقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ**﴾ [يوسف: ٣١] أي أعظمنه. والتكبير: التعظيم، والتكبر والاستكبار: التعظم، والكِبْرُ: الرفعة في الشرف، والكبرياء: الملك كقوله تعالى: ﴿**وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ**﴾ [يونس: ٧٨] والكبرياء أيضًا: العظمة والتجبر.

والتاء التي في (المتكبر) ليست تاء التعاطي والتكلف كما يقال فلان يتعظم وليس بعظيم ويتسخى وليس بسخي وإنما هي تاء التفرد والتخصص.

قال الأزهري: التفعل قد يجيء بغير التكلف ومنه قول العرب: فلان يتظلم أي: يظلم، فلان يتظلم أي: يشكو من الظلم ـ وهذه الكلمة من الأضداد ـ فثبت أن هذا البناء غير مقصور على التكلف[2].

وقال الرازي بعد أن ساق كلام الأزهري: وأنا أقول يمكن أن يجاب بوجه آخر وهو أن المتفعل هو الذي يحاول إظهار الشيء ويبالغ في ذلك

---

(١) ولقرب معناهما فإننا نتكلم عنهما في فصل واحد.

(٢) «النهاية» (٤/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، «لسان العرب» (٥/ ٣٨٠٧ ـ ٣٨١٠).

الإظهار، ثم إن كان صادقًا فيه كان ذلك الإظهار منه صفة مدح، وإن كان كاذبًا كان صفة ذم[1].

*** ورود الاسمين في القرآن الكريم:**

سمى الله سبحانه وتعالى نفسه بـ(المتكبر) في آية واحدة من القرآن الكريم في قوله ﴿**الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ**﴾ [الحشر: ٢٣].

وأما اسمه (الكبير) فقد ورد في ستة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى:﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾ [الرعد: ٩] ، وقوله: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [الحج: ٦٢]، وقد جاء مقترنًا باسمه (العلي) و (المتعال).

*** معنى الاسمين في حق الله تعالى:**

قال قتادة: (المتكبر) أي: تكبر عن كل شر[2].

وقيل (المتكبر) : هو الذي تكبر عن ظُلم عباده، وهو يرجع إلى الأول[3].

وقال الخطابي: هو المتعالي عن صفات الخلق، ويقال: هو الذي يتكبر على عُتاةِ خلقه إذا نازعوه العظمة[4].

وقال القرطبي (المتكبر) : الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل: (المتكبر) عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم . وأصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد. قال حُميد بن ثور:

---

(١) «شرح الأسماء» للرازي (ص٢٠١).

(٢) رواه الطبري (٢٨/٣٧) عنه بإسناد صحيح.

(٣) انظر: الطبري (٢٨/٣٧) وابن كثير (٤/ ٣٤٣).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ٤٨) و «الاعتقاد» (ص٥٥).

عفت مثل ما يعفو الفصيل فأصبحت

بها كبرياء الصعب وهي ذلول[1]

وقال عبد الله النسفي: هو البليغ الكبرياء والعظمة[2].

وأما ما قاله العلماء في معنى اسمه (الكبير) فإنه مشابه لما ذكرنا من معنى (المتكبر).

قال ابن جرير: (الكبير) يعني العظيم الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه[3].

وقال الخطابي: (الكبير) هو الموصوف بالجلال وكِبَر الشأن فصغر دون جلاله كل كبير، ويقال: هو الذي كَبُر عن شَبَهِ المخلوقين[4].

وعلى هذا يكون معنى (المتكبر) و(الكبير):

١- الذي تكبر عن كل سوء وشر وظلم.

٢- الذي تكبر وتعالى عن صفات الخلق فلا شيء مثله.

٣- الذي كبر وعظم فكل شيء دون جلاله صغير وحقير.

٤- الذي له الكبرياء في السموات والأرض أي: السلطان والعظمة.

*** آثار الإيمان بهذين الاسمين:**

١- إن الله أكبر من كل شيء، وأكبر من أنْ يُعرف كُنْه كبريائه وعظمته وأكبر من أن نحيط به علمًا. قال تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٠]،

(١) القرطبي (١٨/٤٧) و«فتح القدير» (٥/٢٠٨).

(٢) «تفسير النسفي» (٤/٢٤٥).

(٣) «جامع البيان» (١٣/٧٥) و (١٧/١٣٧) وانظر ابن كثير (٢/٥٠٣) و (٣/٢٣٢) والشوكاني (٣/٦٨).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ٦٦).

فالله جلت عظمته أكبر من أن نعرف كيفية ذاته أو صفاته ولذلك نهينا عن التفكر في الله لأننا لن ندرك ذلك بعقولنا الصغيرة القاصرة المحدودة ، فقد قال ﷺ : **«تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في الله عز وجل»**(1).

وقد وقع الفلاسفة في ذلك وحاولوا أن يدركوا كيفية وماهية ربهم بعقولهم فتاهوا وضلوا ضلالاً بعيداً ولم يجنوا سوى الحيرة والتخبط والتناقض فيما سطروه من الأقوال والمعتقدات.

فمن أراد معرفة ربه وصفاته فعليه بطريق الرسول ﷺ لأنه أعلم الخلق بالله وصفاته، فعليه أُنزل الكتاب العزيز الذي لا تكاد الآية منه تخلو من صفة لله سبحانه سواء كانت ذاتية أو فعلية أو اسم من أسمائه الحسنى، وعليه أيضًا أنزلت السنة الشارحة والمفصلة للكتاب، فطريقه ﷺ هو الطريق الأسلم ومنهجه هو المنهج الأقوم، فمن اتبعه كان من الناجين، ولذلك بيّن في الحديث الصحيح أن الفرقة الناجية هي ما كان عليه هو وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين في المعتقد والعبادة والسلوك.

٢- إن التكبر لا يليق إلا به سبحانه وتعالى، فصفة السيد التكبر والترفع وأما العبد فصفته التذلل والخشوع والخضوع.

وقد توعد الله سبحانه المتكبرين بأشد العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [الأحقاف: ٢٠].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط واللالكائي في السنة (٢/ ٥٢٥) والبيهقي في «الشعب» (١٢٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٦ ـ ٦٧) وقد حسنه الألباني حفظه الله بمجموع طرقه انظر: «السلسلة الصحيحة» (١٧٨٨).

وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

واستكبارهم هذا: هو رفضهم الانقياد لله ولأوامره ورفضهم عبادة ربهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، فرفضوا الإذعان لكلمة التوحيد وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٣١] يبين أنهم رفضوا الحق الذي جاءت به الرسل وردّوه ولم يقبلوه، وقوله سبحانه: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] يبين أنهم احتقروا أتباع الرسل لكونهم من ضعفة الناس وفقرائهم فلم يدخلوا في جماعتهم ولم يشاركوهم في الإيمان بما جاءت به الرسل[١].

وكان الكبر سببًا للطبع على قلوبهم فلم تعد تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

فالحاصل أن الكبر كان سببًا في هلاك الأمم السابقة، بل كان السبب في هلاك إبليس عليه لعنة الله وطرده من رحمة الله أنه أبى أن يسجد لآدم ﷺ واستكبر على أمر ربه سبحانه، قال تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

٣- ولا يكاد يخلو طاغية في الأرض من هذا المرض العضال،

---

(١) وهذا كله يبينه حديثُ النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثال ذرة من كبر، قال رجلٌ: إن الرجل يحبُ أن يكون ثوبُهُ حسنًا ونعلُهُ حسنةً. قال: إن الله جميلٌ يحبُ الجمال. الكبْرُ بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس» رواه مسلم (٩١) وغيره عن عبد الله بن مسعود. فوضح ﷺ الكبر بأنه بطر الحق أي: دفعه وإنكاره تكبرًا وترفعًا وتجبرًا. وغمط الناس أي: احتقارهم وازدراؤهم.

الذي كثرت الآيات فيه والأحاديث المحذرة منه، والآمرة بالتواضع.

ودواؤه أن يتذكر العبد دومًا أنه لا حول له ولا قوة إلا بربه وأن الله هو الكبير المتعال على الخلق أجمعين، القادر على الانتقام من الأقوياء للضعفاء والمساكين كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤] أي: والنساء اللاتي تتخوفون أن يعصين أزواجهن فذكروهن بالله فإن هي رجعت وإلا هجرها، فإن أقبلت وإلا ضربها ضربًا غير مبرّح، فإذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله فلا سبيل له عليها، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب فإن الله العلي الكبير وليّهن، وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن(١).

فذكّر الله الرجال بأنه هو العلي الكبير ليحذرهم من الظلم والتكبر والطغيان على المرأة الضعيفة.

٤- والكبر يمنع أيضًا من طلب العلم والسؤال عنه، لأن المتكبر يترفع عن الجلوس بين يدي العالم للتعلم ويرى أن في ذلك مهانة له ويؤثر البقاء على الجهل فيجمع بين الكبر والجهل، بل قد يجادل ويناقش ويخوض في المسائل بدون علم حتى لا يقال أنه لا يعلم فيصغر عند الناس، قال تعالى ذكره: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨، ٩].

أي: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم صحيح ولا نقل صريح

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٢).

بل بمجرد الرأي والهوى وإذا دعي إلى الحق ثنى عطفه أي: لوى رقبته مستكبرًا عما يدعى إليه من الحق كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] فأخبر تعالى أن له في الدنيا الخزي وهو الإهانة والذل لأنه استكبر عن آيات الله فجوزي بنقيض قصده وله في الآخرة عذاب النار المحرقة.

ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

وقد ذم السلف الكبر في العلم فمن أقوالهم:

من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن خالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر.

وقال إبراهيم بن الأشعث: سألت الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له ممن سمعته ولو كان أجهل الناس لزمك أن تقبله منه.

وقال سعيد بن جبير : لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون.

ونبي الله موسى عليه الصلاة والسلام لم تمنعه منزلة النبوة من أن يطلب العلم ممن هو دونه فقال للخضر عليه الصلاة السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

ولم يزل علماء السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم. قال الحميدي وهو تلميذ الشافعي: صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت استفيد منه المسائل وكان يستفيد مني الحديث.

وقال أحمد بن حنبل: قال لنا الشافعي أنتم أعلم بالحديث مني فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا حتى آخذ به.

وما أحسن قول القائل:

ليس العمى طول السؤال وإنما

تمام العمى طول السكوت على الجهل[1]

* * *

(١) انظر فيما سبق «جـامع بيان العلم وفضله» (١/١٧١ ـ ١٧٥) و«تذكرة السامع والمتكلم» (ص٢٨ ـ٢٩).

الخَالق ـ الخَلاَّق
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٥، ١٦)

*** المعنى اللغوي:**

اعلم أن الخلق في كلام العرب على وجهين:

أحدهما : الإنشاء على مثال أبدعه لم يسبق إليه أحدثه بعد إذ لم يكن.

والآخر: التقدير، وخلَقَ الأديم يَخْلقه خَلْقًا: قدّره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفًا.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ**﴾ [الزمر: ٦] أي يخلقكم نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿**وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾ [العنكبوت: ١٧] أي تقدرونه وتهيئونه، وهو كذب كقوله تعالى: ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾ [ص: ٧].

وقال زهير يمدح رجلاً:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفْري

أي: أنت إذا قدّرت أمرك قطعته وأمضيته، وغيرك يقدّر ثم لا يشرع في الأمر[1].

---

(١) «النهاية» (٢/ ٧٠) و«اللسان» (٢/ ١٢٤٤) و«تفسير الأسماء» (ص ٣٥ ـ ٣٧).

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسمه «الخالق» في أحد عشر موضعًا في القرآن منها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩].

وغيرها من الآيات.

وجاء الاسم بصيغة المبالغة مرتين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، وقوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

*** المعنى في حق الله تبارك وتعالى:**

الخلق كما بيّنا يراد به الإيجاد والإبداع تارة، والتقدير تارة أخرى، فمن الآيات التي تدل على المعنى الأول قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. ولو كان الخلق ها هنا عبارة عن التقدير لصار معنى الآية إنا كل شيء قدرناه بقدر فيكون تكريرًا بلا فائدة.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] فلو كان الخلق عبارة عن التقدير لصار معنى الآية وقدر كل شيء فقدره تقديرًا.

وكذا قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فلا يليق بلفظ الخلق هنا إلا الإيجاد، وقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا

﴿خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١] مثلها أيضًا في المعنى، بل قد جاءت بعض الآيات ذكر فيها الخلق مقرونًا باليد كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

قال ابن جرير في تفسيرها:

«قال الله لإبليس إذ لم يسجد لآدم وخالف أمره: يا إبليس ما منعك أن تسجد، يقول: أيُّ شيء منعك من السجود لما خلقت بيديّ، يقول: لخلق يديَّ، يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه كما حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرني عبيد المكتب قال سمعت مجاهدًا يحدث عن ابن عمر قال: «**خلق الله بيده: العرش وعدن والقلم وآدم ثم قال لكل شيء: كُن فكان**»[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] بقول مجاهد وهو قوله: فتبارك الله أحسن الخالقين. قال يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، ثم قال لأن العرب تسمي كل صانع خالقًا[2].

وقال الخطابي: (الخالق): هو المبدع للخلق والمخترع له على غير مثال سبق. قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

فأما في نعوت الآدميين فمعنى الخلق التقدير كقوله عز وجل: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩][3].

(١) «جامع البيان» (٢٣/١١٩) والأثر الذي ذكره إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين سوى عبيد المكتب وهو ابن مهران فمن رجال مسلم. وتابع شعبة عبد الواحد بن زياد عند الدارمي «الرد على المريسي» (ص ٩٠) وذكره الذهبي في «العلو» (ص ٦٦).

(٢) (١٨/٩).

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٤٩).

وقال الزّجّاج: فالخلق في اسم الله تعالى هو ابتداءُ تقدير النشء، فالله خالقها ومنشئها وهو متممها ومدبرها فتبارك الله أحسن الخالقين[1].

وقال الحليمي : قال الله عز وجل : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

ومعناه: الذي صنّف المبدعات، وجعل لكل صنف منها قدراً، فوجد فيها الصغير والكبير والطويل والقصير، والإنسان والبهيم والدابة والطائر، والحيوان والموات، ولا شك في أن الاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بالخلق، إذ كان الخلق هيئة الإبداع فلا يغني أحدهما عن الآخر.

وقال : «الخلاق» ومعناه: الخالق خَلْقًا بعد خَلْق[2].

* * *

(١) «تفسير الأسماء» (ص ٣٦ ـ ٣٧) وانظر: «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٦) و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ٧٠).

(٢) «المنهاج» (١/ ١٩٣) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات الإبتداع والاختراع له، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٢٥ ـ ٢٦)

البَارئ
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٧)

* المعنى اللغوي:

قال ابن الأعرابي: برئ إذا تَخلَّصَ، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي إعذار وإنذار.

وأصبح بارئًا من مرضه وبريئًا كقولك صحيحًا وصحاحًا، وقد أبرأه الله من مرضه إبراءً.

وقال الأخفش: يقال برئت العود وبروته إذا قطعته وبريت القلم بغير همز إذا قطعته وأصلحته.

والبرية: الخلق وأصلها الهمز وقد تركت العرب همزها.

وقال الفرّاء: وإذا أخذت البرية من البرَي وهو التراب فأصلها غيرُ الهمز[1]. وقد وردت في القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

* وروده في القرآن الكريم:

ورد الاسم ثلاث مرات في القرآن، مرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤].

(١) «النهاية» (١/ ١٢٢) و«اللسان» (١/ ٢٣٩) و«تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٣٧) و«شرح الأسماء» للرازي (ص ٢٠٧) و«شأن الدعاء» (ص ٥٠).

ومرتين في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

*** المعنى في حق الله تعالى:**

قال ابن جرير: (الباريء) الذى برأ الخلق فأوجدهم بقدرته[1].

وقال الزّجّاج: (الباريء) يقال برأَ الله الخلق فهو يبرؤهم برءًا: إذا فطرهم.

والبَرْءُ: خلق على صفة ، فكل مبروءٍ مخلوق، وليس كل مخلوق مُبروءًا وذلك لأنّ البَرء من تبرئة الشئ من الشيء من قولهم: برأتُ من المرض، وبَرِئت من الدَّين أبرأ منه، فبعض الخلق إذا فُصل من بعض سمّي فاعله بارئًا[2].

وقال الشوكاني: البارئ الخالق، وقيل إن (الباريء) هو: المبدع المحدث[3].

وقال الخطابي: البارئ هو الخالق. ثم قال: إلا أنّ لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من الخلق وقلّما يستعمل في خلق السماوات والأرض والجبال فيقال: برأ الله السماء كما يقال: برأ الله الإنسان وبرأ النَسَم[4].

وقال ابن كثير: الخلق هو التقدير، والبرء هو الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل.

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٢٨/ ٣٧).

(٢) «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٢٧).

(٣) «فتح القدير» (١/ ٨٦).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ٥١) و«النهاية» لابن الأثير (١/ ١١١).

قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري[1]

وقال الحليمي رحمه الله: وهذا الاسم يحتمل معنيين أحدهما: الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق. وهذا هو الذى يشير إليه جل وعز: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] ولا شك أن إثبات الإبداع والاعتراف به للباري جل وعز ليس يكون على أنه أبدع بغتة من غير علم سبق له بما هو مبدعه، لكن على أنه كان عالمًا بما أبدع قبل أن يُبدع، فكما وجب له عند الإبداع اسم البديع، وجب له اسم (الباريء).

والآخر: أن المراد بالباريء قالب الأعيان، أي: أنه أبدع الماء والتراب والنار والهواء لا من شيء، ثم خلق منها الأجسام المختلفة كما قال جل وعز: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وقال: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠] وقال: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤] وقال: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣٤٣/٤) عند قوله تعالى: ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] وقال الرازى: فإن فسرنا الخالق ها هنا بالمقدّر حَسُنَ انتظام هذه الأسماء الثلاثة على هذا الترتيب. «الأسماء» (٢٠٦).

فيكون هذا من قولهم: برأ القوَّاسُ القوسَ، إذا صنعها من موادها التي كانت لها فجاءت منها لا كهيئتها، والاعتراف لله عز وجل بالإبداع يقتضي الاعتراف له بالبرء، إذ كان المعترف يعلم به نفسه أنه منقول من حال إلى حال، إلى أن صار ممن يقدر على الاعتقاد والاعتراف»[1].

ويمكن أن نلخص القول في معنى (الباريء) على وجوه:

١- أن (الباريء) هو الموجد والمبدع ، من برأ الله الخلق إذا خلقهم. وبهذا يكون الاسم مشابهًا ومرادفًا لـ(الخالق).

٢- (الباريء) هو الذي فصل بعض الخلق عن بعض، أي: ميز بعضه عن بعض، وأن أصله من البرء الذي هو القطع والفصل.

٣- أن (الباريء) يدل على أنه تعالى خلق الإنسان من التراب كما قال: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ**﴾ [طه: ٥٥]، وأن أصله من البري وهو التراب[2].

٤- وهناك معنى رابع ذكره الزمخشري فقال: (الباريء) هو الذي خلق الخلق بريئًا من التفاوت: ﴿**مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ**﴾ [الملك: ٣][3]. أي: خلقهم خلقًا مستويًا ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا نقص ولا عيب ولا خلل، أبرياء من ذلك كله.

* * *

(١) «المنهاج» (١/ ١٩٢ -١٩٣) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات الابتداع والاختراع له، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٢٤).

(٢) انظر: «شرح الأسماء» للرازي (ص ٢٠٧ - ٢٠٨).

(٣) «الكشاف» (١/ ٢٨) و«روح المعاني» (٢٨/ ٦٤).

المُصَوِّر

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(١٨)

*** المعنىٰ اللغوي:**

الصَّوَر بالتحريك: الميل، ورجلٌ أصْوَر أي مائل وصُرْت إلى الشيء وأصرته - بالتحريك - إذا أملته إليك كقوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي أملهن وأجمعهن إليك، وتصوّرت الشيء توهمت صورته لي، والتصاوير: التماثيل، وصُورة الأمر كذا وكذا أي صفته. وضربه فتَصوَّر أي سقط[1].

*** ورود الاسم بالكتاب العزيز:**

ورد الاسم في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] مرة واحدة في القرآن، وجاء بصيغة الفعل مرات كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. وقوله سبحانه ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

*** المعنىٰ في حق الله تعالىٰ:**

قال ابن جرير: المصور خلقه كيف شاء وكيف يشاء.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ

(١) «النهاية» (٣/ ٥٨) و«اللسان» (٤/ ٢٥٢٣).

صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨] أي صرفك وأمالك إلى أيّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة وإما إلى صورة قبيحة أو إلى صورة بعض قراباته[1].

وقال الزجاج: المصوّر هو مُفَعِّلٌ من الصورة وهو تعالى مصور كل صورة لا على مثالٍ احتذاه ولا رسمٍ ارتسمه تعالى عن ذلك علواً كبيراً[2].

وقال ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]: أي الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] ولهذا قال: (المصور) أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها[3].

وقال الخطابي: (المصور) هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

وقال: التَّصوُّر التخطيط والتشكيل، ثم قال: وخلق الله جل وتعالى الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خِلَقٍ: جعله علقةً ثم مضغةً ثم جعلها صورةً وهو التشكيل الذي به يكون ذا صورةٍ وهيئةٍ يعرف بها ويتميز بها عن غيره بسماتها: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤][4].

وبهذا يكون معنى (المصور):

١- أن (المصوّر): هو الذي أمال خلقه وعدلهم إلى الأشكال

(١) الطبري (٢٨/٣٧)، (٣٠/٥٥).

(٢) «تفسير الأسماء» (ص ٣٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٣٤٤).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ٥١ - ٥٢) و«فتح القدير» (٥/٢٠٨) و«الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٦).

والهيئات التي توافق تقديره وعلمه ورحمته والتي تتناسب مع مصالح الخلق ومنافعهم، وأن أصل (المصوّر) من الصَوَر وهو الإمالة.

٢- أن (المصوّر) هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة، من الطول والقصر، والحسن والقبح، والذكورة والأنوثة، كل واحد بصورته الخاصة.

*** آثار الإيمان بهذه الأسماء:**

(الخالق ـ الخلاّق ـ الباريء ـ المصور):

١- أخبر تعالى عن نفسه أنه هو الخالق وحده وما سواه مخلوق، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]. وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

فكل ما سوى الله مخلوق محدث، كائن بعد أن لم يكن، وكل المخلوقات سبقها العدم كما قال عز وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

وهذا قول الرسل جميعًا وأتباعهم، وخالف في ذلك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته وأن لم يكن معدومًا أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، ولكن الكتاب يرد ذلك ويرفضه[1].

٢- أن الله سبحانه لم يزل خالقًا كيف شاء ومتى شاء ولا يزال، لقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. وقوله: سبحانه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٥، ١٦].

---

(١) قال ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/١٦٧): وقد نقل غير واحد أن أول من قال بقدم العالم من الفلاسفة هو أرسطو.

وليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق)، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم (الباري)، وذلك من كماله، ولا يجوز أن يكون فاقدًا لهذا الكمال، أومعطلاً عنه في وقت من الأوقات، قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ١٧][1].

٣- إن الله تعالى ذكره خالق كل شيء. قال تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [غافر: ٦٢].

ومن جملة مخلوقاته العباد وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل هذا على أن العبد ليس بفاعل على الحقيقة ولا مريد ولا مختار، بل هو فاعل لفعله حقيقةً، وأن إضافة الفعل إليه إضافة حق، وأنه يستوجب عليه المدح والذم والثواب والعقاب، ولكن لا يدل هذا أنه واقع بغير مشيئة الله وقدرته.

والدليل على أن أفعال العباد مخلوقة قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[2] [الصافات: ٩٦] فأفعالهم لله تعالى خلق ولهم كسب، ولا ينسب

---

(١) انظر الطحاوية (ص ١٣٧)، وقد خالف في ذلك المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الكلاَّبية والأشاعرة فإنهم قالوا: أنه تعالى صار قادرًا على الفعل بعد أن لم يكن قادرًا عليه، لكون الفعل صار ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا، وأنه انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي!!

وقد ردّ عليهم أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى بقوله: «ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا، كذلك لا يزال عليها أبديًا» اهـ.

راجع «الطحاوية» (ص ١٢٧) وانظر شرح ابن أبي العز الحنفي فقد أجاد وأفاد.

(٢) أورد ابن كثير عند تفسير هذه الآية حديثًا رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٢٥): قال ثنا عليّ بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال النبي ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**» ثم قال البخاري: «**فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة**» اهـ. والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات وأبو =

شيء من الخلق لغير الله تعالى، فيكون شريكًا وندًا ومساويًا له في نسبة الفعل إليه، وقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وقد وقع في ذلك القدرية نفاة القدر، الذين جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا «مجوس هذه الأمة» بل أردأ من المجوس من حيث إن المجوس أثبتوا خالِقَين، خالقًا للخير وخالقًا للشر، وأما هؤلاء فقد أشركوا جميع العباد في الخلق فقالوا هم يخلقون أفعالهم، وخالفوا بذلك الكتاب والسنة وأهل الحق[(١)].

٤- خلق الله عظيم محكم فلا يستطيع مخلوق أن يخلق مثله، فضلاً عن أن يخلق أفضل منه، قال سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١]. وفي الآية تحدٍ لجميع الخلق من الجن والإنس وغيرهم.

وقد أثبت الله عجزهم عن خلق خلق ضعيف حقير كالذباب مثلاً ولو اجتمعوا على ذلك وتعاونوا عليه، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

٥- ولذلك حرم الله على عباده أن يصوروا الصور ذات الأرواح لما فيها من مضاهاة لخلق الله، أي تشبيه ما يصنعونه ويصورونه من الصور بما يصنعه ويصوره الله كما جاء في رواية مسلم: «**الذين يُشبِّهون بخلق الله**»[(٢)].

= مالك هو سعد بن طارق الأشجعي وأخرجه الحاكم (١/ ٣١) بالطريق السابق والبيهقي في «الأسماء» (ص ٤٩١).

(١) انظر: «العقيدة الطحاوية» (ص٤٩٣ - ٥٠٢) و«الفتح» (١٣/ ٤٩١ - ٤٩٥).

(٢) «مسلم بشرح النووي» (١٤/ ٨٨).

وبذلك تعلم حُرمة تصوير ذوات الأرواح بما يسمى بـ«الكاميرا» لأن المضاهاة تكون فيها =

وقد وردت أحاديث كثيرة في توعد المصورين بأشد العذاب كقوله ﷺ: «**إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون**»[1]، وقوله ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم**»[2]، وهو أمر تعجيز ويستفاد منه صفة تعذيب المصور وهو أن يكلف نفخ الروح في الصورة التي صورها وهو لا يقدر على ذلك فيستمر تعذيبه. قاله الحافظ[3].

وجاء في الحديث القدسي قوله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب - أي قصد - يخلق خلقًا كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**»[4].

فتحداهم الخالق سبحانه بأن يخلقوا ذرة وهي النملة الصغيرة، ثم زاد في التحدي بأن طلب منهم أن يخلقوا حبة أو شعيرة وهو من الجماد الذي لا حركة فيه نسبيًا إذا ما قيس بالنسبة للنمل الذي يتحرك.

وقال بعض المُلْحدة يومًا: أنا أخلق! فقيل له: فأرِنا خلقك؟ فأخذ لحمًا فشرَّحه، ثم جعل بينه رَوْثًا ثم جعله في كُوزٍ وختمه ودفعه إلى من حفظه عنده ثلاثةَ أيام، ثم جاء به إليه فكسر الخاتم وإذا الكوز ملآن دودًا، فقال: هذا خلقي!! فقال له بعض من حضر: فكم عدده؟ فلم يدر، فقال: كم منه ذكور وكم منه إناث، وهل تقوم برزقه؟ فلم يأت بشيء، فقال له : الخالق الذي أحصى كل ما خَلَقَ عددًا، وعرف الذكر من الأنثى، ورزق ما خلق، وعلم مُدَّة بقائه وعلم نفاد عمره، قال الله عز

= أشد من الرسم باليد، والتفريق بينهما لا يستند إلى دليل من شرع أو عقل.

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠) ومسلم (٢٠١٩) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) رواه البخاري (٥٩٥١) ومسلم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر.

(٣) «الفتح» (١٠/ ٣٨٤).

(٤) رواه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩) ومسلم (٢١١١) من حديث أبي هريرة.

وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] وقال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [السجدة: ٧][(١)].

وقد قسم النووي رحمه الله المصورين إلى ثلاثة أقسام:

أ - من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشدهم عذابًا.

ب - من فعل الصورة وقصد مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك، فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره.

ج - من لم يقصد بالصورة العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير ولا يكفر كسائر المعاصي اهـ[(٢)].

٦- وجود هذا الخلق العظيم المحيط بنا من كل ناحية دليل على قدرة الخالق وعلى عظمته وكماله، فالإنسان يعجز في كثير من الأحيان عن معرفة جوانب كثيرة من الأرض التي يعيش عليها، مع أنها صغيرة جدًا إذا ما قيست بالنسبة لبقية الكون الفسيح المليء بملايين النجوم المضيئة والشموس والأقمار والتي يعجز عن حصرها أو عدّها، وهذا كله في السماء الدنيا، التي فوقها ست سماوات طباق، بعضها فوق بعض وفوقهن جميعًا الكرسي، ومن عظمة خلق هذا الكرسي واتساعه أنه يستوعب السماوات السبع والأرض جميعًا، قال تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [البقرة: ٢٥٤] والعرش أعظم من ذلك والخالق سبحانه فوق العرش، وهو جلت عظمته أكبر من كل شيء وأعظم.

وبذلك تعلم أن خلق الإنسان ضعيف جدًا، إذا ما قورن بالسماوات

---

(١) «الحجة في المحجة» (ورقة ١٦ ب).

(٢) «شرح مسلم» (١٤/ ٩١) انظر: «الفتح» (١٠/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

السبع والكرسي والعرش كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ - ٢٩].

٧- وأخيرًا يجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى ما خلق هذا الخلق العظيم لهوًا ولعبًا، ولا خلقه عبثًا وإنما خلقه لغاية عظيمة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦] أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصد ولا حكمة لنا فيكم، فتعالى الله أي: تقدس وتنزه عن ذلك ثم ذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات[1].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦ - ١٨].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق - أي بالعدل - ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا[2].

وأبان تعالى عن هذه الغاية العظيمة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

* * *

(١) من «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥٩) ملخصًا.

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٧٤ - ١٧٥).

الغافر - الغفور - الغفّار
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(١٩- ٢٠ - ٢١)

*** المعنى اللغوي:**

أصل الغَفْر: التغطية والستر، غفر الله له ذنوبه أي: سترها، وتقول العرب: اصْبُغ ثوبك بالسّواد فهو أغْفَرُ لوسخه أي أحمَلُ له وأعطى له، وكذا غَفَرَ الشيب بالخضاب وأغْفَرَه أي: ستره، والمغفرة: التغطية والمِغْفر: هو حلق يتقنع به المتسلح يقيه ويستره[١].

*** ورود الأسماء في القرآن الكريم:**

سمى الله نفسه بالغفور في إحدى وتسعين آية، وأما اسمه (الغفار) فقد جاء في خمس آيات، فعلم أن ورود (الغفور) في القرآن أكثر بكثير من (الغفار) و(الغفار) أبلغ من «الغفور» وكلاهما من أبنية المبالغة.

قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الشورى: ٥].

وقال سبحانه: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الحجر: ٤٩].

وقال: ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**﴾ [البروج: ١٤].

وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [الشورى: ٢٣] وقال سبحانه: ﴿**إِنَّهُ كَانَ**

(١) «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٣٧) و«النهاية» (٣/ ٣٧٣) و«اللسان» (٤/ ٣٢٧٣) و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٣٤٨).

حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]. وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وأما الغفار ففي قوله تعالى: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].

وقوله عز وجل: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص: ٦٦].

وقول سبحانه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

وأما الغافر فقد ورد مرة واحدة في القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

*** معنى الأسماء في حق الله تعالى:**

قال الزجاج: ومعنى الغَفْرُ في حقِّ الله سبحانه هو الذي يستُرُ ذنوب عباده ويغطيهم بستره[1].

وقال الخطابي: فالغفار الستار لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته، ومعنى الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهرُهُ في عيونهم[2].

وقال أبو عبيد: والمغفرة من الذنوب إنما هو إلباس الله الناس الغفران وتغمّدهم به[3].

وقال الحليمي: (الغافر): وهو الذي يستر على المذنب، ولا يؤاخذه فيشهره ويفضحه.

(الغافر): وهو المبالغ في الستر، فلا يشهر المذنب لا في الدنيا

---

(١) «تفسير الأسماء» (ص ٣٨).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٥٢) وانظر: «النهاية» (٣/ ٣٧٣) و«تفسير الطبري» (١٤/ ٢٧)، (١٥/ ١٧٤) و«الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٦).

(٣) «غريب الحديث» (٣/ ٣٤٨).

ولا في الآخرة.

(الغفور) : وهو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته[1].

وقال ابن العربي في (الأمد) : المسألة الثالثة في ترتيب هذه الأسماء الثلاثة، وفي ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: إن غافرًا فاعل من غَفَر، وإن قولنا «غفور» للمبالغة إذا تكرر، وإنّ «الغَفَّار» أشد مبالغةً منه.

الثاني: إن قوله (غافر) بستره في الدنيا، وإن (غفورًا) بستره في الآخرة، وإن (غفارًا) بستره عن أعين الخلائق، وعن أعين المذنبين، ليكون لكل لفظٍ فائدة يختص بها.

قال: والقول الأول هو أصح، وما بعده تحكم لا يشهد له لغة ولا حقيقة[2].

وقال السعدي: (العفو - الغفور - الغفار) : الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده مَوْصُوفًا، كل أحدٍ مُضطرٌ إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وَعَدَ بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾ [طه: ٨٢][3].

وقال ابن القيم في «النونية»:

---

(١) «المنهاج» (١/١٠٢) وذكرها ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٥٥ - ٥٦).

(٢) «الكتاب الأسنى» ورقة (٢٨٦ أ - ٢٨٦ ب).

(٣) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠٠).

وهو الغَفُورُ فلو أَتَىٰ بقُرابها   من غيرِ شِرْكٍ بل من العِصْيانِ
لأتاه بالغُفــران مِــلءَ قُــرابِها   سبحانه هو وَاسِعُ الغفران[1]

*** آثار الإيمان بهذه الأسماء:**

١- وصف الله سبحانه نفسه بأنه غفار وغفور للذنوب والخطايا والسيئات لصغرها وكبيرها، وحتى الشرك إذا تاب منه الإنسان واستغفر ربه، قَبل الله توبته وغفر له ذنبه، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ١١٠] .

فمهما عظمت ذنوب هذا الإنسان فإن مغفرة الله ورحمته أعظم من ذنوبه التي ارتكبها قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**﴾ [النجم: ٣٢].

وقد تكفل الله سبحانه بالمغفرة لمن تاب وآمن، قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾ [طه: ٨٢].

بل من فضله وجوده وكرمه أن تعهد بأن يبدِّل سيئات المذنبين إلى حسنات، قال تعالى عن التائبين : ﴿**فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الفرقان: ٧٠].

٢- ولكن لا يجوز للمسلم أنْ يُسرف في الخطايا والمعاصي والفواحش بحجة أنَّ الله غفور رحيم، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوّابين، قال تعالى : ﴿**إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿**إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النمل: ١١].

---

(١) «النونية» (٢/ ٢٣١).

فاشترط تبدل الحال من عمل المعاصي والسيئات إلى عمل الصالحات والحسنات لكي تتحقق المغفرة والرحمة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨ ، ١١٦] يبين أن المقيم على الشرك حتى الوفاة لا غفران لذنوبه لأنه لم يبدل حسنًا بعد سوء، وكذا قوله تعالى عن المنافقين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] لأنهم لم يخلصوا دينهم لله ولم يصلحوا من أحوالهم وأما إذا حصل ذلك فإن المغفرة تحصل لهم مع المؤمنين قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

فلا بد من الأخذ بالأسباب المؤدية إلى المغفرة، وأما إن مات وهو مقيم على الكبائر من غير أن يتوب فإن مذهب أهل السنة والجماعة أنه ليس له عهد عند الله بالمغفرة والرحمة، بل إن شاء غفر له وعفا عنه بفضله كما قال عز وجل: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] ، وإن شاء عذبه في النار بعدله، ثم يخرجه منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يدخله الجنة وذلك للموحدين خاصة.

٣- اتصاف الله سبحانه بأنه (غفّار) للذنوب والسيئات، فضل من الله ورحمة عظيمة للعباد، لأنه غني عن العالمين، لا ينتفع بالمغفرة لهم، لأنه سبحانه لا يضره كفرهم أصلاً، ولا يغفر لهم خوفًا منهم أيضًا، لأنه قوي عزيز، قد قهر كل شيء وغلبه ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وقد نبه الله عباده إلى هذا الأمر في القرآن الكريم عدة مرات، باقتران اسمه «الغفور» مع (العزيز) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨] وقوله: ﴿أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥] فمع عزته وقهره، إلا أنه

غفور رحيم.

الفرق بين العفو والغفران:

قال بعض العلماء: إن الغفران سِتْرٌ لا يقع معه عقاب.

والعفو إنما يكون بعد وجود عذاب وعتاب[1].

* * *

(١) الكتاب الأسنى ورقة (٢٨٦ ب) وفيه نظر! وسيأتي الكلام عليه في (العفو).

القَاهر - القَهَّار
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٢٢، ٢٣)

*** المعنى اللغوي:**

القَهْر الغلبة والأخذُ من فوق، وقهره يَقْهرُهُ قهراً: غلبه، وتقول: أخذتهم قهراً، أي: من غير رضاهم، وأقْهَرَ الرجلَ: صار أصحابه مقهورين[1].

وقال الزجاج: القهر في وضع العربية: الرياضةُ والتذليل، يقال: قَهَر فلان الناقة: إذا راضها وذللها[2].

*** وروده في القرآن العظيم:**

(القهار) فعّال، مبالغة من (القاهر) فيقتضي تكثير القهر، وقد ورد الاسم (القاهر) في الكتاب العزيز مرتين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨] وفي قوله وتعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

و(القهار) ورد ست مرات منها قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦] وقوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

---

(١) «النهاية» (٤/ ١٢٩)، «لسان العرب» (٥/ ٣٧٦٤).

(٢) «تفسير الأسماء» (ص ٣٨).

* معنى الاسمين في حق الله تعالى :

قال ابن جرير : (القاهر) المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم ، وإنما قال فوق عباده لأنه وصف نفسه تعالى بقهره إياهم ومن صفة كل قاهر شيئًا أن يكون مستعليًا عليه ، فمعنى الكلام إذًا : والله الغالب عباده المذلل لهم ، العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم ، فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه[1] .

وقال ابن كثير : وهو (القاهر) فوق عباده أي : هو الذي خضعت له الرقاب، وذلّت له الجبابرة، وعنت له الوجوه وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه[2] .

وقال الخطابي : (القهار) : هو الذي قهر الجبابرة من عُتاةِ خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كُلَّهم بالموت[3] .

وقال الزجاج : والله تعالى قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلالات على وحدانيتِه وقهر جبابرة خلقِهِ بعزِ سلطانه وقهر الخلق كلَّهم بالموت[4] .

وقال الحليمي : (القاهر) ومعناه : إنه يدبر خلقه بما يريد ، فيقع في ذلك ما يشق ويثقل ويغم ويحزن ، ويكون منه سلب الحياة أو نقص الجوارح ، فلا يستطيع أحدٌ ردَّ تدبيره ، والخروج من تقديره .

---

(١) «جامع البيان» (٧/ ١٠٣) ، (٧/ ١٣٨ - ١٣٩) ، (١٢/ ١٣٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢٦) ، (٢/ ١٣٨ ، ٤٧٩) ، (٤/ ٧٤).

(٣) «شأن الدعاء» (ص ٥٣) وانظر : «فتح القدير» (٣/ ٧٤) ، «روح المعاني» (١٢/ ٢٤٤).

(٤) «تفسير الأسماء» (ص ٣٨).

وقال في (القهار) : أنْ يَقْهر ولا يُقهر بحال[1].

وقال ابن القيم في «النونية»:

وكذلك القَهَّارُ مِنْ أوْصافه فالخلقُ مَقْهُورونَ بالسُّلْطانِ
لو لم يكن حيًا عَزِيزًا قادرًا ما كان مِنْ قَهْرٍ ولا سُلْطانِ[2]

*** آثار الإيمان بهذين الاسمين :**

١ - إن القهار على الحقيقة هو الله وحده سبحانه ، هو قهر وغلب عباده أجمعين ، حتى إن أعتى الخلق يتضاءل ويتلاشى أمام قهر الله وجبروته ، فها هو الموت الذي كتبه الله على عباده لا يستطيع الخلق رده أو دفعه عن أنفسهم، ولو أوتوا من القوة والجبروت ما أوتوا، وقد ذكر الله الموت قريبًا من وصفه نفسه بـ (القاهر) ليذكّرهم بشيء قد قهرهم به أجمعين وذلك في قوله : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١ـ ٦٢].

ومما قهرهم به أيضًا : الأمراض والمصائب والنكبات التي لا يملكون ردّها عن أنفسهم.

وما أحسن قول من قال : القهار الذي طاحت عند صولته صولة المخلوقين ، وبادت عند سطوته قوىٰ الخلائق أجمعين ، قال تعالى : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فأين الجبابرة والأكاسرة ! عند ظهور هذا الخطاب وأين الأنبياء والمرسلون ، والملائكة المقربون

---

(١) «المنهاج» (١/ ٢٠٢) وذكره في الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٦١).

(٢) «النونية» (٢/ ٢٣٢) ، وانظر: «تيسير الكريم» (٥/ ٢ ، ٣).

في هذا العتاب ، وأين أهل الضلال والإلحاد ، والتوحيد والإرشاد ، وأين آدم وذريته ، وأين إبليس وشيعته ، وكأنهم بادوا وانقضوا زهقت النفوس ، وتبددت الأرواح وتلفت الأجسام والأشباح ، وتفرقت الأوصال ، وبقي الموجود الذي لم يزل ولا يزال[1].

٢- وأما صفة القهر في الخلـق ، فغالبًا ما تكون مذمومة لقيامها على الظلم والطغيان ، والتسلـط على الضعفـاء والفقـراء كما قال فرعون لعنه الله : ﴿ **سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وقال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ﴾ [الضحى: ٩] أي : لا تسلَّط عليه بالظلم وادفع إليه حقه ، وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى ، فغلّظ في أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه ، وقوله: ﴿ **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ** ﴾ [الضحى: ١٠] أي : لا تزجره ولا تُغلظ له القول.

﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى: ١١] قال القرطبي: وهذه هي النعمة العظمى ، وهي ما مَنَّ الله عليه من الرسالة والنبوة والخُلة والمحبة والعلم والحكمة ، فأوجب عليه أن يُظْهِر ذلك ويُشيعه ويحدث به ، ويُعلِّم الجاهل غيرَ مُمتنٍّ عليه ولا مُتطاول ولا قاهر له.

وكذلك قال معاوية بن الحكم السلمي: «فبأبي هو وأمي ، ما رأيت مُعَلِّمًا قبله ولا بعده أحسنَ تعليمًا منه ، فوالله ما كَهَرني ولا ضربني ولا شتمني» الحديث خرّجه مسلم[2].

وقريء ﴿ **فلا تكهر** ﴾ بالكاف وهي قراءة عبد الله بن مسعود ، قال

(١) انظر: «شرح الأسماء» للرازي (ص ٢٢٢).

(٢) «صحيح مسلم» (٥٣٧).

الكسائي: كَهَرَهُ وقَهَرَه بمعنى[1].

٣- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٦١] يستفاد منه صفة العلو لله سبحانه على عباده، سواء علو «المكانة والرتبة» أو علو «المكان والجهة» وقد تظافرت أدلة الكتاب والسنة عليه - أي الثاني - كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦][2].

٤- أنه سبحانه هو الذي قهر الخلق جميعًا على ما أراد[3].

٥- إن الله هو القهار المستحق للعبادة والألوهية وما سواه من الآلهة فإنما هي مخلوقات عاجزة مقهورة، لا تملك أن ترد الضر عن نفسها فكيف تقهر غيرها، وبهذا جادل نبي الله يوسف ﷺ صاحبيه في السجن فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩] فبين لهم أن آلهتهم متعددة متفرقة، والعابد لها متحير أيُّها يرضي، وأيها مسخرة ومقهورة لله وفي قبضته، وليس لها من الألوهية إلا الاسم الذي أعطي لها زورًا وبهتانًا دون حجة ولا برهان: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

* * *

---

(١) «الكتاب الأسنى» ورقة (٣٠٤ أ).

(٢) وسيأتي الكلام على «العُلُو» عند الكلام عن أسمائه (العلي - الأعلي - المتعال) في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(٣) وهو من معاني «الجبَّار» وقد تقدم الكلام عليه.

الوَهَّاب
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٢٤)

*** المعنى اللغوي :**

قال ابن سِيدَهْ: وهب لك الشيء يهبه وهْبًا ووَهَبًا بالتحريك ، ووهبتُ له هبة وموهبة ووهْبًا إذا أعطيته. ورجلٌ واهبٌ ووهَّابٌ ووهوبٌ ووهّابةٌ أي : كثير الهبةِ لأمواله . والهبة : العطية الخالية عن الأعواض والأغراض . والوهّاب مبالغة على وزن فعّال[١].

*** وروده في الكتاب العزيز :**

ورد الاسم ثلاث مرات في القرآن الكريم ، مرة في سوة آل عمران في قوله تعالى : ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آية: ٨].

ومرتين في سورة ص في قوله تعالى: ﴿**أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ**﴾ [آية: ٩].

وقوله: ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آية: ٣٥].

*** معنى الاسم في حق الله سبحانه :**

قال ابن جرير في تفسير قوله: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ : يعني إنك

(١) «النهاية» (٥/ ٢٣١) ، «اللسان» (٦/ ٤٩٢٩) ، «تفسير الأسماء» (ص ٣٨).

أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك.

وقال: الوهاب لمن يشاء من خلقه، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوّة.

وقال: إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء، بيدك خزائن كل شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت[1].

وقال الخطابي: (الوهاب): هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يدٍ من غير استثابة[2] أي: من غير طلب للثواب من أحد.

وقال الحليمي: (الوهاب): وهو المتفضل بالعطايا المنعم بها لا عن استحقاق عليه[3].

وقال النسفي: (الوهاب): الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته[4].

وقال ابن القيم في «النونية»:

وكذلكَ الوهَّابُ من أسْمائِهِ فانظر مَوَاهِبَهُ مَدَىٰ الأزمانِ
أهلُ السَّمواتِ العُلَىٰ والأرضِ عن تلكَ المَوَاهب ليس يَنفكَّانِ[5]

* آثار الإيمان بهذا الاسم:

١- إن الوَهَّاب هو الله وحْده، بيده خزائن كل شيء، الذي له

(١) الطبري (٣/ ١٢٥)، (٢٣/ ٨٢، ١٠٣).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٥٣)، «الاعتقاد» (ص ٥٧)، وانظر: «المقصد الأسنى» (ص ٤٨).

(٣) «المنهاج» (١/ ٢٠٦) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٧٦).

(٤) «تفسير النسفي» (٤/ ٣٥)، الألوسي (٢٣/ ١٦٨).

(٥) «النونية» (٢/ ٢٣٤).

مُلك السماوات والأرض ومن فيهن قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه خالق السماوات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء . ثم قال : فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورًا وإناثًا ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا ، فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا ولد له، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي : بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام ، ﴿قَدِيرٌ﴾ أي : على ما يشاء من تفاوت الناس في ذلك[1].

فالله سبحانه يهب ما يشاء لمن يشاء ، لأنه مالك الملك وأما العباد فإنهم ملكٌ لله سبحانه ، والعبد لا يملك أن يهب شيئًا على الحقيقة . قال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٧٥].

٢- الفرق بين هبة الخالق والمخلوق:

قال الخطابي رحمه الله : فكُلُّ من وهب شيئًا من عرض الدنيا لصاحبه فهو واهب ، ولا يستحق أن يسمى وهّابًا إلا من تصرفت مواهبُهُ في أنواع العَطَايا فكثرت نوافله ودامت ، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حالٍ دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيمٍ، ولا ولدًا لعقيم ، ولا هدىً لضالٍ ، ولا عافيةً لذي بلاء ، والله الوهاب سبحانه يملك جميع ذلك، وسع الخلق جودُهُ ، فدامت مواهبه

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢١).

واتصلت مننُه وعوائده»[1].

وأكثر الخلق إنما يهبون من أجل عوض ينالونه ، كأن يهب لأجل أن يمدح بين الناس ، أو يهب من أجل الثواب في الآخرة[2].

٣- النبوة والكتاب هبة من الله يختص بها من يشاء من عباده، وقد أنكر أقوام الرسل هذا الأمر فحكى الله عن قوم صالح عليه الصلاة والسلام أنهم قالوا : ﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٥].

وقال سبحانه عن كفار قريش: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: ٨ ـ ٩].

يقول ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك يعني مفاتيح رحمة ربك يا محمد ، العزيز في سلطانه ، الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة ، فيمنعوك يا محمد ما منّ الله به عليك من الكرامة ، وفضّلك به من الرسالة»[3].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وقال عن موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١].

---

(١) «شأن الدعاء» (ص ٥٣).

(٢) انظر: «شرح الأسماء» للرازي (ص ٢٢٤ ، ٢٢٥) ، و «المقصد الأسنى» (ص ٤٩).

(٣) «جامع البيان» (٢٣/ ٨٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣].

٤- الملك والسلطان هبة من الله سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٣، ٥٤] وهذا استفهام إنكار أي: ليس لهم نصيب من الملك بل الله وحده هو المالك للملك الذي يهب ما يشاء لمن يشاء.

وقد دعا سليمان عليه الصلاة والسلام ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥]، دعاه أن يهبه ملكًا لا يكون لأحد من بعده فاستجاب الوهاب سبحانه له: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٦ - ٣٩].

سخر الله له الريح التي تجري بأمره حيث أراد أي: تحمله حيث شاء، والشياطين التي تعمل له ما يشاء من تماثيل ومحاريب وقصور وقدور وجفان، ويغوصون في البحار يستخرجون له اللآليء. فيا له من ملك عظيم يعجز أعظم البشر مالاً وسلطانًا أن يهب شيئًا منه، ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ هذه هبة الله لمن يريد من خلقه [1].

(١) فائدة: إن قال قائل: ما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك وهو نبي من الأنبياء وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة؟ أم ما وجه مسألته إياه إذ سأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذي =

٥- الذرية هبة من الله أيضًا. قال جلّ ذكره: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] وقد مرّ قريبًا كلام ابن كثير عليها.

وقد وهب الله سبحانه بعض الأنبياء الذرية بعد كبر السن ووهن العظم. قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وكذا زكريا ﷺ وهبه الله الولد بعد ما طعن في السن وشاخ، وكانت امرأته عاقرًا أيضًا كما بين الله ذلك في مطلع سورة مريم، لكن ذلك لم يمنع زكريا عليه الصلاة والسلام من الطمع في هبة الله الوهاب، فدعا ربه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] فاستجاب الله دعاءه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠] أي: شفى امرأته من العقم، فحملت بيحيى عليه الصلاة والسلام فسبحان الكريم الوهّاب.

* * *

= أوتي من ذلك أكان به بخل؟ أم حسدٌ للناس؟ قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك فلم تكن إن شاء الله به رغبة في الدنيا، ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله في إجابته فيما رغب إليه، وقبوله توبته وإجابته دعوته، وإما مسألته ربه ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] أي: وهب لي ملكًا تخصني به لا تعطيه أحدًا غيري تشريفًا منك لي وتكرمة لتتبين منزلتي منك به من منازل من سواي. اهـ من «جامع البيان» (٢٣/ ١٠٦) باختصار وتصرف.

الرَّزَّاق - الرَّازق
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٢٥ ، ٢٦)

*** المعنى اللغوي:**

الرزق : ما ينتفع به ، يقال : رزق الخلق رَزْقًا ورِزْقًا ، فالرَزْق بفتح الراء هو المصدر الحقيقي ، والرزق بكسر الراء الاسم ويجوز أن يوضع موضع المصدر ، والجمع أرزاق ، والرَّزَّاق من أبنية المبالغة[(١)].

*** ورود الاسمين في القرآن الكريم :**

ورد الاسم مفردًا مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: ٥٨] . وقد قرأ ابن محيصن وغيره (الرَّازق)[(٢)].

وورد بصيغة الجمع خمس مرات منها قوله تعالى : ﴿**وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [المائدة: ١١٤] وقوله سبحانه : ﴿**وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [الجمعة: ١١].

*** معنى الاسمين في حق الله تعالى :**

قال ابن جرير: هو الرزّاق خلقه المتكفل بأقواتهم[(٣)].

قال الخطابي: هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها

---

(١) «النهاية» (٢/ ٢١٩) ، «اللسان» (٣/ ١٦٣٦) ، «الأسنى» ورقة (٣٢٥ ب).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٥٦) ، «روح المعاني» (٢٧/ ٢٤).

(٣) «جامع البيان» (٢٧/ ٨).

من قوتها وسع الخلق كلهم رزقُهُ ورحمتُهُ ، فلم يختصَ بذلك مؤمنًا دون كافر ، ولا وليًا دون عدّو ، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حَيْلَ له ، ولا مُتَكَسَّب فيه ، كما يسوقه إلى الجَلْد القوي ذي المرةِ السَّوي ، قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦][١].

وقال الحليمي في معنى: (الرازق): المُفِيضُ على عباده ما لم يجعل لأبدانهم قوامًا إلا به ، والمنعم عليهم بإيصال حاجتهم من ذلك إليهم ، لئلا تتنغص عليهم لذة الحياة بتأخره عنهم ولا يفقدوها أصلاً لفقدهم إياه.

وقال في معنى (الرزّاق): وهو الرزاق رزقًا بعد رزق ، والمكثر الموسع له[٢].

قال ابن الأثير: (الرزاق): وهو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم[٣].

وقال السَّعدي: (الرزاق) لجميع عباده فما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها ، ورزقه لعباده نوعان:

١- رزقٌ عام شمل البر والفاجر ، والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان.

---

(١) «شأن الدعاء» (ص ٥٤) ، «الاعتقاد» (ص ٥٧).

ونقله الأصبهاني (ورقة ١٨ ب) إلى قوله: ولا وليًا دون عدو ، وزاد: ويرزق من عَبَدَه ومن عَبَدَ غيره ومن أطاعه ومن عصاه، والأغلب من المخلوق أنه يرزق فإذا غضب منع.

(٢) «المنهاج» (١/ ٢٠٣) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص ٦٦).

(٣) «النهاية» (٢/ ٢١٩) ، وانظر: «المقصد الأسنى» (ص ٥٠).

٢- ورزق خاص وهو [رزق] القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان.

والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين ، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته[١].

وقوله قريبٌ مما ساقه ابن القيم في «النونية»:

وكذلك الرزَّاق من أسْمائِهِ والرزْقُ من أفْعَاله نوعانِ
رزقٌ على يدِ عَبْدِهِ ورسولِهِ نوعان أيضًا ذانِ معروفان
رِزْقُ القُلوبِ العلم والإيمان والـ رزق المُعَدُّ لهذه الأبدانِ
هذا هو الرزقُ الحلالُ وربُّنَا رَزَّاقه والفَضْلُ للمنانِ
والثاني سَوْقُ القُوتِ للأعضاءِ في تلكَ المجاري سَوْقِهِ بوزَانِ
هذا يكون من الحلالِ كما يكـ ون من الحرامِ كلاهما رزقان
والله رَازِقُهُ بهذا الاعتبا ر وليس بالإطلاق دُونَ بيانِ[٢]

(١) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠٢).

(٢) «النونية» (٢/ ٢٣٤) وقال الشارح لها أحمد بن إبراهيم بن عيسى رحمه الله: ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن الرزق نوعان: رزق القلوب: العلم والإيمان ، على يد عبده ورسوله محمد ﷺ.

والنوع الثاني: الرزق المعد للأبدان ، والله تعالى هو رازقه، لكنه يساق إلى الأعضاء ، ويكون من الحلال والحرام ، والله رازقه بهذا الاعتبار ، وهذه المسألة قد اختلف فيها ، فقيل: إن الحرام رزق، وكل يستوفي رزقه حلالاً كان أو حرامًا لحصول التغذي بهما جميعًا ، غير أنَّ العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام، خلافًا للمعتزلة ، فإنهم قالوا: الحرام ليس برزق ، فسروه تارة بمملوك يأكله المالك، وتارة بما لا يمنع عن الانتفاع به، وذلك لا يكون إلا حلالاً، فيلزمهم على التفسير الأول أن ما يأكله الدواب ليس برزق، مع ظاهر قوله تعالى: ﴿وما من دابةٍ في الأرضِ إلاَّ على اللّه رزقُها﴾ [هود: ٦] فيكون مصادمًا للقرآن ! لانه يقتضي أن تكون كل دابة مرزوقة ، ولا ينفعهم زعمهم =

* آثار الإيمان بهذين الاسمين :

١- إن المتفرد بالرزق هو الله وحده لا شريك له ،قال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣] وقال سبحانه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤].

ينبه الله عباده إلى الاستدلال على توحيده وإفراده بالعبادة، أنه سبحانه هو المستقل بالخلق والرزق لا يشاركه أحد في ذلك ، وإذا كان كذلك، فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد ، ولهذا قال تعالى بعد ذلك : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ أي : كيف تصرفون بعد هذا البيان عن عبادة الله وحده.

وقد أنكر الله على المشركين عبادتهم للأوثان والأصنام مع أنها لا

= أن تسمية ما يأكله الدواب رزقًا مبني على تشبيهه بما هو مملوك الإنسان فيأكله ، فيكون لفظ الرزق مجازًا عما تأكله الدواب ، فلا يلزم أن تكون كل دابة مرزوقة حقيقة ، لأنا نقول: هذا التأويل مخالف لظاهر القرآن ، وهو خلاف المتعارف في اللغة فلا يصح ارتكابه من غير ضرورة.

ثم إن تفسيرهم الرزق بذلك ليس بمطرد ولا منعكس ، لدخول ملك الله تعالى ، وخروج رزق الدواب والعبيد والإماء يلزمهم أيضًا على الوجهين أنَّ من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلاً ، وهو خلاف الإجماع الحاصل من الأمة قبل ظهور المعتزلة ، أنْ لا رازق إلا الله ، وإنْ استحق العبد اللومَ والذم على أكل الحرام ، والإضافة إلى الله تعالى «معتبرة في مفهوم الرزق ، وكلُّ أحدٍ مستوف رزق نفسه ، حلالاً كان أو حرامًا ولا يتصور أنْ يأكل الإنسان غير رزقه ، أو يأكل غيره رزقه ، لأن ما قدر الله تعالى غذاءً لشخص يجب أنْ يأكله ، ويمتنع أن يأكله غيره، والله أعلم.

وتكلم بنحو هذا القرطبي في «الأسنى» ورقة (٣٢٦ ب).

تملك لهم رزقًا ولا تملك لهم ضرًا ولا نفعًا . قال سبحانه : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل: ٧٣].

فأخبر تعالى أنها لا تملك لهم رزقًا ولا تستطيع ذلك ثم قال سبحانه: ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤] أي : لا تجعلوا له الأنداد والأشباه والأمثال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤] أي : أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو المتفرد بالخلق والرزق وأنتم بجهلكم تشركون به(١).

وكذا قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠] أي: لا يقدر شركاؤكم على شيء من ذلك أبدًا، بل لو أمسك الله سبحانه الرزق عن الناس ، فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم من دون الله، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢] وقوله جل وعلا: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ [الملك: ٢١] أي: أمَّن هذا الذي يطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إن أمسك ربكم رزقه الذي يرزقكم عنكم(١).

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا انصرف من الصلاة : «لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قَدير، اللهم لا مَانعَ لما أَعطيتَ ولا مُعطي لما منعتَ ولا ينفعُ ذَا الجدِّ منكَ الجد»(٢).

٢- إن الله عز وجل متكفل برزق من في السماوات والأرض، قال سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

---

(١) «جامع البيان» (٢٩/ ٦).

(٢) رواه البخاري (٦٦١٥) ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة.

وقال : ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠] . قال ابن كثير : إي : لا تطيق جمعه ولا تحصيله ، ولا تدخر شيئًا لغد ، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ أي : يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذّر في قرار الأرض والطير في الهواء، والحيتان في الماء[١].

٣- قال القرطبي: والفرق بين القُوت والرزق، أن القوت ما به قَوام البُنْية مما يؤكل ويقع به الاغتذاء.

والرزق كل ما يدخل تحت مُلْكِ العبد: مما يؤكل ومما لا يؤكل، وهو مراتب أعلاها ما يغذي.

وقد حصر رسول الله ﷺ وجوه الانتفاع في الرزق في قوله: «**يقول ابن آدمَ مالي مالي!! وهل لك من مَالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لَبست فأبليتَ، أو تَصَدَّقتَ فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهبٌ وتاركه للناس**»[٢].

وفي معنى اللباس يدخل المركوب وغير ذلك مما ينتفع به الإنسان، والقوت رزق مخصوص، وهو المضمون من الرزق الذي لا يقطعه عجز، ولا يجلبه كيس، وهو الذي أراد تعالى بقوله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، فلا ينقطع هذا الرزق إلا بانقطاع الحياة[٣].

٤- وكل ذلك بلا ثقل ولا كلفة ولا مشقة، قال الطحاوي رحمه الله: «رازق بلا مؤنة» اهـ[٤]. بل لو سألوه جميعًا فأعطاهم لم

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨، ٢٩٥٩) ولفظه هنا في الموضع الأول دون قوله: «**وما سوى ذلك..**» فهو في الموضع الثاني مع اختلاف في أوله.

(٣) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٣٢٦ ب - ٣٢٧ أ).

(٤) «العقيدة الطحاوية» (ص ١٢٥).

ينقص ذلك من ملكه شيئًا، كما جاء في قوله تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيطُ إذا أُدخل البحر**»[1].

٥- إن الله سبحانه لم يختص برزقه من آمن في الحياة الدنيا، وإنما كان الرزق في الدنيا للجميع، للمؤمنين والكافرين، وهذا من عظيم لطفه سبحانه كما قال: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾ [الشورى: ١٩].

وعن أبي موسى الأشعري قال قال النبي ﷺ: «**ما أحدٌ أصبرُ على أذى سمعهُ من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم**»[2].

ومعناه أن الله سبحانه واسع الحلم حتى مع الكافر الذي ينسب له الولد فهو يعافيه ويرزقه.

٦- إن الله سبحانه متحكم في أرزاق عباده فيجعل من يشاء غنيًا كثير الرزق، ويقتر على آخرين، وله في ذلك حكم بالغة. قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾ [النحل: ٧١]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ [الإسراء: ٣٠].

قال ابن كثير: أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر[3] فمن العباد من لا يصلح حاله إلا بالغنى فإن أصابه الفقر فسد حاله ومنهم العكس ﴿**إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ [الإسراء: ٣٠]، وقال ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ**﴾ [الشورى: ٢٧]:

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى.

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٩)، (٧٣٧٨) ومسلم (٢٨٠٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/٣٨).

ولو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشرًا وبطرًا ، ثم قال تعالى : ﴿**وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ [الشورى: ٢٧] وهذا كقوله سبحانه : ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الحجر: ٢١].

٧-كثرة الرزق في الدنيا لا تدل على محبة الله تعالى ، ولكن الكفار لجهلهم ظنوا ذلك ، قال تعالى عنهم : ﴿**وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾ [سبأ: ٣٥ - ٣٧].

فظن الكفار والمترفون أن كثرة الأموال والأولاد دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة، وقد ردّ الله هذا بقوله: ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦].

ثم قال تعالى : ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ**﴾ أي: ليست كثرة الأموال والأولاد ، هي التي تقرب من الله أو تبعد ﴿**إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾ أي : إنما يقرب من الله الإيمان به ، وعمل البر والصالحات. وهذا كقوله ﷺ : «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» وفي رواية: «**ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(١).

وبين تعالى أنهم يرضون بالحياة الدنيا وأرزاقها ويطمئنون إليها ويفرحون بها لأنهم لا يرجون بعثًا ولا حسابًا، غافلين عن الآخرة

(١) الروايتان لمسلم (٢٥٦٤/ ٣٣، ٣٤) عن أبي هريرة.

وأهوالها. قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧ ـ ٨] وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

ولم يعلموا أن الدنيا عند الله لا تزن شيئًا كما جاء في حديث سهل ابن سعد قال قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شَرْبَةَ ماء**»(١).

ولذلك فإن الله يعطيها لمن يحب ولمن لا يحب فليس كثرة الرزق دليلاً علي الكرامة ولا قلّته دليلاً علي الإهانة ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٥ـ ١٦].

وقوله سبحانه في آخر آية الرعد السابقة: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] دليل علي قصر عمر الدنيا وقلة خطرها بالنسبة للآخرة كما قال ﷺ: «**ومَا الدنيا في الآخِرة إلا مثل ما يَجعلُ أحدُكم أصبُعه في اليم فلينظر بم يرجع**»(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٤٢٢) والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣) من حديث عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سهل مرفوعًا، وعبد الحميد ضعفه غير واحد ولكن للحديث طرق منها:

١- ما أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٤/ ٩٢) والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٣٩) من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا به.

٢- ما أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٤٠) من حديث محمد بن عمار عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وصالح صدوق اختلط فالحديث صحيح لطرقه وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٦٨٦، ٩٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٨) عن المستورد بن شداد.

٨- إن تقوى الله وطاعته سبب عظيم للرزق والبركة فيه . قال سبحانه عن أهل الكتاب : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة: ٦٦].

وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال جل شأنه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] أي: من جهة لا تخطر بباله ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦].

وتأذن بالزيادة لمن شكر ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

٩- والعكس صحيح أيضًا فإن المعصية تنقص الرزق والبركة، لأن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، قال سبحانه: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

قيل: الفساد في البر القحط وقلة النبات وذهاب البركة ، والفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم. وقيل: هو كساد الأسعار وقلة المعاش.

١٠- أعظم رزق يرزق الله به عباده هو «الجنة» التي أعدها الله لعباده الصالحين وخلق فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكل رزق يعد الله به عباده الصالحين في القرآن فغالبًا ما يراد به الجنة كقوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سبأ: ٤]. وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الحج: ٥٨].

وقوله سبحانه: ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا** ﴾ [الطلاق: ١١].

فهو أحسن الرزق وأكمله وأفضله وأكرمه، لا ينقطع ولا يزول﴿ **إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ** ﴾ [ص: ٥٤].

اللهم ارزقنا جنتك و رضوانك وأنت خير الرازقين.

* * *

«الفتَّاح»
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٢٧)

*** المعنى اللغوي:**

الفتح نقيض الإغلاق ، والفتح : النصر ، والاستفتاح طلب النصر ومنه قوله تعالى : ﴿ **إن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ** ﴾ [الأنفال: ١٩].

وقال الأزهري: الفتحُ : أن تحكم بين قومٍ يختصمون إليك كما قال سبحانه مخبرًا عن شعيب ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ [الأعراف: ٨٩] أي : اقض بيننا.

والفُتاحة والفِتاحة: أن تحكم بين خصمين، قال الأسعر الجُعفي:

ألا من مُبْلغٌ عمرًا رسولاً　　فإني عن فُتاحَتِكم غنيٌّ

والفتاح من أبنية المبالغة(١).

*** وروده في القرآن العظيم:**

ورد الاسم مفردًا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ** ﴾ [سبأ: ٢٦].

وورد بصيغة الجمع مرة واحدة أيضًا في قوله عز وجل: ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ [الأعراف: ٨٩].

---

(١) «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٣٩)، «النهاية» (٣/٤٠٦ - ٤٠٧)، «لسان العرب» (٥/٣٣٣٧)، والأسعر الجعفي: شاعر جاهلي.

* معنى الاسم في حق الله تعالى :

قال قتادة رحمه الله : افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، اقضِ بيننا وبين قومنا بالحق[1].

وقال ابن جرير رحمه الله فى تفسير الآية السابقة : احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم ، ولكنه عدلٌ وحق، وأنت خير الفاتحين يعني: خير الحاكمين[1].

وقال في موضع آخر : وهو الفتاح العليم ، القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عنه خافية ولا يحتاج إلى شهود تُعرِّفه المحق من المبطل[2].

وقال الزجّاج : والله تعالى ذكره فتح بين الحق والباطل فأوضح الحق وبينَّه وأدحض الباطل وأبطله، فهو الفتّاح[3].

وقال الخطابي رحمه الله: (الفتاح) : هو الحاكم بين عباده . وقال: وقد يكون معنى (الفتاح) أيضًا الذى يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده ، ويفتح المُنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم ويفتح قلوبهم ، وعيون بصائرهم ، ليبصروا الحق، ويكون الفاتح أيضًا بمعنى الناصر كقوله سبحانه : ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩][4].

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٣) وإسناده صحيح.

(٢) المصدر السابق (٢٢/ ٦٥) وانظر ابن كثير (٢/ ٢٣٢)، (٣/ ٥٣٨)، القرطبى (١٤/ ٣٠٠)، الآلوسي (٩/ ٥).

(٣) «تفسير الأسماء» (ص ٣٩).

(٤) «شأن الدعاء» (ص ٥٦) ، انظر : «الاعتقاد» (ص٥٧) ، «النهاية» (٣/ ٤٠٦ - ٤٠٧) ، و«المنهاج» للحليمي (١/ ٢٠٢) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له، ونقله البيهقي فى «الأسماء» (ص ٦٢).

وبنحوه قال السعدي[1].

وهو ما نظمه ابن القيم في «النونية»:

وكذلكَ الفتَّاح من أسْمائه | والفَتْح في أوصَافِهِ أمْرانِ
فتحٌ بحكمٍ وهو شَرْعُ إلَهِنَا | والفتْحُ بالأقْدارِ فتحٌ ثَانِ
والرَّبُّ فتَّاحٌ بذينِ كليهما | عَدْلاً وإحْسانًا من الرحمنِ[2]

و على هذا يكون معنى الاسم:

١- (الفتّاح) : الحاكم الذي يقضي بين عباده بالحق والعدل، بأحكامه الشرعية والقدرية.

٢- أنه يفتح لهم أبواب الرحمة والرزق وما انغلق عليهم من الأمور.

٣- أنه بمعنى الناصر لعباده المؤمنين، وللمظلوم على الظالم، وهذا يعود إلى الأول.

*** آثار الإيمان بهذا الاسم:**

١- الله سبحانه هو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة بالقسط والعدل، يفتح بينهم في الدنيا بالحق بما أرْسَلَ من الرسل، وأنزل من الكتب.

يقول القرطبي رحمه الله في هذا الاسم: ويتضمن من الصفات كل ما لا يتم الحكم إلا به، فيدلُّ صريحًا على إقامة الخلق وحفظهم في الجملة، لئلا يستأصل المقتدرون المستضعفين في الحال.

ويدل علي الجزاء العدل على أعمال الجوارح والقلوب في المآل،

---

(١) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠٢).

(٢) «النونية» (٢/ ٢٣٤).

ويتضمن ذلك أحكامًا وأحوالاً لا تنضبط بالحدِّ، ولا تحصى بالعد.

وهذا الاسم يختص بالفصل والقضاء بين العباد بالقسط والعدل، وقد حكم الله بين عباده في الدنيا بما أنزل من كتابه، وبيّن من سنة رسوله، وكلُّ حاكمٍ إما أنْ يحكم بحكم الله تعالى أو بغيره، فإن حكَمَ بحكم الله فأجره على الله، والحاكم في الحقيقة هو الله تعالى، وإن حكم بغير حكم الله فليس بحاكم إنما هو ظالم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥][1].

٢- ذكرنا أن الله سبحانه يحكم بين عباده في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويفتح بينهم بالحق والعدل، وقد توجهت الرسل إلى الله الفتّاح سبحانه أن يفتح بينهم وبين أقوامهم المعاندين فيما حصل بينهم من الخصومة والجدال.

قال نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧، ١١٨].

وقال شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقال: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥][2].

وقد استجاب الله سبحانه لرسله ولدعائهم ففتح بينهم وبين أقوامهم بالحق، فنجى الرسل وأتباعهم وأهلك المعاندين المعرضين عن الإيمان بآيات الله وهذا من الحكم بينهم في الحياة الدنيا.

---

(١) «الكتاب الأسنى» ورقة (٣٠٦ أ - ٣٠٦ ب).

(٢) يُلاحظ أن طلب الرسل الفتح من الله كان بعد ظهور العناد من أقوامهم وإعراضهم عن الحجج القاهرة وتهديدهم الرسل بالرجم بالحجارة والقتل.

٣- وكذا يوم القيامة فإن الله سبحانه هو الفتّاح الذي يحكم بين عباده فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا.

قال سبحانه : ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦] ففي ذلك اليوم يقضي الله سبحانه ويفصل بين العباد ، فيتبين الضال من المهتدي ، وهو سبحانه لا يحتاج إلى شهود ليفتح بين خلقه ، لأنه لا تخفى عليه خافية وما كان غائبًا عما حدث في الدنيا ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وقال: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١][(١)].

وقد سمى الله يوم القيامة بيوم «الفتح» في قوله سبحانه : ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩].

٤- إن الله سبحانه متفرد بعلم مفاتح الغيب التي ذكرها في قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقد عدّدها في قوله سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

قال القرطبي: مفاتح جمع مَفتح هذه اللغة الفصيحة ويقال مفتاح، ويجمع مفاتيح، المِفتح عبارة عن كل ما يَحُلُّ غَلَقًا، محسوسًا كان كالقُفل على البيت، أو معقولاً كالنظر، ثم قال: وهو في الآية استعارة على التوصل

(١) وفي اقتران اسمه تعالى (الفتاح) بـ (العليم) إعلام بأنه سبحانه يفتح بين الخلائق عن علم كامل.

إلى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح إلى المغيب عن الإنسان.

ولذلك قال بعضهم : هو مأخوذ من قول الناس افتح عليّ كذا ، أي : أعطني أو علّمني ما أتوصل إليه به ، فالله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلا هو فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه ومن شاء حجبه عنها حجبه، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران: ١٧٩] وقوله: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧][1].

وقال في «الأسنى»: والفتح في اللغة حَلّ ما استغلق من المحسوسات والمعقولات ، والله سبحانه هو «الفتّاح» لذلك، فيفتح ما تغلق على العباد من أسبابهم ، فيغني فقيراً ، ويُفرِّج عن مكروب ، ويسهل مطلبًا وكل ذلك يسمى فتحًا ، لأن الفقير المتغلّق عليه باب رزقه فَيُفتح بالغنى، وكذلك المتحاكمان إلى الحاكم ، يتغلّق عليهما وجه الحكم فيفتحه الحاكم عليهما، ولذلك سمى الحاكم فتّاحًا لأنه يحل ما استغلق من الخصوم، تقول: افتح بيننا ، أي : احكم ، ومنه قول شعيب: ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ** ﴾ [الأعراف: ٨٩] أي : احكم ، ﴿ **وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ أي : الحاكمين[2].

٥- إن الفتح والنصر من الله سبحانه فهو يفتح على من يشاء ويخذل من يشاء، وقد نسب الله الفتوح لنفسه، لينبه عباده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره، وأن يعملوا بطاعته وينالوا مرضاته، ليفتح عليهم

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ١-٢).

(٢) «الكتاب الأسنى» ورقة (٣٠٥ أ).

وينصرهم على أعدائهم. قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وهو خطاب لرسوله الأمين ﷺ.

وقال جل ثناؤه: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة: ٥٢]، وقال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣][١].

٦- إن الله بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض. قال سبحانه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢]، فما يفتحه من الخير للناس لا يملك أحد أن يغلقه عنهم، وما يُغلقه فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم كما قال جل وعلا: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

فلو فتح الله المطر على الناس فمن ذا الذي يحبسه عنهم، حتى لو أدى المطر إلى إغراقهم وإهلاكهم مثلما حدث لقوم نوح عليه الصلاة والسلام، فقد وصلت المياه إلى رؤوس الجبال، فما استطاعوا أن يردوها عن أنفسهم، ولوحبس عن عباده القطر والنبات سنين طويلة لما استطاعوا أيضًا أن يفتحوا ما أغلقه الله سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

٧- وقد يفتح الله سبحانه أنواع النعم والخيرات على الناس استدراجًا لهم، إذا تركوا ما أُمروا به، ووقعوا فيما نُهوا عنه كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا

---

(١) وانظر ما قبل هذه الآية من بيان أسباب النصر والفتح القريب وهو قوله تعلى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ..﴾ [الصف: ١١].

أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤][1].

٨- ومما يفتحه الله على من يشاء من عباده الحكمة والعلم والفقه في الدين، ويكون ذلك بحسب التقوى والإخلاص والصدق، ولذا تجد أن فهم السلف أعمق وعلمهم أوسع ممن جاء بعدهم **﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾** [البقرة: ٢٨٢].

وقال تعالى: **﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾** [الزمر: ٢٢].

قال القرطبي: وهذا الفتحُ والشرح ليس له حدٌّ، وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ، ففاز الأنبياء بالقسم الأعلى، ثم من بعدهم الأولياء، ثم العلماء، ثم عوام المؤمنين ولم يخيب الله منه سوى الكافرين.

وكان النبي ﷺ يقول: لأصحابه: **«إذا دَخَلَ أحدكم المسجد فَلْيُسلِّم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افْتَح لي أبوابَ رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم باعدني من الشيطان»**[2].

---

(١) وقد مر سابقًا بأن كثرة الرزق وانفتاحه لا تدل على محبة الله وعنايته.

(٢) إسناده حسن أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٠) وابن ماجه (٧٧٣) وابن السني (٨٥) والحاكم (١/٢٠٧) عن أبي بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان حدثني سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا به.

قال الحاكم: على شرطهما وأقره الذهبي.

قلت: هو على شرط مسلم فقط، فإن الضحاك بن عثمان صدوق من رجال مسلم. وله شاهد من حديث أبي حميد وأبي أسيد:

أخرجه أحمد (٣/٤٩٨)، (٥/٤٢٥) والنسائي في سننه (٢/٥٣) عن أبي عامر حدثنا سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد قال سمعت أبا حميد وأبا أسيد يقولان قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أحدكم فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»**. وإسناده صحيح.

«العَلِيمُ - العَالِم - العَلاَّم»
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٢٨، ٢٩، ٣٠)

*** المعنى اللغوي:**

العلم : نقيض الجهل، عَلِمَ علمًا وعَلُمَ هو نفسه ورجل عالِم وعليمٌ من قوم علماء، وعَلاَّم وعلاَّمة إذا بالغت في وصفه بالعلم، أي : عالمٌ جدًا.

وعَلِمتُ الشيء : عرفته وخبرته ، وعَلِمَ بالشيء : شَعَرَ به. والعليم على وزن فعيل من أبنية المبالغة(١).

*** ورود الأسماء في القرآن الكريم:**

ورد اسمه (العليم) في مائة وسبعة وخمسين موضعًا من الكتاب منها:

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢].

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٧].

﴿ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٢٨].

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٤].

---

(١) «النهاية» (٣/ ٢٩٢) ، «اللسان» (٤/ ٣٠٨٢).

﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤] وقوله : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيماً ﴾ [النساء: ٧٠] وقوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨].

أما (العالم) فقد ورد هذا الاسم في القرآن ثلاث عشرة مرة منها:

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ٩٤].

وقوله: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩].

وقوله: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [التغابن: ١٨].

ما (العلاّم) فقد ورد هذا الاسم في أربعة مواضع وهي:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقوله: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨].

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [سبأ: ٤٨].

*** المعنى في حق الله تعالى:**

قال ابن جرير: إنك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيوب دون جميع خلقك.

وقال: إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر،

وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجنه مما لم تجنه بعد[1].

وقال الخطابي: هو العالم بالسَّرائر والخفيات التي لا يُدركها علم الخلق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [لقمان: ٢٣]. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم ولذلك قال سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦][2].

قال ابن منظور رحمه الله: فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكونُ ولَمَّا يكن بعدُ قبلَ أن يكون، لم يزل عالمًا ولا يزال عالمًا بما كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها، على أتمِّ الإمكان[3].

وقال السعدي: وهو الذي أحَاطَ علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[4].

وهو ما نظمه ابن القيم رحمه الله في «النونية»:

وهو العَليمُ أحَاطَ عِلمًا بالذي في الكَونِ من سِرٍّ ومن إعلانِ
وبكلِّ شيءٍ علمه سبحانه فهو المُحيطُ وليس ذا نِسيانِ

(١) «الطبري» (١/ ١٧٥)، (١١/ ١٢٧).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٥٧) وأخرج ابن جرير (١٣/ ١٩) عن سعيد بن جبير كنا عند ابن عباس فحدَّث حديثًا فتعجب رجل فقال: الحمد لله فوق كل ذي علم عليم. فقال ابن عباس: بئسما قلت، الله العليم وهو فوق كل عالم. وإسناده صحيح.

(٣) «اللسان» (٤/ ٣٠٨٢ - ٣٠٨٣) وانظر: «النهاية» (٣/ ٢٩٢).

(٤) «تيسير الكريم» (٥/ ٢٩٩).

وكذاكَ يعلَمُ ما يكون غدًا وما قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمرٌ لم يكن لو كان كيـ ـف يكونُ ذاك الأمرُ ذا إمكان[1]

*** آثار الإيمان بهذه الاسماء « العليم ـ العالم العلاّم » :**

١ - إثبات العلم التام الكامل الشامل لله وحده ، ولا يشابهه أحد من مخلوقاته في كمال علمه :

وقد أثبت الله عز وجل لنفسه العلم الكامل الشامل في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [طه: ٩٨]، وقوله: ﴿ **وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا** ﴾ [غافر: ٧]، وقوله: ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق: ١٢].

ففي هذه الآيات إثبات علمه بكل شيء من الأشياء، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، كما قال سبحانه: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿ **وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ [الجن: ٢٨].

وقد أنكر بعض الفلاسفة ومن تابعهم كابن سينا علمه تعالى بالجزئيات، فقالوا إنه يعلم الأشياء على وجه كلي لا جزئي، وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» بقوله: «وهذا مما يبيّن لك أن من قال من المتفلسفة إنه سبحانه يعلم الأشياء على وجه كلي لا جزئي، فحقيقة قوله إنه لم يعلم شيئًا من الموجودات، فإنه ليس في الموجودات إلا ما هو معيّن جزئي، والكليات إنما تكون في العلم، لاسيما وهم يقولون: إنما علم الأشياء لأنه مبدؤها

---

(١) «النونية» (٢/ ٢١٥).

وسببها، والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب، ومن المعلوم أنه مبدع للأمور المعيّنة المشخصة الجزئية، كالأفلاك المعيّنة والعقول المعينة، وأول الصادرات عنه - على أصلهم - العقل الأول، وهو معين، فهل يكون من التناقض وفساد العقل في الإلهيات أعظم من هذا؟»[1].

وبين العلامة المحقق ابن القيم أن «الحمد لله» تتضمن الرد على منكري علمه تعالى بالجزئيات، قال: وذلك من وجوه:

أحدها: كمال حمده، وكيف يستحق الحمد من لا يعلم شيئًا من العالم وأحواله وتفاصيله، ولا عدد الأفلاك، ولا عدد النجوم، ولا من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدعوه ممن لا يدعوه؟

الثاني: أن هذا مستحيل أن يكون إلهًا، وأن يكون ربًا فلابد للإله المعبود، والرب المدبر من أن يعلم عابده ويعلم حاله.

الثالث: من إثبات رحمته، فإنه يستحيل أن يرحم من لا يعلم.

الرابع: إثبات ملكه، فإن ملكًا لا يعرف أحدًا من رعيته ألبتة ولا شيئًا من أحوال مملكته ألبته، ليس بملك بوجه من الوجوه.

الخامس: كونه مستعانًا.

السادس: كونه مسئولاً أن يهدي سائله ويجيبه.

السابع: كونه هاديًا.

الثامن: كونه منعمًا.

التاسع: كونه غضبانًا على من خالفه.

العاشر: كونه مُجازيًا، يُدين الناس بأعمالهم يوم الدين.

فنفي علمه بالجزئيات مبطل لذلك كله[2].

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ١١٣) وانظر (١٠/ ١٥١).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٦٧).

وكيف لا يحيط تعالى علمًا بكل شيء وهو قد خلق كل شيء ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فقبح الله من رمى ربه بالجهل وعدم العلم وهو يأنف أن يوصف بشيء من ذلك.

٢- إن الله سبحانه لكمال علمه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أي: أنه سبحانه يعلم الأمور الماضية التي وقعت، والأمور المستقبلة التي لم تقع بعد، ويعلم الأمور التي لن تقع لو فرض أنها تقع كيف تقع، وهذا من كمال علمه بالغيب وعواقب الأمور، وهو معتقد أهل السنة والجماعة، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقوله تعالى لإبليس عليه لعنة الله: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] وهو خبر عن المستقبل.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] أي: علم الله أنكم لن تستطيعوا القيام بما أمركم به من قيام

الليل ، لأنه سيكون منكم مرضى وآخرون يجاهدون في سبيل الله وآخرون مسافرون في الأرض يبتغون فضل الله في المكاسب فقوموا من الليل بما يتيسر.

وقوله تعالى :- ﴿فعَلِمَ ما لَمْ تعْلَمُوا فجَعَلَ من دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

وقوله سبحانه : ﴿ما أَصَابَ من مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ ولا فِي أَنفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] أي : ما تقع من مصيبة في الأرض من قحط أو طوفان أو صاعقة وغير ذلك، ﴿ولا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ أي : من الأمراض والمصائب والبلاء ، إلا كان ذلك مكتوبًا في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الخليقة ، ونبرأ النسمة ، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كَتَبَ الله مَقاديرَ الخَلائق قبل أنْ يَخلق السماوات والأرض بخمسينَ أَلف سنة ، قال : وكان عرشه على الماء»[1].

٣- وقد خالف في ذلك القدرية - قبحهم الله - فقالوا إن الله لا يعلم الأمر قبل وقوعه وإنما يعلمه بعد وقوعه، وقد حدث القول بهذا في أواخر عصر الصحابة، فقد جاء عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فَوفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سَيَكِلُ الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن ! إنه قد

---

(١) رواه الإمام مسلم (٢٦٥٣).

ظهر قِبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتَقَفَّرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم وأنهم برآءُ مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مِثلَ أحد ذهبًا فأنفقه ما قَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر...(1).

ومعنى قول القدرية أن الأمر أُنُفٌ أيّ: مستأنف لم يسبق به قدر، ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، أي أن الله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم مَنْ يطيعه ممن يعصيه، ولا مَنْ يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه(2).

٤- إن الخلق لا يحيطون علمًا بالخالق، أي: لا يعلمون شيئًا من ذاته وصفاته إلا ما أطلعهم الله سبحانه عليه، عن طريق رسله وكتبه المنزلة. قال تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠](3).

٥- وعلى وجه أعم، أنهم لا يعلمون شيئًا من المعلومات، إلا بتعليم الله لهم، فكل علم شرعي وقدري فمرجعه إلى الله العليم الحكيم، كما قالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

---

(١) رواه مسلم (٨)، ومعنى يتقفرون العلم: يطلبونه ويتتبعونه. وقيل معناه: يجمعونه.

(٢) راجع إن شئت كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص ٣٦٤ - ٣٦٩).

(٣) وعلى هذا، فلا يجوز لنا أن نثبت لله سبحانه اسمًا أو صفة لم ترد في كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ لأنهما طريقا العلم بأسماء الله وصفاته.

وقال مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال عن يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال عن داود ﷺ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وعن الخضر ﷺ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين أن أصل ومنشأ كل علم إنما هو من الله جل ثناؤه سواء كان شرعيًا أو دنيويًا.

٦- قلة ما بأيدينا من العلم بالنسبة لعلم الله تعالى:

ومع كثرة المعلومات التي تعلمها بنو آدم وتشعبها، إلا أنها قليلة جدًا بالنسبة لعلم الله تعالى الواسع، قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وفي قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام: «**فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين. قال له الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثلَ ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر...**»(١).

٧- الفرق بين علم الخالق وعلم المخلوق:

علم الله جل ثناؤه لا يعتريه نقص أبدًا، من نسيان أو جهل، أو علم ببعض أمور الخلق وجهل بغيرها.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠١) ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب.

وهو سبحانه لا يشغله علم عن علم ، كما لا يشغله سمع عن سمع، وأنى للمخلوق مثل هذه الصفات ، فهم يولدون جهلة لا يعلمون شيئًا ، ثم يتعلمون شيئًا فشيئًا ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [النحل: ٧٨].

فعلمهم قد سبقه الجهل، والله سبحانه كان وما زال عليمًا لم يسبق علمه جهل، ولا نقول إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علمًا فعلم ، كما تقوله المبتدعة تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

واقرأ معي ما يقوله الخطابي رحمه الله عن علم الخلق . يقول : والآدميون ـ وإن كانوا يوصفون بالعلم ـ فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع ، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال ، وقد تعترضهم الآفات فَيَخلُفُ علمهم الجهل، ويعقُبُ ذكرهم النسيان ، وقد نجد الواحد منهم عالمًا بالفقه غير عالم بالنحو ، وعالمًا بهما غيرَ عالم بالحساب والطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله سبحانه علم حقيقة وكمال، ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨][1].

٨- اختص الله نفسه سبحانه بعلوم الغيب. قال سبحانه: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

وذكر منها خمسة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

(١) «شأن الدعاء» (ص ٥٧).

قال الألوسي رحمه الله: وما في الإخبار يحمل على بيان البعض المهم لا على دعوى الحصر، إذ لا شبهة في أن ما عدا الخمس من المغيبات لا يعلمه إلا الله تعالى[1].

فعلم الغيب لا شك أنه أعظم وأوسع من أن يحصر في هذه الخمس فقط.

ومن زعم أن أحدًا يعلم الغيب غير الله سبحانه فقد كفر بالآيات السابقة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ومن زعم أنه ـ تعني النبي ﷺ ـ يخبر بما يكون في غدٍ فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٦٥] [2].

* * *

(١) «روح المعاني» (٧/ ١٧١).

(٢) الجزء الأخير من حديث رواه مسلم (١٧٧).

السميع
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٣١)

*** المعنى اللغوي :**

السَّمع للإنسان وغيره : حِسُّ الأُذُن ، أو ما وَقَر في الأذن من شيءٍ تسمعه ، ورجل سميع : أي سامع، ورجل سمّاع : إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق كقوله تعالى : ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ** ﴾ [المائدة: ٤١].

والسميع على وزن فعيل من أبنية المبالغة.

قال الزجاج: ويجيء في كلامهم: سمع بمعنى أجاب[1].

*** ورود الاسم بالكتاب العزيز:**

ورد الاسم في الكتاب العزيز خمسًا وأربعين مرة منها قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقوله: ﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [المائدة: ٧٦].

وقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقوله: ﴿ **إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ** ﴾ [سبأ: ٥٠].

وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [المجادلة: ١].

---

(١) «النهاية» (٢/ ٤٠١) ، «اللسان» (٣/ ٢٠٩٦) ، «تفسير الأسماء» (ص ٤٢).

* **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

قال ابن جرير رحمه الله: وقوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] يقول جل ثناؤه واصفًا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول[1].

قال ابن كثير رحمه الله: السميع لأقوال عباده[2].

وقال الخطابي رحمه الله: (السميع) بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناؤه فعيل: بناء المبالغة كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر.

وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت.

وقد يكون السماع بمعنى: القبول والإجابة كقول النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع**»[3] أي: من دعاء لا يستجاب ومن هذا

(١) «جامع البيان» (٢٥/ ٩).

(٢) ابن كثير (٢/ ٨٢).

(٣) طرف من حديث صحيح رواه أنس وعبد الله بن عمرو وأبوهريرة رضي الله عنهم، اما حديث أنس فله طريقان:

الأول: رواه الإمام أحمد (٣/ ١٩٢، ٢٥٥) عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع**» ورجال إسناد أحمد ثقات رجال الشيخين في كلا الموضعين سوى حماد بن سلمة فمن رجال مسلم وحده، ورواه أيضًا من طريقه أبو خيثمة في «العلم» برقم (١٦٥) بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله وقال: صحيح على شرط مسلم.

والثاني: أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٣) والنسائي (٨/ ٢٦٣) من طريق خلف بن خليفة ثنا حفص بن عمر عن أنس بمثله وزاد: «**اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع**» وإسناده حسن، خلف بن خليفة صدوق اختلط في الآخر وحفص بن عمر هو ابن أخي أنس صدوق.

وأما حديث عبد الله بن عمرو فله طريقان أيضًا:

الأول: أخرجه الترمذي (٣٥٤٩) من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن عمرو =

قول المصلي: «سمع الله لمن حمده»[1].

معناه: قبل الله حَمْدَ من حَمِدَه[2].

قال ابن القيم: «فعل السمع يراد به أربعة معان:

أحدها: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات. الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني. الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل. الرابع: سمع قبول وانقياد.

فمن الأول: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١].

= ابن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر به وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. قلت: زهير بن الأقمر قال الحافظ: مقبول أي حيث يتابع وإلا فلين الحديث.

الثاني: أخرجه الحاكم (١/ ٥٣٤) عن الثوري عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل عنه.

وأما حديث أبي هريرة فله طريقان:

الأول: أخرجه أبو داود (١٥٤٨) والنسائي (٨/ ٢٦٣، ٢٨٤) وابن ماجه (٣٨٣٧) والحاكم (١/ ٥٣٤) كلهم من طريق الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه عباد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة يقول كان رسول الله ﷺ يقول: **«اللهم أعوذ بك من أربع من علم لا ينفع..»** فذكره

وقال الذهبي: صحيح. قلت: فيه عباد بن أبي سعيد. قال الحافظ: مقبول، أي حيث يتابع وإلا فلين.

والثاني: أخرجه النسائي (٨/ ٢٨٤) وابن ماجه برقم (٢٥٠) من طريق أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة مرفوعًا. وقال النسائي عقبه: سعيد لم يسمعه من أبي هريرة بل سمعه من أخيه عن أبي هريرة. وأصل الحديث عند مسلم (٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم مطولاً وبدل قوله: **«ومن دعاء لا يسمع» «ومن دعوة لا يستجاب لها»**.

(١) رواه البخاري في مواضع كثيرة منها (٦٩٠، ٧٢٢، ٧٣٢) ومسلم في مواضع منها (٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٩).

(٢) «شأن الدعاء» (ص٥٩)، وانظر: «المنهاج» للحليمي (١/ ١٩٩) و«تيسير الكريم» (٥/ ٢٩٩).

ومن الثاني : قوله : ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل ومنه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن الثالث: «سمع الله لمن حمده» وفي الدعاء المأثور : «اللهم اسمع» أي : أجب وأعط ما سألتك.

ومن الرابع: قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١] أي قابلون له ومنقادون غير منكرين، ومنه على أصح القولين ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي : قابلون ومنقادون» اهـ[١].

فمن معاني «السميع» المستجيب لعباده إذا توجهوا إليه بالدعاء وتضرعوا.

وقال في «النونية»:

وهو السَّميعُ يَرىٰ ويَسْمعُ كلَّ ما ... في الكونِ من سِرٍّ ومن إعلانِ
ولكلِّ صوتٍ منه سمعٌ حاضرٌ ... فالسِّرُّ والإعلان مستويانِ
والسَّمعُ منه واسعُ الأصواتِ لا ... يخفىٰ عليه بعيدُها والداني[٢]

*** آثار الإيمان باسمه (السميع) :**

١- إثبات صفة السمع له سبحانه وتعالى كما وصف الله عز وجل نفسه.

قال الأزهري رحمه الله: والعجب من قوم فسّروا (السميع) بمعنى المُسْمِعِ فراراً من وصف الله بأن له سمعًا، وقد ذكر الله الفعل في غير

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٥ - ٧٦).

(٢) «النونية» (٢/ ٢١٥).

موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسَّمع من خلقه، ولا بصره كبصر خلقه ونحن نصف الله بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف[1].

وقد بوّب البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد : باب «وكان الله سميعًا بصيرًا» .

قال ابن بطال: «غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى «سميع بصير» عليم ، قال : ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها ، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتًا ولا يسمعها .

ولا شك أن من سمع وأبصر أَدْخَلُ في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر ، فصح أن كونه سميعًا بصيرًا يفيد قدرًا زائدًا على كونه عليمًا ، وكونه سميعًا بصيرًا يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر ، كما تضمن كونه عليمًا أنه يعلم بعلم ولا فرق بين إثبات كونه سميعًا بصيرًا وبين كونه ذا سمع وبصر .

قال : وهذا قول أهل السنة قاطبة» اهـ[2].

٢- إن سمع الله تبارك وتعالى ليس كسمع أحد من خلقه ، فإن الخلق وإن وصفوا بالسمع والبصر كما في قوله تعالى : ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [الإنسان: ٢]، لكن هيهات أن يكون سمعهم وبصرهم كسمع وبصر خالقهم جل شأنه ، قد نفى الرب سبحانه المشابهة عن نفسه بقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ**

---

(١) «اللسان» (٣/ ٢٠٩٦).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٣٧٢ - ٣٧٣).

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لأن سمع الله وبصره مستغرق لجميع المسموعات والمرئيات لا يعزب عن سمعه مسموع وإن دق وخفي سرًا كان أو جهرًا .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات . لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** [المجادلة: ١] .

وفي رواية : «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء»[١] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبّرنا. فقال : «**اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا** ... »[٢] .

قال ابن بطال: في هذا الحديث نفي الآفة المانعة من السمع، والآفة المانعة من النظر، وإثبات كونه سميعًا بصيرًا قريبًا، يستلزم أن لا تصح أضداد هذه الصفات عليه[٣] .

وفي بيان الفرق بين سمع الخالق والمخلوق، يقول أبو القاسم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٦) والبخاري تعليقًا (١٣/ ٣٧٢) والنسائي (٦/ ١٦٨) وابن ماجه برقم (١٨٨ ، ٢٠٦٣) وابن جرير (٢٨/ ٥) والآجري في «الشريعة» (ص ٢٩١) والحاكم (٢/ ٤٨١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، والرواية الثانية رواية ابن ماجه والحاكم والآجري.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٨٦).

(٣) «الفتح» (١٣/ ٣٧٥).

الأصبهاني: خُلِق الإنسان صغيراً لا يسمع، فإنْ سمع لا يعقل ما يسمع، فإذا عَقَل ميَّزَ بين المسموعات فأجاب عن الألفاظ بما يستحق، وميَّز الكلام المستحسن من المستقبح، ثم كان لسمعه مَدًى إذا جاوزه لم يسمع، ثم إنْ كلَّمه جماعة في وقتٍ واحد عَجَزَ عن استماع كلامهم، وعن إدراك جوابهم.

والله عز وجل السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم مع اختلافِ ألسنتهم ولُغَاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجزُ القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيُعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع بالموت والله تعالى لم يزل ولا يزال، يُفني الخلق ويرثهم فإذا لم يبق أحدٌ قال: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فلا يكون من يرد! فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦][(١)].

واشتراك المخلوق مع الخالق سبحانه في هذا الاسم لا يعني المشابهة، فإن صفات المخلوق تناسب ضعفه وعجزه وخَلْقه، وصفات الخالق تليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى.

٣- وقد أنكر الله تبارك وتعالى على المشركين الذين ظنوا أن الله لا يسمع السر والنجوى.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي - أو ثقفيان وقرشي - كثيرةٌ شحم بطونهم، قليلةٌ فقهُ قلوبهم. فقال أحدُهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخرُ: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمعُ إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ

---

(١) «الحجة في المحجة» (ورقة ١٤ب - ١١٥).

سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢][1].

وكذا قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ﴾ [الزخرف: ٨٠].

٤- ورد الاسم مقرونًا بغيره من الأسماء كقوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ و ﴿سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ وهي تدل على الإحاطة بالمخلوقات كلها، وأن الله محيط بها، لا يفوته شيء منها ولا يخفى عليه، بل الجميع تحت سمعه وبصره وعلمه. وفي ذلك تنبيه للعاقل وتذكير، كي يراقب نفسه وما يصدر عنها من أقوال وأفعال، لأن خالقه وربه لا يخفى عليه شيء منها، وأنه سبحانه محصيها عليه ثم يجازي بها في الآخرة إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

ومتى آمن الناس بذلك وتذكّروه فإن أحوالهم تتغير من القبيح إلى الحسن ومن الشر إلى الخير.

وإذا نسوا ذلك وتناسوه وغفلوا عنه ففي ذلك ما يكفي لفساد الدنيا وخرابها، والناظر في أحوال الناس يرى ذلك واضحًا جليًا.

٥- الله هو (السميع) الذي يسمع المناجاة ويجيب الدعاء عند الاضطرار ويكشف السوء، ويقبل الطاعة.

وقد دعا الأنبياء والصالحون ربهم سبحانه بهذا الاسم ليقبل منهم طاعتهم أو ليستجيب لدعائهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٧، ٧٥٢١) ومسلم (٢٧٧٥).

فإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام قالا : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] وهما يرفعان قواعد البيت الحرام .

وامرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها خالصًا لله ، لعبادته ولخدمة بيت المقدس قالت : ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥] ثم أخبر تعالى أنه قبل منها ذلك : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] .

ودعا زكريا ربه أن يرزقه ذرية صالحة ثم قال : ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] فاستجاب الله دعاءه.

ودعا يوسف عليه الصلاة والسلام ربه أن يصرف عنه كيد النسوة ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤] .

وأمر بالالتجاء إليه عند حصول وساوس شياطين الإنس والجن . قال تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

قال ابن كثير : سميع لجهل الجاهل عليك ، والاستعاذة به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شيء ، عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه[1].

* * *

---

(١) ابن كثير (٢/ ٢٧٨).

البصير
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٣٢)

*** المعنى اللغوي:**

البصر في الخلق : حاسَّةُ الرؤية ، أو حِسُّ العين ، والجمع أبصار، ورجل بصير : مُبْصر ، خلاف الضرير وهو فعيل بمعنى مُفْعِل، أو هو فعيل بمعنى فاعل ، وهو أبنية المبالغة ، ورجل بصير بالعلم : عالم به ، والبصيرة: العلم والفطنة[1].

*** وروده في القرآن الكريم:**

ورد هذا الاسم في القرآن اثنتين وأربعين مرة منها قوله عز وجل: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [آل عمران: ١٥، ٢٠].

وقوله: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الحديد: ٤].

وقوله سبحانه: ﴿**مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾ [الملك: ١٩].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال ابن جرير : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ٩٦] والله ذو إبصار بما يعملون ، لا يخفى عليه شي من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط ، ولها حافظ ذاكر ، حتى يذيقهم بها العقاب

---

(١) «اللسان» (١/ ٢٩٠).

جزاءها . وأصل بصير: مبصر، من قول القائل: أبصرت فأنا مبصر، ولكن صرف إلى فعيل، كما صرف مسمع إلى سميع، وعذاب مؤلم إلى أليم، ومبدع السماوات إلى بديع وما أشبه ذلك[1].

وقال الخطابي: البصير هو المبصر، ويقال البصير: العالم بخفيات الأمور[2].

وقال ابن كثير: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥، ٢٠] : أي : هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وما ذلك إلا لحكمته ورحمته[3].

وقال الألوسي: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: أي: خبير بهم وبأحوالهم وأفعالهم[4].

وقال السعدي: (البصير) الذي يُبصر كلَّ شيء وإن رقَّ وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع.

وأيضًا سميع بصير بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة[5].

وقال ابن القيم في «النونية»:

وهو البصيرُ يَرَىٰ دبيبَ النَّملةِ الـ ... سوداءِ تحت الصَّخرِ والصَّوَّانِ
ويَرَىٰ مجاري القوت في أعضائها ... ويَرَىٰ عُروقَ بَيَاضِها بعيانِ

(١) «جامع البيان» (١/ ٣٤١).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٦٠ - ٦١) باختصار.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٥٤)، (٤/ ٨١).

(٤) «روح المعاني» (٣/ ١٠١).

(٥) «تيسير الكريم» (٥/ ٢٩٩).

وَيَرَىٰ خياناتِ العيونِ بلحظِها وَيَرَىٰ كذلكَ تقلُّبَ الأجْفَانِ[1]

وعلىٰ هذا يكون لـ (البصير) معنيان :

الأول: أن له بصر يرىٰ به سبحانه وتعالىٰ .

الثاني: أنه ذو البصيرة بالأشياء الخبير بها .

*** آثار الإيمان بهذا الاسم (البصير) :**

١- إثبات صفة البصر له جل شأنه ، لأنه وصف نفسه بذلك وهو أعلم بنفسه.

وصفة البصر من صفات الكمال كصفة السمع، فالمتصف بهما أكمل ممن لا يتصف بذلك، قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ [هود: ٢٤].

وقد أنكر إبراهيم ﷺ علىٰ أبيه عندما عَبَدَ مالا يُبصر ولا يسمع ﴿**لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا**﴾ [مريم: ٤٢].

وقال تعالىٰ مُوبخًا الكفار ومُسفهًا عقولهم لعبادتهم الأصنام التي هي من الحجارة الجامدة التي لا تتحرك ولا تملك سمعًا ولا بصرًا ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٩٥].

أيّ : أنتم أكمل من هذه الأصنام لأنكم تسمعون وتبصرون فكيف تعبدونها وأنتم أفضل منها !

---

(١) «النونية» (٢/ ٢١٥).

قال الأصبهاني: وأما (البصير) فهذا الاسم يقع مشتركًا، فيقال: فلانٌ بصير، ولله المثل الأعلى، والرجل قد يكون صغيرًا لا يُبصر ولا يميز بالبصر بين الأشياء المتشاكلة، فإذا عَقَل أبصر فميَّزَ بين الرديء والجيد، وبين الحسن والقبيح، يُعطيه الله هذا مدَّةً ثم يسلبه ذلك، فمنهم من يسلبه وهو حي ومنهم من يسلبه بالموت.

والله بصير لم يزل ولا يزول، والخَلْقُ إذا نظر إلى ما بين يديه عَمِيَ عما خلفه وعما بَعدَ منه، والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في خَفيَّات مُظلم الأرض، وكل ما ذَكَرَ مخلوقًا به وصفه بالنَّكرة، فإذا وَصَفَ به ربَّه وصفه بالمعرفة[1].

٢- إن الله تبارك وتعالى بصير بأحوال عباده خبير بها بصير بمن يستحق الهداية منهم ممن لا يستحقها، بصير بمن يصلح حاله بالغنى والمال، وبمن يفسد حاله بذلك ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧] وهو بصير بالعباد شهيد عليهم، الصالح منهم والطالح، المؤمن والكافر ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦] بصير خبير بأعمالهم وذنوبهم ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧] وسيجزيهم عليها أتم الجزاء.

٣- ومن علم أن ربه مطلع عليه استحى أن يراه على معصية أو فيما لا يحب.

ومن علم أنه يراه أحسن عمله وعبادته وأخلص فيها لربه وخشع فقد

(١) «الحجة في المحجة» (ورقة ١٥ أ).

جاء في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

قال النووي رحمه الله: «هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ لأنا لو قدّرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالىٰ لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع و الخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه وعلىٰ الاعتناء بتتميمها علىٰ أحسن وجوهها إلا أتىٰ به.

فقال ﷺ: اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان، فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالىٰ عليه فلا يقدم العبد علىٰ تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذ المعنىٰ موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه، فمقصود الكلام الحث علىٰ الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالىٰ في إتمامه الخشوع والخضوع وغير ذلك»[2] اهـ.

* * *

(١) رواه مسلم (٨) وهو جزء من حديث عمر بن الخطاب الطويل.

(٢) «شرح مسلم» (١/١٥٧ - ١٥٨).

الحَكَم - الحاكم - الحكيم
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٣٣، ٣٤، ٣٥)

*** المعنى اللغوي:**

الحكَم والحكيم بمعنى الحاكم ، وهو القاضي، فهو فعيل بمعنى فاعل ، أو هو الذي يُحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل .

وقيل : الحكم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم ، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر.

قال الزجّاج : «والحكَم والحاكم بمعنى واحد، وأصل : (ح ك م) في الكلام : المنع ، وسُمي الحاكم حاكمًا ، لأنه يمنع الخصمين من التظالم ، وحكَمة الدابة سُميت حكمة لأنها تمنعها من الجماح» اهـ .

والحُكم : العلم والفقه والقضاء بالعدل ، والحكيم : العالم وصاحب الحكمة[1].

*** وروده في القرآن الكريم:**

ورد اسمه (الحكم) في آية واحدة هو قوله تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

---

(١) «النهاية» (١/٤١٨ - ٤٢٠)، «اللسان» (٢/٩٥١ - ٩٥٤)، «تفسير الأسماء» (ص٤٣)، «شأن الدعاء» (ص ٦١).

وورد (الحاكم) بصيغة الجمع في خمس آيات منها:

قوله تعالىٰ : ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

وقوله : ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

وأما الاسم (الحكيم) فقد ورد أربعًا وتسعين مرة منها:

قوله جل ذكره : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨ ، ٢٤٠].

وقوله : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦].

وقوله : ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨ ، ٧٣].

وقوله : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

وقوله : ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

وقوله : ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

*** المعنىٰ في حق الله تبارك وتعالىٰ :**

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤] : قل فليس لي أن أتعدىٰ حكمه وأتجاوزه لأنه لا حَكَم أعدل منه ولا قائل أصدق منه[1].

(١) «جامع البيان» (٨/٧).

قال القرطبي: والمعنى أفغير الله أطلب لكم حاكمًا[1].

وقال الخطابي: الحكَم الحاكم ومنه المثل: «في بيته يُؤتى الحكَمُ» وحقيقته هو الذي سَلِمَ له الحُكم ورُدَّ إليه فيه الأمر، كقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقوله: ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦][2].

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً[3].

وقال الحليمي: معنى (الحكم): وهو الذي إليه الحكم، وأصل الحكم منع الفساد، وشرائع الله تعالى كلها استصلاح العباد[4].

*** أيهما أبلغ الحكَم أو الحاكم:**

قيل أن الحكَم أبلغ من الحاكم، إذ لا يستحق التسمية بحكَم إلا من يحكم بالحق، لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم جارية على الفعل، فقد يسمّي بها من يحكم بغير الحق اهـ[5].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «ويقال حاكم وحُكّام لمن يحكم بين الناس، قال الله تعال: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨] والحكَم المتخصص بذلك فهو أبلغ. قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٧٠).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٦١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٢٧).

(٤) «المنهاج» (٢٠٧) وذكره في الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، وتبعه البيهقي في «الأسماء» (ص ٨٠).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٧٠).

حكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤] وقال عز وجل: ﴿ فَابْعَثُوا حكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٣٥]اهـ[١].

وقد ورد في الحديث الصحيح ما يفيد كراهة التكني بالحكم[٢].

وأما عن معنى (الحكيم):

فقد قال الزجاج: «الحكيم من الرجال يجوز أن يكون فعيلاً في معنى فاعل، ويجوز أن يكون في معنى مُفعِل، والله حاكم وحكيم.

والأشبه أن تَحمِل كلَّ واحد منهما على معنى غير معنى الآخر، ليكون أكثر فائدة، فحكيم بمعنى مُحكمٌ والله تعالى مُحكم للأشياء، متقن لها كما قال تعالى: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨] » اهـ[٣].

وقال ابن جرير: (الحكيم) الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل.

وقال في موضع: حكيم فيما قضى بين عباده من قضاياه[٤].

قال ابن كثير: الحكيم في أفعاله وأقواله فيضع الأشياء في محالها بحكمته وعدله[٥].

وقال الحليمي: (الحكيم) ومعناه الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصُنْعَه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السَّديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير[٦].

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» (ص ١٢٧).

(٢) تجده في آثار الإيمان بهذا الاسم.

(٣) «تفسير الأسماء» (ص ٥٢) وانظر: «شأن الدعاء» (ص ٧٣).

(٤) «جامع البيان» (١/ ٤٣٦)، (٢/ ٣٦٣).

(٥) «تفسير القرآن» (١/ ١٨٤، ٣١٥، ٤٥٩)، وانظر: «روح المعاني» (٧/ ١١٧) و«الاعتقاد» (ص ٦٠).

(٦) «المنهاج» (١/ ١٩١) وذكره في الأسماء التي تتبع إثبات الابتداء والاختراع له وتبعه البيهقي في «الأسماء» (ص ٢٢).

وقد أطال ابن القيم رحمه الله الكلام على اسمه (الحكيم) في «النونية» فقد قال:

وهو الحَكِيمُ وذاكَ من أوصافه نوعانِ أيضًا ما هما عدمانِ
حكم وأحكام فكل منهما نوعانِ أيضًا ثابتا البرهانِ
والحكم شَرعيٌّ وكونيٌّ ولا يتلازمان وما هما سِيَّان
بل ذاكَ يوجدُ دون هذا مُفْردًا والعكسُ أيضًا ثم يجتمعان
لَنْ يخلو المربوبُ من أحادهما أو منهما بل ليس ينتفيان
لكنما الشَّرعي محبوبٌ له أبدًا ولن يخلو من الأكوان
هو أمرُهُ الديني جاءت رسله بقيامه في سَائِرِ الأزمان
لكنما الكوني فهو قَضَاؤُه في خلقه بالعدل والإحسان
هو كلُّه حقٌّ وعدلٌ ذو رضى والشأن في المقضي كل الشانِ
فلذاك نَرْضَى بالقَضَاءِ ونَسخُط الـ مَقْضيَّ حين يكون بالعِصْيان
فالله يرضى بالقَضَاء ويسخط الـ مقضيَّ ما الأمران متحدان
فقضاؤُه صِفَةٌ به قَامتْ وما الـ مقضي إلا صَنْعَةَ الإنسان
والكون محبوبٌ ومبغوضٌ له وكلاهما بمشيئة الرحمن
هذا البيانُ يزيلُ لَبْسا طالما هَلَكَتْ عليه الناسُ كلَّ زمان
ويحل ما قد عَقَّدوا بأُصولِهم وبُحوثِهم فافهمه فَهْمَ بيان
من وَافَقَ الكوني وافق سخطه أفلم يوافق طاعة الديان؟!
فلذاكَ لا يعدوه ذم أو فوا ت الحمد مع أجر ومع رضوان
وموافق الديني لا يعدوه أجر بل له عند الصواب اثنان[1]

---

(١) «النونية» (٢/ ٢١٨ - ٢١٩)، وانظر: «تيسير الكريم» (٥/٢٩٩، ٣٠٢-٣٠٣) . وحاصل ما ذكره ابن القيم في هذه الأبيات: أن الحكيم من أوصافه، وان حكمته نوعان: حكم، وأحكام، ثم بين أن الحكم نوعان: شرعي وكوني (قدري) وأنهما لا يتلازمان، بل قد =

* آثار الإيمان بهذه الأسماء:

١- أن الحكم لله وحده لا شريك له في حكمه، كما لا شريك له في عبادته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، [يوسف: ٤٠، ٦٧].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠، ٨٨].

وقال: ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال ابن الحصار: وقد تضمّن هذا الاسم - يعني (الحكم) - جميع الصفات العُلَى والأسماء الحسنى، إذْ لا يكون حكمًا إلا سميعًا بصيرًا عالمًا خبيرًا إلى غير ذلك، فهو سبحانه الحكم بين العباد في الدنيا والآخرة في الظاهر والباطن، وفيما شرع من شرعه، وحكم من حكمه وقضاياه على خلقه قولاً وفعلاً، وليس ذلك لغير الله تعالى، ولذلك قال وقوله الحق: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

= يوجد هذا دون هذا، وقد يجتمعان وأن الله سبحانه يحب الشرعي منهما الذي هو ما أمر به الرسل وأتباع الرسل وأمر بالرضى عنه وعدم الاعتراض والمنازعة ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] أما ما حكم به قدرًا وشاء أن يكون، فلا يلزم من مشيئته أن يكون محبوبًا لديه، كمشيئة وجود إبليس وجنوده وكفر الكافر وفسق الفاسق وهو لا يحب ذلك كله ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] ولم يأمر تعالى أن نحب كل ما خلقه وشاءه.

هذا هو مذهب السلف ومن خالفهم فيه فقد ضل وأضل.

تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

وقال: ﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]. فلم يزل حكيمًا قبل أن يحكم، ولا ينبغي ذلك لغيره[1].

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

«وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ماشرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أوخير منه، كفر بواح لا نزاع فيه» اهـ[2].

ثم بين رحمه الله أن الله سبحانه بصفاته العظيمة يستحق أن يكون له الحكم، فهل يوجد في البشر من له مثل صفات خالقه ليشارك ربه في الحكم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا!

فتعال معي أخي القاريء لنطّلع على ما سطره في هذه المسألة في كتابه القيم «أضواء البيان» قال رحمه الله:

مسألة

اعلم أن الله جل وعلا بيّن في آيات كثيرة، صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة، التي سنوضحها الآن إن شاء الله، ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع.

سبحان الله وتعالى عن ذلك. فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون، ليتبع تشريعهم.

---

(١) «الكتاب الأسنى» ورقة (١٣٨٩أ).

(٢) «أضواء البيان» (٧/ ١٦٢).

وإن ظهر يقينًا أنهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك ، فليقف بهم عند حدهم ، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية.

سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته ، أو حكمه أو ملكه.

فمن الآيات القرآنيه التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ، ثم قال مبينًا صفات من له الحكم : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٠ - ١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية ، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور ، ويتوكل عليه ، وأنه فاطر السماوات والأرض أي : خالقهما ومخترعهما على غير مثال سابق ، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجًا ، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] الآية ، وأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وأنه ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ، وأنه هو الذي : ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦] أي يضيقه على من يشاء وهو : ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعًا من كافر خسيس حقير جاهل.

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]، فقوله فيها : ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ كقوله في هذه

﴿ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السماوات والأرض؟ وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبصره بكل المبصرات؟ وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا؟

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

فهل في الكفرة الفجره المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟ تبارك ربنا وتعاظم وتقدس أن يوصف أخس خلقه بصفاته[1].

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين النظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف في أعظم كتاب سماوي، بأنه العلي الكبير؟

سبحانك ربنا وتعاليت عن كل مالا يليق بكمالك وجلالك.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ

(١) المقصود بأخس خلقه هم الكفرة الفجرة المشرعون للقوانين الوضعية، لا الإنسان عمومًا.

عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٠ - ٧٣].

فهل في مشرعي القوانين الوضعية، من يستحق أن يوصف بأن له الحمد في الأولىٰ والآخرة، وأنه هو الذي يصرف الليل والنهار مبينًا بذلك كمال قدرته، وعظمة إنعامه علىٰ خلقه.

سبحان خالق السماوات والأرض، جل وعلا أن يكون له شريك في حكمه أو عبادته، أو ملكه.

ومن الآيات الدالة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

فهل في أولئك من يستحق أن يوصف بأنه هو الإله المعبود وحده، وأن عبادته وحده هي الدين القيم» اهـ باختصار(١).

٢- الله سبحانه يحكم ما يريد، وما يشاء هو وحده لا شريك له.

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

فالله سبحانه يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله، وتحريم ما أراد تحريمه، وإيجاب ما شاء إيجابه عليهم، وغير ذلك من أحكامه وقضاياه. وله الحكمة البالغة في ذلك كله.

---

(١) راجع «أضواء البيان» (٧/ ١٦٣ - ١٧٣).

وليس لأحد أن يراجع الله في حكمه، كما يراجع الناس بعضهم البعض في أحكامهم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]، فحكمه في الخلق نافذ، ليس لأحد أن يرده أو يبطله.

٣- كلام الله حكيم ومحكم، وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو كلام أحكم الحاكمين ورب العالمين.

وقد وصف الله القرآن العظيم ـ وهو كلامه المنزّل على محمد ﷺ ـ بأنه حكيم ومحكم في ثمان آيات منها قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقوله: ﴿الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١ ـ ٢].

وقوله: ﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١ ـ ٢].

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ..﴾ الآية [محمد: ٢٠].

وحكمة الله تقتضي ذلك، تقتضي أن يكون القرآن حكيمًا ومحكمًا، لأنه الكتاب الذي ليس بعده كتاب، ولأنه الكتاب الذي أنزله الله ليكون تشريعًا عامًا لكل مجتمع بشري ولكل فرد من أفراده، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فالقرآن حكيم في أسلوبه الرائع الجذاب ، وحكيم في هدايته ورحمته، وحكيم في إيضاحه وبيانه ، وحكيم في تشريعاته وحكيم في كل أحكامه، وحكيم في أمره ونهيه، وحكيم في ترغيبه وترهيبه ، وحكيم في وعده ووعيده ، وحكيم في أقاصيصه وأخباره ، وحكيم في أقسامه وأمثاله، وحكيم في كل ما اشتمل عليه ، بل هو فوق

ذلك وأعظم من ذلك.

والقرآن أيضًا محكم فلا حشو فيه، ولا نقص ولا عيب كما يكون في كلام البشر، الله أكبر ما أعظم هذا القرآن، لقد بلغ الغاية في البهاء والجمال والكمال[1].

٤- والإيمان بما سبق يقتضي تحكيم كتاب الله جل شأنه بيننا، لأنه لا يوجد كتاب مثل القرآن حكيمًا في كل شيء.

لأن ما شرعه الله سبحانه لعباده من الأحكام والمعاملات والقصاص والحدود وتقسيم المواريث وما يتعلق بالأحوال الشخصية في القرآن الكريم هي في منتهى الحكمة، لأنها تشريع الحكيم العليم سبحانه، الذي لا يدخل حكمه خلل ولا زلل، ولأنها قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة في البدء والعاقبة.

وقد نبه الله سبحانه عباده لهذا بقوله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ، وقوله : ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠] ، وقوله : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

ولذا فإنك تجد آيات الأحكام كثيرًا ما تشتمل خواتيمها على اسمه (الحكيم) ، ومن الأمثلة على ذلك:

قوله : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

وقوله : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤].

وقوله في القتل الخطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ إلى

---

(١) باختصار من كتاب «الهدى والبيان في أسماء القرآن» للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي (ص ٢١٢).

قوله: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٩٢].

وقوله : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠].

وقوله : ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحريم: ٢]وغيرها من الآيات.

٥- وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يحكم بين الناس بما أُنزل إليه من الأحكام الربانية، وأن يترك ما سواها من الآراء والأهواء ، قال تعالى : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة:٤٩].

ولم يكن هذا الأمر لمحمد ﷺ خاصة ، وإنما هو ما أمرت به جميع الرسل من قبله ، يبين هذا قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ [المائدة: ٤٤].

والمؤمنون يرضون بحكم الله، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور: ٥١].

أما من لم يرض بذلك وترك تشريع الحكيم العليم، وأخذ بآرائه وما يمليه عليه عقله من أفكار، أو اتبع أهواءه وما تشتهيه نفسه، فقد وقع في هاوية الكفر أو الظلم أو الفسق التي حكم الله بها عليه.

قال سبحانه : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

٦- الله سبحانه يؤتي حكمته من يشاء:

كما قال عن نفسه جل ثناؤه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تأويل قوله تعالى : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ فمنهم من قال : هي الإصابة في القول والفعل ، وقيل : هي الفقه في القرآن والفهم فيه . وقال بعضهم : هي الفهم والعقل في الدين والاتباع له . وقال آخرون : هي النبوة . وقيل هي : الخشية لله.

قال ابن جرير جامعًا بين الأقوال السابقة : «وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء، وأنها الإصابة بما دلّ على صحته، فأغنى عن تكريره في هذا الموضع.

فإذا كان ذلك كذلك معناه ، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك ، داخلاً فيما قلنا من ذلك ، لأن الإصابة في الأمور ، إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره، فهو[1] خاشيًا لله فقيهًا عالمًا، وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مُسدّدون مُفهمون ومُوفقون لإصابة الصواب في الأمور، والنبوة بعض معاني الحكمة.

---

(١) في الأصل «فهما». وما أثبتناه يقتضيه السياق.

فتأويل الكلام : يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرًا كثيرًا» اهـ[1].

٧- وقد جاء في الحديث ما يدل على أنه من أوتي الحكمة ينبغي أن يغبط لعظم هذه النعمة عليه وهو قوله ﷺ : «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[2].

وقد ذكر الله في كتابه بعض الذين آتاهم الحكمة وأكثرهم من الأنبياء .

فامتنّ على محمد ﷺ بذلك في قوله : ﴿**وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٣].

وعلى آل إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين : ﴿**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٥٤].

وعلى عيسى عليه السلام: ﴿**وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**﴾ [المائدة: ١١٠] .

وعلى داود عليه السلام: ﴿**وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**﴾ [البقرة: ٢٥١] .

وعلى لقمان العبد الصالح : ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾ [لقمان: ١٢].

والله سبحانه أعلم حيث يجعل حكمته .

٨- خلق الله سبحانه محكم لا خلل فيه ولا قصور. قال تعالى: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [النمل: ٨٨] .

---

(١) «جامع البيان» (٣/ ٦٠ -٦١) وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٢٢).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦) ومسلم (٨١٦) عن عبد الله بن مسعود.

وقال : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

أي : خلقهن طبقة بعد طبقة مستويات ليس فيها اختلاف ولا تنافر ولا نقص ولا عيب، ولهذا قال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي : انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبًا أو نقصًا أو خللاً أو فطورًا وشقوقًا، ثم قال تعالى : ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أيّ : مهما كررت البصر مرتين أو أكثر لرجع إليك البصر خاسئًا عن أن يرى عيبًا أو خللاً، وهو حسير أي :كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصًا[1].

قال الخطابي: ومعنى الإحكام لخلق الأشياء ، إنما ينصرف إلى اتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها، إذ ليس كلُ الخليقة موصوفًا بوثَاقَةِ البنيةِ، وشدةِ الأسر كالبقة، والنملة، وما أشبههما من ضعاف الخلق، إلا أن التدبير فيهما، والدلالة بهما على كون الصانع وإثباته، ليس بدون الدلالة عليه بخلق السماوات والأرض والجبال وسائر معاظم الخليقة، وكذلك هذا في قوله جل وعز : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، لم تقع الإشارة به إلى الحُسنِ الرائق في المنظر ، فإن هذا المعنى معدوم في القرد والخنزير والدب ، وأشكالها من الحيوان ، وإنما ينصرف المعنى فيه إلى حسن التدبير في إنشاء كل شيء من خلقه على ما أحبَّ أن يُنشئه عليه وإبرازه على الهيئة التي أراد أن يُهيئه عليها ، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] اهـ[2].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩٦).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٧٣ - ٧٤).

٩- إن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة عظيمة ، وغاية جليلة ، وهي عبادته تبارك وتعالى حيث قال : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

ولم يخلقهم عبثًا وباطلاً كما يظن الكفار والملاحدة، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

وقال عز من قائل : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦].

وجعل يوم القيامة موعدًا لهم، ويرجعون إليه ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

١٠- كراهة التكني بأبي الحكم:

فعن هانيء بن يزيد أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال : «**إن الله هو الحَكَم ، وإليه الحُكم ، فلم تكنى أبا الحكم ؟** » فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين . فقال رسول الله ﷺ : «**ما أحسن هذا . فما لك من الولد ؟**» قال : لي شريح ومسلم وعبد الله. قال: «**فمن أكبرهم ؟**» قلت : شريح . قال : «**فأنت أبو شريح**»(١).

(١) إسناده صحيح : أخرجه أبو داود (٤٩٥٥) والبيهقي عنه (١٠/ ١٤٥) والنسائي (٨/ ٢٢٦) عن يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده شريح عن أبيه هانئ به. وهذا إسناد =

فتغيير النبي ﷺ لكنية الصحابي دليل على كراهته التكني بهذا الاسم أو التسمي به.

قال ابن الأثير: وإنما كره له ذلك لئلا يشارك الله تعالي في صفته[1].

* * *

= حسن، يزيد بن المقدام صدوق، وبقية رجاله رجال مسلم.

وقد أخرج الحاكم (٤/ ٢٧٩) الحديث مختصرًا - دون ذكره سبب التسمية وقول النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم**» - عن قيس بن الربيع عن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده به.

قال الحاكم: تفرد به قيس بن الربيع وليس من شرط الكتاب. قلت: قيس بن الربيع صدوق تغير لما كبر أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به.

ملاحظة: وقع في إسناد النسائي حذف المقدام بن شريح، وقد عزاه الحافظ المزي في التحفة للنسائي دون حذف، فالظاهر أنه خطأ مطبعي.

(١) «النهاية» (١/ ٤١٩).

اللطيف
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٣٦)

*** المعنى اللغوي:**

يقال : لَطَفَ به وله، بالفتح، يَلْطفُ لُطْفًا، إذا رفق به ، واللُّطْفُ واللَّطَفُ : البرُّ والتَّكرِمَةُ والتَّحَفِّي ، وألطَفَه وألْطَفَهُ : أتحفَهُ ، والطَفَه بكذا أي برَّه به ، وهو لطيفٌ بالأمر أي رفيق ، وأم لطيفةٌ بولدها تلطفُ إلطافًا. فأما لَطُفَ ، بالضم ، يَلْطُفُ فمعناه صَغُرَ ودقَّ ، واللطيف من الكلام : ما غَمُض معناه وخفي.

واللطيف اسم الفاعل من لطف[١].

وروده في القرآن:

ورد هذا الاسم سبع مرات في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣][٢].

---

(١) «النهاية» (٤/ ٢٥١)، «اللسان» (٥/ ٤٠٣٦) وانظر «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٤٤) و«المفردات» (ص ٤٥٠).

(٢) استدلت المعتزلة ومن تابعها بهذه الآية على نفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وهو استدلالٌ باطل! فإن الآية نفت الإدراك وهو غير الرؤية التي أثبتها الله في قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، فهم ينظرون إلى ربهم ولكن لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم . انظر رد ابن جرير عليهم في تفسيره (٧/ ١٩٩ -٢٠٣) وابن كثير (٢/ ١٦٢).

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

وقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال قتادة: قوله ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن وجاء بأهله من البدو، ونزع من قلبه نزغ الشيطان، وتحريشه على إخوته[١].

قال ابن جرير: وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم[٢].

قال الخطابي: (اللطيف) هو البَرُّ بعباده، الذي يلطُفُ لهم من حيث لا يعلمون، ويُسبِّبُ لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

وحكى أبو عمر[٣] عن أبي العباس عن ابن الأعرابي[٤] قال:

(اللطيف): الذي يوصلُ إليك أَرَبَك في رفقٍ، ومن هذا قولهم: لطَفَ الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب في رفق.

ويقال: هو الذي لَطُفَ عن أن يدرك بالكيفية. وقد يكون اللطف

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٤٧) عنه بسند حسن.

(٢) «جامع البيان» (٢٩/ ٥).

(٣) هو المعروف بغلام ثعلب واسمه محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم الزاهد المطرز اللغوي (٢٦١ - ٣٤٥هـ) من أكابر أهل اللغة، وأحفظهم لها. انظر: «نزهة الألباء» (ص ٢٠٦).

(٤) ابن الأعرابي: هو محمد بن زياد (١٥٠ - ٢٣١ هـ) رواية ناسب علامة باللغة، لم ير أحدٌ في علم الشعر أغزر منه «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٢)، «الأعلام» (٦/ ١٣١).

بمعنى الرِّقةِ والغموض.

يكون بمعنى الصِّغر في نُعوتِ الأجسام ، وذلك مما لا يليقُ بصفاتِ الباري سبحانه[1].

قال الشوكاني رحمه الله في قوله :﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ : لا تخفى عليه خافية، بل يصل علمه إلى كل خفي[2].

قال ابن القيم رحمه الله في «النونية»:

وهو اللطيفُ بعبده ولعبده   واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة   واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزتَه ويُبدي لطفه   والعبد في الغفلات عن ذا الشأنِ

وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله : اللطيف : الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى الخبير، وبمعنى الرؤوف[3].

*** وعلى هذا يكون معنى (اللطيف) :**

١- إنه الذي لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ، أي : هو لطيف العلم.

٢- هو البر بعباده ، الذي يلطف ويرفق بهم من حيث لا يعلمون ، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

---

(١) «شأن الدعاء» (ص ٦٢)، وانظر: «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٤٤).

(٢) «فتح القدير» (٤/ ٢٣٩)، و«روح المعاني» (٢١/ ١٩).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٣٠١).

٣- هو الذي لَطُف عن أن يدرك بالكيفية. وعلى الأول والثالث يكون من أسماء الذات. وعلى الثاني يكون من أسماء الأفعال.

*** آثار الإيمان بهذا الاسم:**

١- إن الله سبحانه وتعالى لا يفوته من العلم شيء وإن دق وصغر، أوخفي وكان في مكان سحيق قال سبحانه: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: ٥٩].

وجاء في قوله تعالى عن لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ [لقمان: ١٦](١).

فالله لا يخفى عليه شيء، ولا الخردلة وهي الحبة الصغيرة التي لا وزن لها، فإنها ولو كانت في صخرةٍ في باطن الأرض، أو في السماوات فإن الله يستخرجها ويأت بها، لأنه اللطيف الخبير.

٢- وإذا علم العبد أن ربه متصفٌ بدقة العلم، وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، فإنه في كل وقتٍ وحين، بين يدي اللطيف الخبير: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

والله سبحانه يجازي الناس على أفعالهم يوم الدين، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، لا يفوته من أعمالهم شيء، فلا المحسن يضيع من

---

(١) قوله: ﴿**إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ**﴾ إشارة إلى الصغر، وقوله ﴿**فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ**﴾ إشارة إلى الحجاب، وقوله: ﴿**أَوْ فِي السَّمَوَاتِ**﴾ إشارة إلى البعد فإنها أبعد الأبعاد، ﴿**أَوْ فِي الأَرْضِ**﴾ إشارة إلى الظلمات فإن جوف الأرض أظلم الأماكن. انظر: «تفسير الرازي» (٢٥/ ١٤٨).

إحسانه مثقال ذرة، ولا المسيء يضيع من سيئاته مثقال ذرة.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

ثم هو بعد ذلك يزيد أجور الصالحين من فضله وكرمه ما يشاء، ويعفو ويتجاوز عن ذنوب من يشاء من عباده بلطفه وعفوه، ويعذِّب بالذنوب من يشاء من عباده بعدله، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً.

٤- الله لطيف بعباده، أي كثير اللطف بهم بالغ الرأفة لهم.

قال الحليمي[1] في معنى (اللطيف) وهو الذي يريد بعباده الخير واليسر، ويقيض لهم أسباب الصلاح والبر[2].

ومن لطفه بعباده أنه يسوق إليهم أرزاقهم، وما يحتاجونه في معاشهم.

قال القرطبي في تفسير الآية السابقة: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ..﴾ [لقمان: ١٦]: «وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى، وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه، لأن الخردلة يقال: إن الحِسَّ لا يدرك لها ثقلاً، إذ لا ترجح ميزانًا.

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله فقيه شافعي قاض، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر مولده بجرجان (٣٣٨هـ) ووفاته ببخاري (٤٠٣هـ)، له «المنهاج» في «شعب الإيمان» طُبع في دار الفكر - لبنان انظر: «الأعلام» (٢/ ٢٣٥).

(٢) «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٢٠٢).

أي : لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خَرْدَل في هذه المواضع ، جاء الله بها حتىٰ يسوقها إلىٰ من هي رزقه، أي : لا تهتم للرزق حتىٰ تشتغل به عن أداء الفرائض ، وعن اتباع سبيل من أناب إليّ» اهـ[1].

قال الغزالي: إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها، وما دق منها وما لطف، ثم يسلك في إيصالها إلىٰ المستحق سبيل الرفق دون العنف، فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في العلم تمَّ معنىٰ اللطف، ولا يتصور كحال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالىٰ.

فأما إحاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك ، بل الخفي مكشوف في علمه كالجلي، من غير فرق ، وأما رفقه في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل أيضًا تحت الحصر ، إذ لا يعرف اللطف في الفعل ، إلا من عرف تفاصيل أفعاله وعرف دقائق الرفق فيها ، وبقدر اتساع المعرفة فيها تتسعُ المعرفة بمعنىٰ اسم (اللطيف) ، وشرح ذلك يستدعي طويلاً ثم لا يتصورَّ أن يفي بِعُشْرِ عُشْرِهِ ، مجلدات كبيرة ، وإنما يمكن التنبيه علي بعض جُمَلِهِ.

فمن لطفه: خلقه الجنين في بطن الأم في ظلمات ثلاث وحفظه فيها وتغذيته بواسطة السرة، إلىٰ أن ينفصل، فيستقل بالتناول بالفم ، ثم إلهامه إياه عند الانفصال التقام الثدي وامتصاصه ولو في ظلام الليل ، من غير تعليم ومشاهدة . بل فلق البيضة عن الفرخ وقد ألهمه التقاط الحب في الحال.

ثم تأخير خلق السِن عن أول الخلقة، إلىٰ وقت الحاجة لاستغناء الإغذاء باللبن عن السن، ثم إنباته بعد ذلك عند الحاجة إلىٰ طحن

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٦٦).

الطعام، ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن، وإلى أنياب للكسر، وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع، ثم استعمال اللسان الذي الغرض الأظهر منه النطق في رد الطعام إلى المطحن كالمجرفة.

ولوذكر لطفه في تيسير لقمة يتناولها العبد من غير كلفةٍ يتجشمها وقد تعاون على إصلاحها خلق لا يحصى عددهم، من مصلح الأرض وزارعها وساقيها وحاصدها ومنقيها وطاحنها وعاجنها وخابزها إلى غير ذلك، لكان لا يستوفي شرحه[1].

* * *

(١) «المقصد السنى» (ص ٦٢ - ٦٣).

الخبير
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٣٧)

*** المعنى اللغوي:**

الخِبْرُ والخُبْرُ والخِبْرَةُ والخُبْرة والمَخْبَرَةُ والمخْبُرةُ كُلُّه: العلم بالشيء، يقال: من أين خَبَرتَ هذا الأمر، أي: من أين علمت؟ وقولُهم: لأخْبُرنّ خُبْركَ: أي لأعلمن علمك، والخبر واحد الأخبار.

والخابرُ: المختبرُ المُجرِّبُ، ورجل خابر وخبير: عالم بالخبر.

وخَبَرْتُ الأمرَ أخبُرُهُ إذا عَرفْتُه على حقيقته.

والمُخْبَر خلاف المنظر.

والخبير: العالم بالشيء.

وقال الكسائي: الخبير الذي يخبر الشيء بعلمه[1].

وأنكر أبو علي الفارسي[2] على أبي إسحاق الزّجاج قوله أن (الخبير)

---

(١) «اشتقاق أسماء» الله للزجاجي (ص ١٢٧)، «الصحاح» للجوهري (٢/ ٦٤١)، «النهاية»(٢/ ٦)، «اللسان» (٢/ ١٠٩٠).

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد الفارسي النحوي، ولد في «فسا» - من أعمال فارس - سنة (٢٨٨ هـ) ودخل بغداد سنة (٣٠٧ هـ) وتجوّل في كثير من البلدان، وقدم حلب سنة (٣٤١هـ) فأقام مدة عند سيف الدولة، وعاد إلى فارس فصحب ابن بويه وتقدم عنده فعلمه النحو وصنف له كتاب «الإيضاح» في قواعد العربية، قال الذهبي: وكان متهمًا بالاعتزال، لكنه صادقٌ في نفسه. «الميزان» (١/ ٤٨٠ - ٤٨١)، «نزهة الألباء» (ص ٢٣٢)، «الأعلام» (٢/ ١٧٩ - ١٨٠).

من قولهم : خَبَرتُ الأرضَ: إذا شققتها، وفلانٌ خبيرٌ بالشيء إذا كان عالمًا به، وكأنه هو الذي بحث عن ذلك الشيء حتى شقَّ عنه الأرض.

وقال: وهو عندنا من الخَبرِ الذي يُسمع لأن معنى الخبير العالم.

وقال: فالعلم أبدًا مع الخَبَر فما حاجةُ أبي إسحاق إلى أن يأخذه من الخَبْرِ والشَّقِّ[1]؟!

*** وروده في القرآن الكريم:**

ورد اسم (الخبير) في القرآن خمسًا وأربعين مرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

وقوله: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى:**

قال ابن جرير : في قوله : ﴿نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ : العليم بسرائر عباده وضمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم الذي لا يخفى عنه شيء[2].

وقال: خبير بكل ما يعلمونه ويكسبونه من حسن وسيء، حافظُ ذلك عليهم ليجازيهم على كل ذلك[3].

---

(١) انظر: «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٤٥).

(٢) «جامع البيان» (٢٨/ ١٠٣) وانظر أيضًا (٢/ ٣٢٠).

(٣) المصدر السابق (٧/ ١٥٨).

قال الخطابي : «هو العالِمُ بكُنْهِ الشيء ، المُطَّلعُ على حقيقتِه كقوله تعالى : ﴿فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٩].

يقال : فلانٌ بهـذا الأمرِ خبيرٌ ، وله به خَبْرٌ ، وهو أخبرُ به من فلان، أي : أعلم.

إلا أنَّ الخُبْرَ في صفة المخلوقين إنما يستعملُ في نوع العلم الذي يدخُلُه الاختبارُ ، ويُتوَصلُ إليه بالامتحان ، والاجتهاد ، دون النوع المعلوم ببدائه العقول.

وعلم الله سبحانه، سواءٌ فيما غَمضَ من الأشياء وفيما لَطُف ، وفيما تجلَّى به منه وظهر ، وإنما تختلف مدارك عُلُوم الآدميين الذين يَتَوصلون إليها بمقدِّماتٍ من حِسٍّ ، وبمعاناةٍ من نظرٍ وفكرٍ ، ولذلك قيل لهم: ليس الخَبَرُ كالمعاينة ، وتعالى الله عن هذه الصفات عُلواً كبيرًا» اهـ[1].

قال الغزالي : «(الخبير) : هو الذي لا تعزبُ عنه الأخبار الباطنة ، ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا يتحرك ذرة ولا يسكن، ولا يضطرب نَفَسٌ ولا يطمئن، إلا ويكون عنده خَبَرُه.

وهو بمعنى العليم، لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سُمي خِبْرةً، وسُمي صاحبها خبيرًا» اهـ[2].

وقال السعدي: «العليم الخبير» وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء» اهـ[3].

(١) «شأن الدعاء» (ص ٦٣).

(٢) «المقصد الأسنى» (ص ٦٣).

(٣) «تيسير الكريم» (٥/ ٢٩٩).

* آثار الإيمان بهذا الاسم:

١- إن الله هو الخبير، العالم ببواطن الأمور وخفياتها، عالم بما كان وما يكون، لا يفوته من العلم شيء وإن كان صغيرًا دقيقًا، وهذا لله وحده لا يشاركه فيه أحدٌ من خلقه.

٢- والله أخبر بنفسه، إذ لا أحد أعلم بالله من الله، قال سبحانه ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: اسأل عنه خبيرًا ـ و«الباء» هنا مكان «عن» ـ[1] وهو الله عز وجل[2].

وقيل: هو محمد ﷺ[3].

فيكون المعنى: فاسأل عنه خبيرًا، أي: عالمًا به، أي: .بصفاته وأسمائه. وقيل: هو جبريل عليه السلام[4].

٣- إن الله خبير عليم بأعمال عباده وأقوالهم، وما يجول في صدورهم من خير أو شر.

قال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ [الإسراء: ١٧].

وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ولذلك أمرنا سبحانه وتعالى أن نتقيه ونعمل بما يحب، وأن نبتعد عن كل ما يسخطه ويغضبه.

قال تعالى: محرضًا على التقوى والإحسان: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص ٥٦٨) و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٦٣) والشوكاني (٤/ ٨٤) وهو كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١].

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥/ ١٠٦) والشوكاني (٤/ ٨٤).

(٣) قاله ابن كثير (٣/ ٣٢٣).

(٤) ذكره البغوي (٥/ ١٠٦) ونقله الآلوسي (١٩/ ٣٩) عن ابن عباس.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وحض على طاعته وطاعة رسوله ﷺ فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣].

وأمر بالإيمان به وبرسوله وبكتابه فقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ١٣٥]، تحذير من معصيته، وهي عدم إقامة الشهادة بالحق وعبر عنه بقوله: ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾ أو كتمان الشهادة مع الحاجة إليها وعبر عنه بقوله: ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾، ثم جاء التحذير وهو قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ أي: فإن الله خبير بما تعملون، من عدم إقامتكم الشهادة وتحريفكم لها، وإعراضكم عنها بكتمانها، ويحفظ ذلك منكم عليكم حتى يجاريكم به يوم الجزاء، فاتقوا ربكم في ذلك.

٤- إن الله سبحانه خبيرٌ، قد أحاط بكل شيء خُبْرًا يخبر بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون.

فقد أخبر عن خلقه للسماوات والأرض في ستة أيام، واستوائه على عرشه فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٩].

وأخبر عن نفسه سبحانه أنه يعلمُ مفاتح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا هو، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وهذه الخمسة كلها غيبيةٌ مستقبلية.

وأخبر عما سيقع في يوم القيامة من الأهوال الكونية من انشقاق السماء وانفطارها، وارتجاف الأرض وزلزالها، ونسف الجبال وسيرها وتسجير البحار وانفجارها، وغير ذلك من الأهوال المنتظرة التي لم تقع.

وأخبر عن حال أهل الإيمان وما هم فيه من الاطمئنان والأمان من تلك الأهوال، ثم عن دخولهم الجنان بسلام.

وأخبر عن حال أهل الكفران، وما هم فيه عند قيامهم من تخبط الشيطان، لاتخاذهم إياه وليًا - في الدنيا - من دون الرحمن، واتباعهم لخطواته وتركهم لكلام الكريم المنان.

والله خبير بالطائفتين في ذلك اليوم المشهود، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩ - ١١].

ولا يخبر بهذه الأمور كلها إلا الله وحده العليم الخبير، كما قال سبحانه ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] أي: لا ينبئك أحد مثلي لأني عالم بالأشياء[١].

* * *

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ٣٠٠) وانظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥١).

الحليم
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٣٨)

* **المعنى اللغوي:**

الحِلْمُ بالكسر: الأناةُ والعَقْلُ، وجمعه أحْلامٌ وحُلُومٌ، وأحلامُ القومِ: حُلماؤُهُم، ورجل حليمٌ من قومٍ أحلامٍ وحُلَماء.

وحَلُمَ يَحْلُمُ حِلْمًا: صار حَليمًا، وحَلُمَ عنه وتحَلَّمَ سواءٌ، تَحلَّم تكلَّف الحِلم.

والحِلْمُ: نقيض السَّفَهِ.

أمّا الحُلْمُ والحُلُمُ فهو الرُّؤْيا والجمع أحْلامٌ يقال: حَلَمَ يحْلُمُ: إذا رأى في المنام[١].

وقال الراغب: الحِلْمُ ضَبطُ النفس والطبعِ عن هيجان الغضب وجمعه أحلامٌ. قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾ [الطور: ٣٢]، قيل معناه: عُقولُهُم وليس الحِلْمُ في الحقيقةِ هو العقلُ، لكن فسَّروه بذلك لِكونِهِ من مُسَبَّبَاتِ العقل[٢].

والحليم اسم الفاعل من حَلُمَ[٣].

---

(١) «الصحاح» (٥/١٩٠٣)، «اللسان» (٢/٩٧٩ - ٩٨٠).

(٢) «المفردات» (ص ١٢٩).

(٣) «إشتقاق أسماء الله» (ص ٩٦).

* وروده في القرآن الكريم:

ورد الاسم في القرآن إحدى عشرة مرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقوله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

* معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال ابن جرير: (حليم) يعني أنّه ذو أناة، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم[1].

وقال في موضع: حليمًا عمّن أشرك وكفر به من خلقه، في تركه تعجيل عذابه له[2].

قال الخطابي: هو ذو الصَّفحِ والأناةِ، الذي لا يَستفزُّهُ غضبٌ، ولا يَستَخِفُّهُ جهلُ جاهلٍ، ولا عصيانُ عاصٍ.

ولا يستحقُّ الصافحُ مع العجزِ اسم الحِلْمِ، إنّما الحليمُ هو الصَّفُوحُ مع القدرة والمتأنّي الذي لا يَعجَلُ بالعقوبة.

وقد أنعمَ بعض الشعراءِ بيانَ هذا المعنى في قوله:

لا يدركُ المجدَ أقوامٌ وإنْ كَرُمُوا حتى يَذِلُّوا وإنْ عَزُّوا لأقوامِ

(١) «جامع البيان» (٢/ ٣٢٧).

(٢) «جامع البيان» (٢٢/ ٩٥).

ويُشتَموا فترى الألوان مُسفرةً   لا صَفحَ ذُلٍّ ولكن صفحَ أحْلامِ[1]

قال ابن الحصّار[2]: فإن قيل: فكيف يتضمّن الحلم الأناة، وقد قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يُحبُّهما الله: الحِلم والأناة**»[3] فعدَّدهما؟ فاعلم أنّ الأناةِ، قد تكون مع عدم الحلم، ولايصحّ الحلمُ أبدًا إلا مع الأناةِ، والأنـاةُ تـرك العجلـةِ، فقد تكـون لعارضٍ يعرض، ولايكونَ الحِلمُ أبدًا إلا مُشتملاً علىٰ الأناة، فتأمّله!

وكذلك لا يكون الحليم إلا حكيمًا، واضعًا للأمور مواضعها، عالمًا قادرًا، إن لم يكن قادرًا كان حلمه متلبّسًا بالعجز والوهن والضعف، وإن لم يكن عالمًا [كان] تركه الانتقام للجهل، وإن لم يكن حكيمًا ربَّما كان حلمه من السَّفه وتتبع أمثال هذا..[4].

وقال الأصبهاني: (حليمٌ) عمَّن عصاه، لأنه لو أرادَ أخذه في وقته أخَذَه فهو يحلم عنه ويؤخره إلىٰ أجله.

وهذا الاسم - وإن كان مشتركًا يوصف به المخلوق - فحلم المخلوقين حِلْمٌ لم يكن في الصِّغر ثم كان في الكبر.

---

(١) «شأن الدعاء» (ص ٦٣ - ٦٤)، وانظر: «النهاية» (١٠/ ٤٣٣ - ٤٣٤).

(٢) هو عليّ بن محمد الخزرجي أبو الحسن، الحصار، فقيه إشبيلي الأصل، منشأه بفاس، سمع بها وبمصر وغيرهما وجاور بمكّة وتوفي بالمدينة سنة (٦١١ هـ)، له كتب في أصول الفقه، وكتاب «الناسخ والمنسوخ» سمعه منه الحافظ المنذري، و«البيان في تنقيح البرهان» و«عقيدة» في أصول الدين وشرحها في أربعة مجلدات وغيرها. «التكملة لوفيات النقلة» (٢/ ٣٠٩)، «الأعلام» (٤/ ٣٣٠ - ٣٣١).

(٣) رواه مسلم (١/ ١٨)

(٤) «الكتاب الأسنىٰ» للقرطبي (ورقة ٢٦٤ ب).

وقد يتغير بالمرض والغضب والأسباب الحادثة ، ويفنى حلمُه بفنائه، وحلم الله عز وجل لم يزل ولا يزول.

والمخلوق يحْلُم عن شيءٍ ولا يحلُم عن غيره ، ويحلم عمن لا يقدر عليه، والله تعالى حليمٌ مع القدرة[1].

قال ابن كثير: (حليم غفور) : أن يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخِّر ويُنْظِر ويُؤجّل ولا يَعجل، ويستر آخرين ويغفر[2].

قال ابن القيم في نونيته:

وهو الحليم فَلا يُعاجل عَبده   بعقوبةٍ ليتوبَ من عصيانِ[3]

وقال السعدي: (الحليم) : الذي يَدُرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة ، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم ، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم ويستعتبهم كي يتوبوا ، ويُمهلهم كي يُنيبوا[4].

*** آثار الإيمان بهذ الاسم:**

١- إثبات صفة (الحلم) لله عزّ وجلّ، وهو الصفح عن العصاة من العباد، وتأجيل عقوبتهم رجاء توبتهم عن معاصيهم.

٢- وحلم الله سبحانه عن عباده، وتركه المعاجلة لهم بالعقوبة، من صفات كماله سبحانه وتعالى. فحلمه ليس لعجزه عنهم، وإنّما هو صفح وعفو عنهم، أو إمهال لهم مع القدرة، فإنَّ الله لا يعجزه شيء.

(١) «الحجة في المحجة» (ق ٢١أ).

(٢) «التفسير» (٣/ ٥٦١) وانظر (١/ ٣١٨)، و«الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٨).

(٣) «النونية» بشرح أحمد بن إبراهيم بن عيسى (٢/ ٢٢٧).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٣٠٤).

قال سبحانه: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وحلمه أيضًا ليس عن عدم علمه بما يعمل عباده من أعمال، بل هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة العين وما تخفي الصدور.

قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

وحلمه عن خلقه ليس لحاجته إليهم، إذ هو سبحانه يحلم عنهم ويصفح ويغفر مع استغنائه عنهم، قال سبحانه: ﴿اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

٣- حِلْمُ الله عظيم، يتجلى في صبره سبحانه على خلقه، والصبر داخل تحت الحلم، إذ كل حليم صابر، وقد جاء في السنّة وصف الله عزّ وجلّ بالصبر، كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس أحدٌ - أو ليس شيءٌ - أصبر على أذىً سَمِعهُ من الله، إنّهم لَيَدْعون له ولداً وإنّه ليعافيهم ويرزُقهم»[1].

قال الحليمي في معنى (الحليم): الذي لا يحبس أنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقيه وهو منهمك في معاصيه، كما يُبقي البّر التقي، وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره، فضلاً عن أن يدعوه، كما يقيها الناسك الذي يسأله وربّما شغلته العبادة عن المسألة[2].

وقد أخبر تعالى عن تأخيره لعقاب من أذنب من عباده في الدنيا،

(١) رواه البخاري (١٠/ ٦٠٩٩)، (١٣/ ٧٣٧٨).

(٢) «المنهاج في شعبة الإيمان» (١/ ٢٠٠ -٢٠١) وانظر: «الأسماء للبيهقي(ص ٧٢ - ٧٣).

وأنَّه لو كان يؤاخذهم بذنوبهم أولاً بأوّل، لما بقي على ظهر الأرض أحد.

قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

قال ابن جرير: «ولويؤاخذ الله عصاة بني آدم بمعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ يعني: الأرض من دابةٍ تدبّ عليها ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يقول: ولكن بحلمه يؤخِّر هؤلاء الظلمة، فلا يعاجلهم بالعقوبة، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: إلى وقتهم الذي وقَّتَ لهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ يقول: فإذا جاء الوقت الذي وَقَّتَ لهلاكهم لا يستأخرون عن الهلاك ساعة فيمهلون ولا يستقدمون قبله حتى يستوفوا آجالهم» اهـ[1].

فتأخير العذاب عنهم إنّما هو رحمة بهم.

ولكنَّ النَّاس يغترون بالإمهال، فلا تستشعر قلوبهم رحمة الله وحكمته، حتّى يأخذهم سبحانه بعدله وقوته، عندما يأتي أجلهم الذي ضرب لهم.

ومن العجب! أن يريد الله للنَّاس الرحمة والإمهال، ويرفض الجهَّال منهم والأجلاف تلك الرحمة وذلك الإمهال، حين يسألون الله أن يعجِّل لهم العذاب والنقمة!

---

(١) «جامع البيان» (١٤/ ٨٥).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

وقال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

وقال عن كفَّار مكّة: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وأمثال ذلك ممّا وقع من المسرفين السُّفهاء.

تنبيه: تأخير العذاب عن الكفَّار إنّما هو في الدنيا فقط، وأمّا في الآخرة فلا يخفَّف عنهم العذاب ولا هم ينظرون.

فقال الأُقليشي[1]: «أما تأخير العقوبة في الدنيا عن الكفرة والفجرة من أهل العصيان، فشاهد بالعيان، لأنَّا نراهم يكفرون ويَعْصُونَ، وهم مَعافُون في نعم الله يتقلبون.

وأما رفع العقوبة في الأخرى، فلا يكون مرفوعًا إلا عن بعض من استوجبها من عُصاةِ الموحدين.

وأما الكفار فلا مَدْخَلَ لهم في هذا القسم، ولا لهم في الآخرة حظٌ من هذا الاسم، وهذا معروفٌ بقواطع الآثار، ومُجمعٌ عليه عند أولي الاستبصار» اهـ[2].

٤- يجوز إطلاق صفة الحِلم على الخلق، فقد وصف الله عز وجل

---

(١) هو أحمد بن قاسم بن عيسى اللخمي الأقليشي الأندلسي، أبو العباس، عالم بالقراءات، ولد سنة (٣٦٣هـ)، سكن قرطبة، ورحل إلى الشرق، واستقرَّ وتوفي بطليطلة، له كتاب في «معاني القراءات» لعله المسمى «تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني» مخطوط في الأزهرية وهو تفسير للفاتحة توفي سنة (٤١٠هـ)، نسبته إلى أقليش بالأندلس. «الأعلام» (١/ ١٩٧).

(٢) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٢٦٥ ب).

أنبياءه بذلك ، قال عز من قائل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقال : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥]. وقال حكاية عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧] وقال ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١] يعني بذلك إسحاق عليه السلام.

والحلم من الخصال العظيمة التي يريد الله من عباده أن يتخلقوا بها، وهي خصلةٌ يحبها الله ورسوله كما مرَّ آنفًا في حديث أشج عبد القيس.

قال القرطبي رحمه الله: «فمن الواجب على من عرَفَ أن ربَّه حليم على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره، فذاك به أولى حتى يكون حليمًا فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه ويرفع الانتقام عن من أساء إليه، بل يتعود الصفح حتى يعودَ الحِلم له سجيَّة.

وكما تحب أن يحلُمَ عنك مالكك، فاحلم أنت عمن تملك لأنك متعبدٌ بالحلم مثابٌ عليه قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣]»[1].

* * *

(١) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٢٦٥ ب - ٢٦٦ أ).

العظيم
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٣٩)

*** المعنى اللغوي :**

العِظَمُ: خلاف الصغر ، عَظُمَ يَعظُمُ عِظَمًا وعَظامَةً كَبُرَ ، وهو عَظيمٌ وعُظامٌ .

وعَظَّمَ الأمر : كبَّره ، وأعظمه ، واستعظمه : رآه عظيمًا ، فهو مُعْظَمٌ .

والتَّعظيم : التبجيل ، والعظمة : الكبرياء .

والتَّعظُّمُ في النفس : هو الكِبْرُ والزَّهْوُ والنَّخْوَةُ ، والعَظَمة والعَظَموت : الكِبْرُ[1].

*** وروده في القرآن الكريم :**

ورد هذا الاسم تسع مرات منها :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقوله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦].

وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٩٦] .

(١) «الصحاح» (١٩٨٧/٥) ، «اللسان» (٣٠٠٤/٤ - ٣٠٠٥).

*** معنى الاسم في حق الله تعالى:**

قال ابن جرير : «اختلفوا في معنى قوله (العظيم) :

فقال بعضهم : معنى العظيم في هذا الموضع المعظم، صرف المفعل إلى فعيل، كما يقال: العتيق بمعنى المعتق.

فقوله العظيم معناه: الذي يُعظِّمه خلقه ويهابونه ويتقونه.

وقال آخرون: بل تأويل قوله (العظيم) : هو أن له عظمة هي له صفة، وقالوا: لا نصف عظمته بكيفية، ولكنَّا نضيف ذلك إليه من جهة الإثبات، وننفي عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العظيم المعروف من العباد، لأن ذلك تشبيهٌ له بخلقه وليس كذلك.

وأنكر هؤلاء ما قاله أهل المقالة التي قدمنا ذكرها.

وقالوا: لو كان معنى ذلك أنه مُعظمٌ، لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق، وأن يبطل ذلك عند فناء الخلق، لأنه لا معظم له في هذه الأحوال.

وقال آخرون : بل قوله إنه (العظيم) وصف منه نفسه بالعظم.

وقالوا : كل ما دونه من خلقه فبمعنى الصغر ، لصغرهم عن عظمته» اهـ[1] .

وقال الزجاجي : «(العظيم) : ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه عز وجل، كذلك تعرفه العرب في خطبها ومحاوراتها ، يقول قائلهم : من عظيم بني فلان اليوم؟ أي : من له العظمة والرئاسة منهم ؟ فيقال له: فلانٌ عظيمهم ، ويقولون : هؤلاء عظماءِ القوم أي : رؤساءهم ،

---

(١) «جامع البيان» (٣/ ٩) باختصار وتصرف يسير.

وذوو الجلالة والرئاسة منهم.

وقالوا في قوله عز وجل: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

تأويله: هلا أنزل هذا القرآن علي رجل من رجلين عظيمين من القريتين؟ أي: كان سبيله أن ينزل على عظيم رئيس، ولم يريدوا به عظم الخلقة» اهـ[١].

وقال الأصبهاني: العَظَمَةُ صفةٌ من صفات الله، لا يقوم لها خَلْقٌ، والله تعالى خَلَقَ بين الخلقِ عظمةً يُعَظِّمُ بها بعضُهم بعضًا، فمن الناس من يُعظم لمال، ومنهم من يُعظم لفضل، ومنهم مَنْ يُعظم لعلمٍ، ومنهم من يُعظم لسلطانٍ، ومنهم من يُعظم لجاهٍ.

وكلٌّ واحدٍ من الخَلْق إنما يُعَظَّم بمعنى دون معنى، والله عز وجل يُعظم في الأحوال كلها.

فينبغي لمن عَرَف حقَّ عظمةِ الله، أن لا يتكلم بكلمةٍ يكرهها الله، ولا يرتكب معصيةً لا يرضاها الله، إذْ هو القائمُ على كل نفسٍ بما كسبت[٢].

وقال ابن الأثير: هو الذي جاوز قَدْرُه عز وجلَّ حدود العقول، حتى لا تَتَصور الإحاطة بكنهه وحقيقته[٣].

---

(١) «اشتقاق أسماء الله» (ص ١١١ - ١١٢)، واختاره الزجاج في «تفسير أسماء الله» (ص ٤٦)، والخطابي في «شأن الدعاء» (ص ٦٤ - ٦٥)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٧٩)، وانظر آثار الإيمان بهذا الاسم رقم (١).

(٢) «الحجة في المحجة» (ق/ ١٥ب - ١٦أ).

(٣) «النهاية» (٣/ ٢٥٩- ٢٦٠) باختصار، وانظر: «المقصد الأسنى» (ص ٦٤).

* آثار الإيمان بهذا الاسم:

١- إن الله سبحانه، هو العظيمُ المطلق، فهو عظيمٌ في ذاته، عظيم في أسمائه كلها، عظيم في صفاته كلها، فهو عظيم في سمعه وبصره، عظيم في قدرته وقوته، عظيم في علمه..، فلا يجوز قصر عظمته في شيء دون شيء، لأن ذلك تَحكُّمٌ لم يأذن به الله.

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته مقررًا ذلك:

وهو العظيمُ بكلِّ معنىً يُوجبُ التَّعظيمَ لا يُحصِيه من إنسانِ[1]

فمن عظمته في علمه وقدرته أنه لا يشق عليه أن يحفظ السماوات السبع والأرضين السبع، ومن فيهما كما قال: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- الفرق بين عظمة الخالق والمخلوق:

أن المخلوق قد يكون عظيمًا في حال دون حال، وفي زمان دون زمان، فقد يكون عظيمًا في شبابه، ولا يكون كذلك عند شيبه، وقد يكون ملكًا أو غنيًا معظمًا في قومه، فيذهب ملكه وغناه أو يفارق قومه وتذهب عظمته معها، لكن الله سبحانه هو العظيم أبدًا.

قال الحليمي في (العظيم): ومعناه الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق، لأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم، الذي لا يقدرون على مقاومته ومخالفة أموره، إلا أنه وإن كان كذلك، فقد يلحقه العجز بآفات تدخل عليه فيما بيده فتوهنه وتضعفه، حتى يستطاع مقاومته، بل قهره وإبطاله، والله جل ثناؤه قادر لا يعجزه شيء، ولا يمكن أن يُعصى

(١) «النونية» بشرح أحمد بن إبراهيم بن عيسى (٢/ ٢١٤).

كرهًا، أو يُخالف أمره قهرًا . فهو العظيم إذًا حقًا وصدقًا ، وكان الاسم لمن دونه مجازًا اهـ[1].

٣- على المسلم أنْ يعظِّم الله حق تعظيمه، ويقدره حق قدره، وإن كان هذا لا يُستقصى، إلا أن على المسلم أن يبذل قصارىٰ ما يملك لكي يصل إليه.

وتعظيم الله سبحانه وتعالى أولاً ، إنما هو بوصفه بما يليق به من الأوصاف والنعوت التي وصف بها نفسه ، والإيمان بها وإثباتها له ، دون تشبيهها بخلقه ، ولا تعطيلها عمّا تضمنته من معاني عظيمة.

فمن شبَّه ومثَّل، أو عطَّل وأوَّل، فما عظَّم الله حق تعظيمه.

ومن تعظيمه جلَّ وعلا، الإكثار من ذكره في كل وقت وحين، والبدء باسمه في جميع الأمور، وحمده والثناء عليه بما هو أهل له، وتهليله وتكبيره.

ومن تعظيم الله سبحانه، أن يطاع رسول ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، فمن أطاع الرسول فقد أطاع المرسل ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ومن عصاه فقد عصى الله.

ومن تعظيم الله سبحانه أن يعظم رسوله ويوقَّر، قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩][2].

---

(١) «المنهاج» (١/ ١٩٥).

(٢) معنى «تعزروه» : أي : تعظموه ، انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٨٥)، ومما يدخل في ذلك، تعظيم علماء المسلمين، أهل السنة والاتباع، وتوقيرهم وحبهم والدفاع عنهم، =

وأن لا يقدم على كلامه كلام أحد مهما كانت مكانته قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحجرات: ١].

ومن تعظيم الله سبحانه أن يصدق كتابه ، لأنه كلامه ، وأن يحكم في الأرض لأنه شرعه الذي ارتضاه للناس أجمعين . فمن لم يفعل فما عظَّم الله حق تعظيمه ، بل التحق بأشباهه من اليهود الذين اتَّخذوا كتاب الله وراءهم ظهريًا واتبعوا شياطين الإنس والجن.

ومن تعظيم الله سبحانه ، أن تعظَّم شعائر دينه كالصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة وغيرها.

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

ومن تعظيم الله سبحانه أن تجتنب نواهيه ومحارمه التي حرمها في كتابه، أو حرمها رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠] و من أعظم ما حرمه الله الشرك بأنواعه. ومقابل هذا أن يعمل المسلم بأوامره التي أمر بها ، والتي من أعظمها توحيده وإفراده بالعباده وحده لا شريك له .

٤- ليس أضل من ذلك الإنسان الذي أبى أن يعبد الله وحده، وأصرَّ على أن يشرك به ما لا يملك له رزقًا، ولا يملك له نفعًا ولا ضرًا، من أوثان وأحجار وأشجار، أو قبور وأضرحة، قد صار أصحابها عظامًا نخرة، فكيف تقضي لهم حاجة؟ أو تشفي لهم مريضًا؟ أو ترد لهم غائبًا؟ لكنه العمى والضلال البعيد، وهم في الآخرة في العذاب الشديد ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا

= وذكر مآثرهم الحسنة، وعلمهم وجهادهم ، وعلى رأسهم أصحاب نبينا ﷺ.

فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٣] ، فلما لم يعظمه حق التعظيم، عُذِّب العذاب العظيم .

وهذا في المشركين الذين أقروا بخالقهم وخالق السماوات والأرض، وأنه مُنزِّل المطر ومُحي الأرض بعد موتها ، فما بالك بأولئك الشيوعيين الأنجاس ، الذين أبت نفوسهم العفنة أن تقرَّ بخالقها ورازقها ومدبِّر أمرها ، والذين يُسمون أنفسهم بـ «اليساريين» وما أصدق هذه التسمية عليهم ، فهم أهل اليسار حقًا في الآخرة ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤] .

٤- أمر النبي ﷺ أن يُسبح بهذا الاسم في الركوع فقال : «.. **ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا ، فأمَّا الركوع فَعظِّموا فيه الرَّبَّ عزَّ وجلَّ ، وأمَّا السجودُ فاجتهدوا في الدُّعاء ، فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم**»[1].

* * *

---

(١) رواه مسلم (١/ ٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الشَّكُور - الشَّاكر
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٤٠ ، ٤١)

* **المعنى اللغوي:**

الشُّكْرُ : عرفان الإحسان ونشره وهو الشُّكُورُ أيضًا . . وقيل : الشكر الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف ، يقال : شكرتُه وشكرت له وباللام أفصح[١]. ورجلٌ شكورٌ : كثير الشكر كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ [الإسراء: ٣] ، وهو من أبنية المبالغة ، يقال : شكر له يشكُرُ شُكْرًا وشُكُورًا وشُكْرانًا .

والشكران: خلاف الكفران .

وأشكر الضرع واشتكر : امتلأ لبنًا، والشَّكِرَة : الممتلئة الضرع من النوق . والشَّكِيرُ : ما ينبت في أصل الشجرة من الورق وليس بالكبار .

والشكور من الدَّواب: ما يكفيه العلفُ القليل، وقيل: الذي يسمن على قلةِ العلف، كأنه يشكُر وإن كان ذلك الإحسان قليلاً، وشكره ظهور نمائه، وظهور العلف فيه[٢].

كما في حديث مسلم : «**حتى إن الدواب لتشكرَ من لحومهم**».

وقال الزّجّاج: «(الشكور) : هو فعول من الشّكر ، وأصل الشكر

---

(١) واختاره الزجاجي في «الاشتقاق» (ص ٨٧).

(٢) «الصحاح» (٢/ ٧٠٢) «النهاية» (٢/ ٤٩٣) «اللسان» (٤/ ٢٣٠٥).

في الكلام: الظهور، وفيه يقال: شَكير النبت، وشَكِرالضرَّع إذا امتلأ وامتلاؤه: ظهور، ويقال دابة شكورٌ، وهو السريع السِّمنِ، فسرعة سَمنه ظهور أثر صاحبه عليه» اهـ[1].

فيكون أصل الشكر في اللغة هو الزيادة والظهور.

*** الفرق بين الشكر والحمد:**

الشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعمُّ منه ، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه ، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته .

قال ثعلب : الشكر لا يكون إلا عن يدٍ ، والحمد يكون عن يدٍ ، وعن غير يدٍ، فهذا الفرق بينهما[2].

وقال القرطبي : وتكلم الناس في الحمد والشكر هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين ؟ فذهب الطبري والمبرد إلى أنهما بمعنى واحد سواء، وهذا غير مرضي، والصحيح : أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان ، وهذا قول علماء اللغة ، الزجاج والقتبي وغيرهما» اهـ[3].

وقال ابن القيم : والفرق بينهما : أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب.

ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان

---

(١) «تفسير الأسماء» (ص ٤٧).

(٢) «اللسان» (٤/ ٢٣٠٥).

(٣) الكتاب الأسنى (ورقة ٣٤١)، والقتبي : هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وانظر كلامه في الفرق بين الحمد والشكر في كتابه «أدب الكاتب» (ص ٣٧) طبعة ليدن.

ثناءً واعترافًا ، وبالجوارح طاعة وانقيادًا ، ومتعلقه : النعم دون الأوصاف الذاتية ، فلا يقال : شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه ، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله ، والشكر يكون على الإحسان والنعم .

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس ، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس ، فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد يقع بالقلب واللسان» اهـ[1] .

*** ورود الاسمين في القرآن الكريم :**

ورد (الشكور) في القرآن أربع مرات وهي :

قوله تعالى : ﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٣٠] .

وقوله : ﴿**إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٣٤] .

وقوله : ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [الشورى: ٢٣] .

وقوله : ﴿**إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [التغابن: ١٧] .

وأما (الشاكر) فقد ورد مرتين :

في قوله تعالى : ﴿**وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٥٨] .

وقوله : ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾ [النساء: ١٤٧] .

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٦).

* معنى الاسمين في حق الله تعالى :

قال قتادة : ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠] ، إنه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم[1].

وقال : إن الله غفور للذنوب ، شكور للحسنات يضاعفها[2].

قال الخطابي : «(الشكور) : هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فَيُثِيبُ عليه الكثير من الثواب ، ويعطي الجزيلَ من النعمة ، فيرضى باليسير من الشكر كقوله سبحانه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومعنى الشكر المضافِ إليه : الرضى بيسير الطاعة من العبد والقبولُ له ، وإعظام الثواب عليه، والله أعلم . وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله عز وجل بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة ، قَلَّتْ أو كثُرت ، لئلا يستقلُّوا القليل من العمل فلا يتركوا اليسير من جملته إذا أعوزهم الكثير منه اهـ[3].

قال الزجاجي: « فإن قال قائل: فإذا كان الشكر منه عزّ وجلّ إنما هو مجازاة العاملين ومقابلة الأفعال بالثواب والجزاء، فقولوا إنه يشكر أيضًا أفعال الكفار لأنه يجازيهم عليها.

قيل له: ذلك غير جائز، لأنا قد قلنا: إن الشكر في اللغة إنما هو: مقابلة المنعم على فعله بالثناء والاعتراف بفعله، ولما كان المسيء من العباد لا يقال له منعم، ولم يستحق بذلك شكرًا، بل استحقّ الذم والسبَّ، لم يجز أن يكون الكفار محسنين في أفعالهم فيستحق الجزاء

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٨٧، ٩٢) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٥/ ١٨) بالإسناد السابق.

(٣) «شأن الدعاء» (ص٦٥ - ٦٦).

عليها والمقابلة بالجميل ، بل كانوا مسيئين ، والمسيء مستحق للعقوبة والسبِّ ، فلم يجز أن يُسمى الفعل المقابل لفعالهم شكرًا» اهـ[1].

وقال البيهقي : «هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويعطي عليه الكثير من المثوبة.

وشكره : قد يكون بمعنى ثنائه على عبده، فيرجع معناه إلى صفة الكلام، التي هي صفة قائمة بذاته» اهـ[2].

فالرب سبحانه وتعالى إذا أثنى على عبده فقد شكره.

وفي «المقصد» : «الرب تعالى إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه، لأن أعمالهم من خلقه، فإن كان الذي أعطي فأثنى (شكور)، فالذي أعطى، وأثنى على المعطي فهو أحق بأن يكون شكورًا.

فثناء الله تعالى على عباده كقوله : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وكقوله: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠، ٤٤] وما يجري مجراه، وكل ذلك عطية منه» اهـ[3].

وقال ابن القيم في «النونية» :

وهو الشكور فلن يُضيِّع سعيهم ... لكن يضاعفه بلا حسبانِ

ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبٌ ... هو أوجبَ الأجرَ العظيمَ الشانِ

كلا ولا عملٌ لديه ضائعٌ ... إن كان بالإخلاصِ والإحسان

إن عُذبوا فبعدلِه أو نُعموا ... فَبفَضله والحمدُ للمنانِ[4]

---

(١) «اشتقاق الأسماء» (ص ٨٧).

(٢) «الاعتقاد» (ص ٥٩).

(٣) «المقصد الأسنى» (ص ٦٥) وانظر : «شرح الأسماء» للرازي (ص ٢٥٥).

(٤) «النونية» بشرح أحمد بن إبراهيم (٢/ ٢٣٠).

قال السعدي : (الشاكر، الشكور) : الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل ، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب ، ويشكر الشاكرين ، ويذكر من ذكره ، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة تقرب الله منه أكثر[1].

*** آثار الإيمان بهذين الاسمين:**

١- إن الله سبحانه هو الشكور والشاكر على الإطلاق ، الذي يقبل القليل من العمل ويعطي الكثير من الثواب مقابل هذا العمل القليل .

ولذلك نهينا أن نستصغر شيئًا من أعمال البر ، ولو كان شيئًا يسيراً ، فقد قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه : «**لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق**»[2].

وحثّ على عمل الصالحات ، صغيرها وكبيرها فإن الله لا يُضيع شيئًا ، فقال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة**»[3].

وحثّ الناس على الصدقة - عند قدوم قوم من مضر أصابتهم الفاقة والفقر - فقال : «**تَصَدَّقَ رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمرة**»[4].

وبيَّن تعالى أنه يضاعف الأعمال الصالحة أضعافًا كثيرة بقدر ما يشاء، وذلك فضله يؤتيه من يشاء. قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ**

(١) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠٤).

(٢) رواه مسلم(٤/ ٢٦٢٦).

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٨١، ٢٨٣) (٦/ ٦١١) وغيرها ومسلم (٢، ٣ ٧٠) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٢/ ١٠١٧) عن جرير بن عبد الله البجلي.

يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال سبحانه: **﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾** [النساء: ٤٠].

وقال: **﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾** [الشورى: ٢٣].

وقال: **﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾** [الحديد: ١١]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدَّق بعَدْل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يُرَبِّيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل**»(١). أي: يربيها له كما يربي أحدكم مهره.

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجلٌ بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: «**لكَ بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**»(٢).

ومن عظيم شكره سبحانه لعباده وفضله وكرمه عليهم، أنه يضاعف لهم الحسنات فقط، أما السيئات فإنها تكتب كما هي ولا تتضاعف قال تعالى: **﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾** [الأنعام: ١٦٠].

وقال: **﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾** [غافر: ٤٠].

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٢٧٨)، (١٣/ ٤١٥) ومسلم (٢/ ٧٠٢) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٠٥) و«الخطام»: هو الحبل الذي تقاد به الناقة.

٢- ومما يجب معرفته أن ما يُقدمه المسلم في تقربه إلى الله سبحانه، من صلاة وصيام وحج وصدقة وجهاد ، وغيرها من أعمال البر المحدودة بالأعمار القصيرة ، والتي يتخللها التقصير والسهو والنسيان ، لا يمكن بحال أن تكون ثمنًا للجنة السرمدية ، بما فيها من مباهج وزخارف ولذَّات ، أو أن تنقذه من جحيم النار ولهيبها . فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : **«سدِّدُوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لن يُدخِلَ الجنة أحداً عَمَلُهُ»** قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : **«ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة..»** [(١)].

وفي رواية **«لا يُدْخِلُ أحدًا منكم عملُهُ الجنةَ، ولا يُجيرهُ من النار، ولا أنا إلا برحمةٍ من الله»**[(٢)].

فدخول العبد الجنة وفوزه بها، ونجاته من النار إنما هو بفضل الله ورحمته.

٣- إن الله سبحانه شكره واجب على كل مكلف، كما قال تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ** ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال: ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [النحل: ١١٤].

وقال: ﴿ **كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ** ﴾ [سبأ: ١٥].

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٩٤) ومسلم (٤/ ٢١٧١) عن عائشة.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢١٧١) عن جابر رضي الله عنه.

قال القرطبي : «إن للشكر ثلاثة أركان:

١- الإقرار بالنعمة للمنعم.

٢- والاستعانة بها على طاعته.

٣- وشكر من أجرى النعمة على يده تسخيراً منه إليه.

وهذا الركن الثالث ، لم أره لأحدٍ ممن تكلم على الشكر ـ فيما أعلم والله أعلم ـ فله الحمد على ما ألهم وفهَّم وعلَّم» اهـ[1].

وزاد عليها المحقق ابن القيم فقال: «والشكر مبني على خمس قواعد:

خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة.

وكل من تكلم في الشكر وحَدِّه، فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور»[2].

قلت: أما الإقرار بها ومعرفتها وذكرها على الدوام والتحدث بها، فقد أمر الله تعالى به عباده في غير ما آية:

فقال سبحانه: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢].

وقال: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**

(١) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٣٤٣).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٤).

﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [فاطر: ٣].

وقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

وفي «المدارج»: قال صاحب المنازل: الشكر اسم لمعرفة النعمة، لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ولهذا سمى الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن: شكرًا.

قال ابن القيم: فمعرفة النعمة ركن من أركان الشكر، لا أنها جملة الشكر، كما تقدم. لكن لما كان معرفتها ركن الشكر الأعظم، الذي يستحيل وجود الشكر بدونه، فجعل أحدهما اسمًا للآخر[1].

وقد جاء في الحديث ما يبين عظمة تذكر النعمة والاعتراف بها وهو قوله ﷺ: **«سيّدُ الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خَلقتَني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أَبُوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأَبُوءُ لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار مُوقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»**[2].

قال الطيبي: «اعترف أولاً بأنه أنعم عليه، ولم يقيده لأنه يشمل أنواع الإنعام، ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها، ثم بالغ فعدَّه ذنبًا

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٢٤٧).

(٢) رواه البخاري (١١/٩٧ - ٩٨، ١٣٠) عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه، وفي قوله: **«ما استطعت»**: إعلامٌ لأمته أن أحدًا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله، ولا الوفاء بكمال الطاعات، والشكر على النعم، فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم «الفتح» (١١/ ١٠٠).

في التقصير وهضم النفس» اهـ[1].

ويكرر ﷺ الاعتراف بالنعمة في أدبار الصلوات في قوله: «...**له النعمة والفضل وله الثناء والحسن..**»[2].

وقد حثّ ﷺ على التحدث بنعم الله تعالى فقال: «**من أبلى بلاءً فذكره فقد شكره وإن كتمه فقد كفره**»[3].

---

(١) «الفتح» (١١/ ١٠٠) وقال الحافظ: ويحتمل أن يكون قوله «**أبوء لك بذنبي**» اعتراف بوقوع الذنب مطلقًا ليصح الاستغفار منه، لا أنه عدَّ ما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنبًا.

(٢) رواه أحمد (٤/٥) ومسلم (١/ ٤١٥ -٤١٦) من حديث ابن الزبير وأوله: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد..**» .

(٣) أخرجه أبو داود (٥/ ٤٨١٤) وأبو نعيم في « أخبار أصفهان» (١/ ٢٥٩) عن جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ به ورجاله رجال الشيخين، إلا أن أبا سفيان لم يسمع من جابر إلا أربعة أحاديث، قاله ابن المديني، كما في التهذيب. ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٧) عن صدقه بن عبد الله عن الأزاعي عن أبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**من أبلى خيراً فلم يجد إلا الثناء فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بباطل فهو كلابس ثوبي زور**» ثم قال : «كذا رواه صدقة عن الأوزاعي عن أبي الزبير واسمه محمد بن مسلم بن تدرس وتفرد به ، والحديث مشهور بأيوب بن سويد عن الأوزاعي عن محمد بن المنكدر عن جابر» اهـ. قلت : صدقة ضعفه أحمد والبخاري وأبو زرعة والنسائي، كما في «التهذيب» (٤/ ٤١٦).

والروايةالتي ذكر أنها مشهورة، أخرجها ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٥٦) قال أخبرنا محمد بن الحسين بن حفص الأشناني حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا أيوب بن سويد ذكره، وسنده حسن، ومحمد بن الحسين ـ وقع في المطبوعة: ابن الحسن ـ ثقة له ترجمة في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥) و«السير» (٤/ ٥٢٩) وله شاهد أخرجه البزار (١٩٤٣ - زوائد) عن صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**من أتاه معروف فذكره فقد شكره، ومن تحلّى بما لم ينل ، فهو كلابس ثوبي زور**».

قال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٤٩): «رواه البزار وفيه صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف . وقد رواه من هذا الوجه الخرائطي في فضيلة الشكر (٨٣) مع اختلاف في اللفظ» .

قال ابن القيم : «الثناء علي المنعم المتعلق بالنعمة نوعان : عام وخاص ، فالعام : وصفه بالجود والكرم ، والبر والإحسان وسعة العطاء ونحو ذلك .

والخاص : التحدث بنعمته والإخبار بوصولها إليه من جهته ، كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

وفي هذا التحديث المأمور به قولان :

أحدهما : أنه ذكر النعمة والإخبارَ بها ، وقوله : أنعم الله عليَّ بكذا وكذا .

والتحدث بنعمة الله شكر، كما في حديث جابر مرفوعًا : «**من صُنع إليه معروفٌ فلْيجزِ به ، فإن لم يجدْ ما يجزي به فَلْيُثْنِ ، فإنه إذا أثنى فقد شكَرَه ، وإنْ كتَمه فقد كفره ، ومَن تحلَّى بما لم يعطَ كان كلابس ثَوْبَي زُور**»[1].

---

(١) حسن : رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢١٥) عن يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الأنصار عن جابر مرفوعًا به. ورواه مسدد - كما في «المطالب العالية» (٢/ ٤٠٤) وعنه أبو داود (٥/ ٤٨١٣) ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في «إتحاف السادة المهرة» - للبوصيري (٢/ ق ١٤٢ ب) عن بشر ثنا عمارة بن غزية حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : «**من أعطي عطاءً فوجد فَلْيَجز به ، فإن لم يجد فليُثن به ، فمن أثني به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره ، ومن تحلَّى بما لم يُعط كان كلابس ثوبي زور**» وحرَّك بشر السبابة والوسطى. وليس عند أبي داود: «**ومن تحلى..** » إلي آخره.

قال البوصيري: رواه مسدد والحارث بسند ضعيف لجهالة بعض رواته، ورواه الترمذي وحسنه، دون قوله: «**وحرك بشر..**» إلى آخره اهـ.

قال أبو داود: «رواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر، قال: وهو شرحبيل - يعني رجلاً من قومي- كأنهم كرهوه لم يُسموه» اهـ. =

فذكر أقسام الخلق الثلاثة:

أ - شاكر النعمة المثني بها.

ب - والجاحد لها والكاتم لها.

جـ - والمظهر أنه من أهلها، وليس من أهلها، فهو متحلٍّ بما لم يعطه.

وفي أثر آخرمرفوع: «**مَنْ لم يَشكر القليلَ لم يَشكر الكثير، ومَن لم يشكر الناسَ لم يَشكر الله، والتَّحدث بنعمةِ الله شُكرٌ، وتَركه كُفرٌ، والجماعةُ رَحمة والفُرقة عَذَاب**»[1].

= قلت: قد جاء مصرحًا به في رواية البخاري السابقة، وهو شرحبيل بن سعد الخطمي المدني مولى الأنصار، ضعفه النسائي والدارقطني وذكره ابن حبان في «الثقات» وخرج له في صحيحه وكذا شيخه ابن خزيمة، وقد اختلط في آخره انظر: «التهذيب» ٤/ ٣٢١).

وقال الحافظ: صدوق اختلط بآخره.

وقد رواه الترمذي (٤/ ٢٠٣٤) عن إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا به. وقال: «حسن غريب، وفي الباب عن أسماء بنت أبي بكر وعائشة، ومعنى قوله: «**ومن كتم فقد كفر**» يقول: قد كفر تلك النعمة» اهـ.

قلت: في إسناده إسماعيل بن عياش وفي روايته عن الحجازيين ضعف وهذه منها فإن عمارة بن غزية أنصاري مدني، وقد خالف يحيى بن أيوب: وهو الغافقي أبو العباس المصري صدوق ربما أخطأ، وبشر بن المفضل وهو ثقة عابد.

والحديث يتحسن بما قبله والله أعلم.

والجملة الأخيرة: «ومن تحلَّى بما لم يعط»، يشهد لها ما في البخاري (٩/ ٣١٧) ومسلم (٣/ ١٦٨١) عن أسماء: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن لي ضَرَّةً، فهل عليَّ جناحٌ أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المُتشبِّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبي زور**». وأخرجه مسلم (٣/ ١٦٨١) عن عائشة بمثله. وقد أشار إليهما الترمذي بقوله آنفًا: وفي الباب عن أسماء وعائشة.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨، ٣٧٥) وابن أبي الدنيا في الشكر (٦٤)، الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٨٢) ولم يذكر «**والجماعة رحمة..**» كلهم عن أبي وكيع الرؤاسي عن أبي عبد الرحمن الشامي عن الشعبي عن النعمان بن بشر مرفوعًا به. وسنده حسن. =

والقول الثاني: أن التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية هو الدعوة إلى الله ، وتبليغ رسالته ، وتعليم الأمة .

قال مجاهد : هي النبوة ، قال الزجاج : أي بلِّغ ما أرسلت به وحدِّث بالنبوة التي آتاك الله» اهـ[١].

فإظهار النعمة والتحدث بها من صفات المؤمنين الشاكرين ، وأما أن يكتم المرء النعمة ، ويظهر أنه فاقدٌ لها إما بلسان الحال أو المقال ، فهو كفرٌ لها ، وهو من صفات الكافرين الجاحدين .

وإنما سُمي الكافر كافرًا، لأنه يُغطِّي نعمة الله التي أسبغها عليه ويجحدها ولا يُقرُّ بها[٢].

وقد وصفهم الله بذلك في كتابه فقال : ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [النحل: ٨٣] .

وقال : ﴿**أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [النحل: ٧١] .

وقال : ﴿**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**﴾ [النحل: ٧٢] .

بل ربما نسبوا نعم الله تعالى التي أعطاهم[٣] إلى أنفسهم وعلمهم

= تنبيه: قال محقق فضيلة الشكر للخرائطي: في الأصلين: أبو وكيع، وهو سهو والتصحيح من كتاب الشكر لابن أبي الدنيا، وهو أبو سفيان وكيع بن الجراح! كذا قال! ولا أدري على أي شيء استند لقوله هذا، إذ هو في كل المصادر السابقة: حدثنا أبو وكيع، وهو الجراح بن مليح: الرؤاسي، صدوق يهم.

وكذا إثباته زيادة «..**والجماعة رحمة والفرقه عذاب**» وليست عند الخرائطي كما في مخطوطة الظاهرية (ورقة ١٤أ).

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٨) باختصار يسير.

(٢) انظر : «الصحاح» (٢/ ٨٠٧)، «اللسان» (٥/ ٣٨٩٧ - ٣٨٩٨).

(٣) قال العلامة نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري في «تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان» المطبوع بهامش «تفسير ابن جرير» (١/ ١٠١): «هل لله تعالى على الكافر نعمة أم لا؟ أنكر ذلك بعض أصحابنا لوجوه: منها قوله: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ** =

وخبرتهم ، قال تعالى : ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾

[الزمر: ٤٩ - ٥١].

ومعنى ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أيّ : بوجوه المكاسب والتجارات ، ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ ، أي : هذه النعم التي أوتيتها فتنة تختبر بها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون أن إعطائهم المال اختبار . ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن

= أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] فإنه لو كان له على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار، لأن المبدل منه هو الصراط المستقيم في حكم المنحى . والجواب: أن قوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ يدفع ذلك.

ومنها قوله : ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] والجواب: أنه لا يلزم من أن لا يكون الإملاء خيراً أو نعمة لهم ، أن لا أصل الحياة وسائر أسباب الانتفاع نعمة، فإن الإملاء تأخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها، فما قبل هذه الحالة لا يكون كذلك ، على أن نفس الإملاء تمتيع حالي ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] ، وليس هذا كمن جعل السم في الحلواء على ما ظن، وإنما هو كمن ناول شخصًا حلواء لذيذة غير مسمومة، ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه، أو لاستعماله الحلواء لا كما ينبغي أفسد مزاج الحلواء أيضًا وصيَّره كالسم القاتل بالنسبة إليه، ولهذا قال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح».

وكيف لا تعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم، وقال ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] والشكر لا يكون إلا بعد النعمة» اهـ.

قَبْلِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٠] يعني الكفار قبلهم: كقارون وغيره حيث قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: لم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئًا.

ثم قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢].

أي: ألم يعلموا أن مصدر نعمتهم التي هم فيها هو الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وأنه تعالى يبسطها على من يشاء ويحبسها عمن يشاء، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢] أي: لا ينتفع بهذا ويتدبره إلا أهل الإيمان والعلم.

ب - وأما الاستعانة بها - أي: النعم - علي طاعة الله، فهو ما يقتضيه الشرع والعقل، فإن من أحسن إليك بشيء لا يجوز أن تقابله بالإساءة إليه، ومن فعل ذلك فهو في نظر الناس وقحٌ نذلٌ ناكرٌ للجميل، وجاحدٌ له. فكيف إذا استعان بإحسانه على الإساءة إليه، فهو أشد وقاحةً وجحودًا للجميل.

والنِّعم التي في الدنيا إنما خُلقت أصلاً ليستعين بها أهل الإيمان على طاعة الرحمن، وأما أهل الكفر والفجور فإنها محرمةٌ عليهم لأنهم يستعينون بها على معصية الله، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فقوله تعالى: ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢] وقوله: ﴿قُلْ هِيَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني أنها خلقت لهم، لا لغيرهم، لأنهم يستعينون بها على طاعته.

ويقول القرطبي: «واعلم أن على كل جارحة شكرًا يخصُّها، وعلى اللسان من ذلك مثل ما على سائر الجوارح، وقد أخبر رسول الله ﷺ أن «الأعضاء تقول للسان: «**اتق الله فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[1].

وشكر كل جارحةٍ إنما هو باستعمالها بتقوى الله العظيم في امتثال ما يخصها من الطاعات واجتناب ما يخصها من العصيان، فشكر البدن أن لا تستعمل جوارحه في غير طاعته.

وشكر القلب أن لا تشغله بغير ذكره ومعرفته.

وشكر اللسان أن لا تستعمله في غير ثنائه ومدحه.

وشكر المال أن لا تنفقه في غير رضاه ومحبته.

ووراء ذلك تطوعات الشاكرِ والشكور، قام رسول الله ﷺ من

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٩٥ - ٩٦) والترمذي (٤/ ٢٤٠٧) وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٩) والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣١٦) عن حماد بن زيد عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري رفعه قال: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**». قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه» اهـ.

قلت: قد رواه ثقات عن حماد ورفعوه مثل مسدد وعارم وعفان وغيرهم.

لكن فيه أبو الصهباء الكوفي لم يوثقه إلا ابن حبان، وقال الحافظ: مقبول، أي حيث يتابع وإلا فليِّن الحديث.

فالحديث ضعيف بهذه الطرق.

وعزاه السيوطي في الجامع إلى ابن خزيمة والبيهقي في «الشعب».

الليل حتى تورمت قدماه فقيل له: تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(١) ، أي : طالبًا للمزيد لقوله تعالى : ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧] »اهـ(٢).

وقد أحسن القائل:

أَنَالَكَ رزقه لتقوم فيه ... بطاعتِه وتشكرَ بعض حقِّه

فلم تشكرْ لنعمته ولكن ... قوِيتَ على معاصيه برزقه

جـ- أما شكر من أجرى الله سبحانه النعمة على يده ، فقد أمر الله سبحانه بـه في قولـه تعـالى : ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان: ١٤] فأمر بشكره ثم بشكر الوالدين إذ كانا سبب وجوده في الدنيا، وسَهِرَا وتعبا في تربيته وتغذيته ، فمن عقَّهما أو أساء إليهما فما شكرهما على صنيعهما، بل جحد أفضالهما عليه ، ومن لم يشكرهما فإنه لم يشكر الله الذي أجرى تلك النعم على أيديهما ، وقد قال ﷺ: « **لا يشكر الله مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١١٣٠) (٨/ ٤٨٣٦) (١١/ ٦٤٧١) ومسلم (٤/ ٢٨١٩) عن المغيرة بن شعبة ورواه مسلم (٤/ ٢٨٢٠) عن عائشة.

(٢) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٢٤٢ - ٢٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٤٩١) وأحمد (٢/ ٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٣ - ٣٠٤، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢) والبخاري في «الأدب» (٢١٨) وأبو داود (٥/ ٤٨١١) والترمذي (٤/ ١٩٥٤) والخرائطي في فضيلة الشكر (٨٠) وابن حبان في صحيحه (٢٠٧٠ - موارد) عن الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد : وهو القرشي عن أبي هريرة مرفوعًا به.
قال الترمذي: حديث حسن صحيح، قلت: هو على شرط مسلم، ورواه الخرائطي (٨٠) حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي حدثنا علي بن القاسم حدثنا عبد العزيز ابن محمد الدراوردي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا به، وسنده حسن، علي ابن القاسم الظاهر أنه عبد الأعلى بن القاسم الهمداني تحرف اسمه، وهو =

قال الخطابي : «هذا الكلام يُتأول على وجهين:

أحدهما : أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس ، وترك الشكر لمعروفهم ، كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر : أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر معروفهم، لاتصال أحد الأمرين بالآخر» اهـ[1].

٤- وقد أكثر الله سبحانه من تعداد نعمه على عباده، فلم يترك لجاحد مجالاً أن ينكر نعم الله عليه، بل لو أراد أن يحصي الإنسان ما في جسده من نعم الله وأفضاله لعجز، فكيف لو أراد أن يحصي نعم الله سبحانه على الناس في حياتهم علي هذه الأرض؟!

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١].

وفي «مختصر منهاج القاصدين» : من جملة نعم الله عليك أن خلق لك آلة الإحساس، وآلة الحركة في طلب الغذاء، فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في الحواس الخمس، التي هي آلة للإدراك.

فأولها: حاسة اللمس، وهو أول حس يخلق للحيوان، وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه، فإن الإحساس بما يبعد منه أتم لا محالة، فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك، فخلق لك الشم تدرك به الرائحة من بعد، ولكن لا تدري من أي ناحية جاءت الرائحة، فتحتاج

= صدوق كما في «التهذيب» (٦/ ٩٧) وأخرجه أيضًا (٧٨) عن ابن أبي ليلى عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، وسنده ضعيف لضعف عطية.

(١) «معالم السنن» (٤/ ١١٣).

أن تطوف كثيرًا حتىٰ تعثر علىٰ الذي شممت رائحته ، وربما لم تعثر ، فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك، وتدرك جهته فتقصدها بعينها ، إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصًا ، إذ لا تدرك بذلك ما وراء الجدار والحجاب ، فربما قصدك عدو بينك وبينه حجاب ، وقرب منك قبل أن يكشف الحجاب، فتعجز عن الهرب، فخلق لك السمع حتىٰ تدرك به الأصوات من وراء الحجرات عند جريان الحركات، ولا يكفي ذلك، لو لم يكن لك حس الذوق ، إذ به تعلم ما يوافقك وما يضرك ، بخلاف الشجرة، فإنه يصب في أصلها كل مائع، ولا ذوق لها فتجذبه ، وربما يكون ذلك سبب جفافها، ثم أكرمك الله تعالىٰ بصفة أخرىٰ ، هي أشرف من الكل، وهو العقل ، فبه تدرك الأطعمة ومنفعتها، وما يضر في المآل ، وبه تدرك طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها، فتنتفع به في الأكل الذي هو سبب صحتك ، وهو أدنىٰ فوائد العقل ، والحكمة الكبرىٰ فيه معرفة الله تعالىٰ ، وما ذكرنا من الحواس الخمس الظاهرة، فهي بعض الإدراكات ولا تظن أننا استوفينا شيئًا من ذلك فإن البصر واحد من الحواس ، والعين آلة له، وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة: بعضها رطوبات، وبعضها أغشية مختلفة ، لكل واحدة من الطبقات العشر صفة ، وصورة ، وشكل ، وهيئة، وتدبير ، وتركيب ، لو اختلت طبقة واحدة منها أو صفة واحدة، لاختل البصر ، وعجز عنه الأطباء كلهم، فهذا في حس واحد، وقس حاسة السمع وسائر الحواس، ولا يمكن أن يستوفي ذلك في مجلدات، فكيف ظنك بجميع البدن؟!»[1].

وذكَّر الله الناس بنعمةٍ من نعمه العظيمة علىٰ الأرض وهي : نعمة

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٣٠٢ - ٣٠٣)، وانظر الكلام علي باقي الأعضاء وحكمها (ص ٣٠٣ - ٣٠٥).

الليل والنهار فقال : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١].

وقال سبحانه مُذكِّرًا لعباده أنه سخَّر لهم البحار والأنهار : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

وقال سبحانه مُذكِّرًا لأصحاب نبيه ﷺ بنعمته العظيمة عليهم : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

ولو أردنا أن نُعدِّد نعم الله لطال المقام بنا ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤][1].

٥- وعن بيان حقيقة النعم وأقسامها يقول في «مختصر منهاج القاصدين» : اعلم أن كل مطلوب يسمى نعمة، ولكن النعمة في الحقيقة هي السعادة الأخروية، وتسمية ما عداها نعمة تجوزٌ.

والأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم أربعة أقسام:

أحدها : ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعًا، كالعلم، وحسن الخلق، وهو النعمة الحقيقية.

الثاني : ما هو ضارٌ فيهما جميعًا، وهو البلاء حقيقة.

القسم الثالث : ما ينفع في الحال، ويضر في المآل، كالتلذذ، واتباع الشهوات، فهو بلاء عند ذوي الأبصار، والجاهل يظنه نعمة.

---

(١) من أراد أن يتوسع في هذا المجال فليقرأ سورة الأنعام وإبراهيم والنحل والرحمن وغيرها، ويتبين ويتدبر ما ذكر فيها من نعم عظيمة جليلة ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

ومثاله : الجائع إذا وجد عسلاً فيه سم ، فإنه يعده نعمة إن كان جاهلاً ، فإذا علم ذلك عده بلاءً .

القسم الرابع : الضارُّ في الحال ، النافع في المآل ، وهو نعمة عند ذوي الألباب ، بلاء عند الجهال .

ومثاله : الدواء الشنيع مذاقه في الحال ، الشافي في المآل من الأسقام، فالصبي الجاهل ، إذا كلف شربه ظنه بلاء ، والعاقل يعده نعمة ، وكذلك إذا احتاج الصبي إلى الحجامة، فإن الأب يدعوه إليها ويأمره بها، لما يلحظ في عاقبتها من الشفاء، والأم تمنعه من ذلك لفرط حبها وشفقتها، لكونها جاهلة بالمصلحة في ذلك، فالصبي يقلد أمه بجهله ، ويأنس إليها دون أبيه ، ويقدر أباه عدوًا ، ولو عقل لعلم أن الأم هي العدو الباطن في صورة صديق ، لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض ألمها أشد من ألم الحجامة ، فالصديق الجاهل شر من العدو العاقل ، وكل إنسان صديق نفسه ، ولكن النفس صديق جاهل، فلذلك تعمل به مالا يعمل العدو.

٦- الفرق بين إنعام الخالق وإنعام الخلق:

أ - إن الله سبحانه وتعالى يعطي الخلق ويتفضل عليهم مع استغنائه عنهم، والمخلوق لا يعطي غالبًا إلا لمقصدٍ أو غرض.

ب - إنك ربما احتجت إلى شيء من المخلوق ولا يعطيكه، لكونه محتاجًا إليه، والله سبحانه غني عن كل شيء قال سبحانه: ﴿**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**﴾ [الأنعام: ١٤].

جـ - إنك ربما احتجت إلى شيء من المخلوق إلا أنه لا يمكنك

الوصول إليه فتبقى محرومًا عن عطيته.

والله سبحانه تصل إليه بدعائك ومناجاتك في كل وقت وحين ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

د - إنك إذا قصَّرت في خدمة المخلوق قطع عنك إنعامه، والكافر يقصر بأعظم حقوق الله ويظل إنعامه سبحانه عليه كما قال ﷺ: «ما أَحَدٌ أَصبرُ على أذًى سمعه منَ الله، يَدْعونَ له الولد، ثم يُعَافيهم ويرزقهم»[1].

٧- وقد بيَّن تعالى أن أكثر الناس عن شكر هذه النعم والأفضال غافلون أو متغافلون، وهم في نعم الله غارقون.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١].

وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وهذه الآيات تقابل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢].

لأن أعظم الشكر لله سبحانه هو توحيده وعبادته وحده لا شريك له، لأنه هو الذي خلق وأوجد من العدم ورزق الإنسان الأرزاق الكثيرة، ولم يشاركه في ذلك أحد، فلا يستحق أحد العبادة معه، ولكن أكثر الناس كما قال تعالى أعرضوا عن هذه الحقيقة، وجعلوا له أندادًا، ونسبوا لها الضر والنفع، والتصرف في الأرزاق، ودفع الأمراض، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات.

---

(١) رواه البخاري (١٠/٦٠٩٩) (١٣/٧٣٧٨) ومسلم (٤/٢٨٠٤) عن أبي موسى الأشعري.

فمن الشرك الذي يقع من العباد نسبتهم ما يحصل لهم من الأرزاق إلى المخلوقين ، قال البخاري في صحيحه : باب قول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢] قال ابن عباس: شكركم[١].

ثم روى حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثرِ سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال : «**هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟ قالوا:الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافرٌ، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال : بنوءِ كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمن بالكواكب**» اهـ[٢].

وفي رواية رواية لمسلم : «**ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزلُ الله الغيثَ فيقولون : الكوكب كذا وكذا**»[٣].

قال ابن قتيبة : «كانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء[٤]، إما بصنعِهِ على زعمهم وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفرًا ، فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعًا في ذلك فكفره كفر تشريك ، وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشرك لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة، لأنه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين

(١) قال الحافظ: «يحتمل أن يكون مراده أن ابن عباس قرأها كذلك ويشهد له ما رواه سعيد ابن منصور عن هشيم عن ابن بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وهذا إسناد صحيح» اهـ (الفتح ٢/ ٥٢٢).

(٢) رواه البخاري في مواضع منها (٢/ ١٠٣٨) ومسلم (١/ ٧١، ٧٢).

(٣) مسلم (١/ ص ٨٤).

(٤) النوء: هو النجم الذي ينسب إليه المطر.

الكفر والشرك واسطة ، فيحمل الكفر فيه علي المعنيين لتناول الأمرين والله أعلم» اهـ[1].

ومن هذا قول الناس: لولا الطبيب لمات ابني، لولا البط أو الكلب لسرق اللصوص الدار، وما شابه ذلك من نسبة الفضل والنعمة لغير الله تعالى.

٧- ويجب أن يعلم أن الله تعالى لا يزداد ملكه شيئًا بشكر الناس له ونسبتهم الفضل إليه، كما أنه لايتضرر بكفرهم لأنه الغني الحميد، ولكنه تبارك وتعالى يحب أن يحمد ويشكر ويرضى عن العبد بذلك، ويكره أن يكفر به وبنعمته ويسخط على العبد بذلك، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

بل المستفيد والمنتفع بالشكر هو الإنسان نفسه، كما أنه هو المتضرر بالكفر، قال تعالى عن سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وقال عن لقمان العبد الصالح: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

٨- والكفر بنعم الله تعالى مُؤذنٌ بزوالها عمن كفر بها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

---

(١) «الفتح» (٢/ ٥٢٤) نقلاً عن كتابه « الأنواء».

وهذه القرية هي مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة، والناس حولها يتخطفون، يغير بعضهم على بعض، ويقتل وينهب بعضهم بعضًا، أما مكة من دخلها كان آمنًا لا يخاف كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وكان من تمام النعمة عليهم إرسال محمد ﷺ إليهم، فكفروا به كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩].

ولهذا بدَّل الله حالهم فقال: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، وذلك لعصيانهم رسولهم ﷺ، فدعا عليهم ﷺ بالقحط فعن عبد الله بن مسعود قال: إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدبارًا قال: «اللهم سَبْعٌ كسبعِ يوسفَ»، فأخذتهم سَنَةٌ حصَّت كل شيء، حتى أكلوا الجلودَ والميتةَ والجيفَ، وينظر أحدُهم إلى السماء فيرى الدُّخان من الجوعِ فأتاهُ أبو سفيانَ فقال: يا محمد، إنك تأمُرُ بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٦]، فالبطشة الكبرى يوم بدر، وقد مضت الدخان والبطشة واللزام وآية الروم[1].

---

(١) رواه البخاري في عدة مواضع منها (٢/ ١٠٠٧، ١٠٢٠).

وأما الخوف فهو من رسول الله ﷺ وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة فكانوا يخافون من سطوته وسراياه وجيوشه، وذهب أمنهم السابق، وبقوا كذلك إلى أن فتح الله تعالى على نبيه ﷺ مكة.

وكل ذلك بسبب كفرهم بنعمة الله وبطرهم وأشرهم ومعاداتهم لرسوله ﷺ ورفضهم لشريعته ودينه وإصرارهم على كفرهم ومعاصيهم، وللكافرين أمثالها وقد قصَّ الله سبحانه علينا قصة «سبأ» وأنهم كانوا في نعم كثيرة، وأموال ممدودة، وفواكة منتشرة، وأسفار بلا أخطار، ثم إنهم غيِّروا ما بأنفسهم فغيَّر الله سبحانه أحوالهم، فأرسل الله عليهم سيلاً عارمًا، جرف أشجارهم وحدائقهم وأموالهم، وبُدِّلوا بعد ذلك بأشجار مُرَّة أو ذات شوك، وأشجار لا ثمار لها، وكان خير الأشجار التي أعطوها شجر السدر وثمره يسير ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩][1].

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من زوال النعمة في دعائه، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفُجَاءة نقمتك، وجميع سخطك»**[2].

٩- قال الحليمي: (الشاكر): ومعناه المادح لمن يطيعه والمثني

---

(١) ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فانظر فيما حولك من الدول تري ذلك واضحًا جليًا.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٩٧)، وفَجأة بفتح الفاء وإسكان الجيم مقصورة على وزن ضربة، والفُجَاءة بضم الفاء وفتح الجيم والمد، لغتان، وهي: البغتة.

عليه، والمثيب له بطاعته فضلاً عن نعمته» اهـ[1].

فالله سبحانه وتعالى يمدح من أطاعه وسار على شريعته، والكتاب الكريم مملوء بمدح الأنبياء والشهداء والصالحين فمدح نبيه ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ومدحه وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومدح نوحًا بأنه كان عبدًا شكورًا، وإبراهيم الخليل بأنه أواه منيب وأنه الذي وفَّى، وموسى الكليم بأنه كان مخلصًا وإسماعيل بأنه كان صادق الوعد صلوات الله عليهم أجمعين، وغير هذا مما أثنى به على عباده في كتابه كثير.

١٠- ولابن القيّم رحمه الله كلام جامع فيما سبق من المسائل، نذكره إتمامًا للفائدة.

قال رحمه الله: «وأما شكر الرب تعالى، فله شأنٌ آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر للقليل من العمل والعطاء، فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة.

(١) «المنهاج» (١/ ٢٠٥)، قال القرطبي في الكتاب الأسنى (ورقة ٣٤٣): «فعلى قول الحليمي يرجع مدلول هذا الاسم إلى ثنائه على المطيعين فيكون من صفات الذات لأنه يرجع إلى الكلام واختاره ابن العربي» اهـ.

ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلىٰ، ويلقي له الشكر بين عباده.

ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا ردَّه عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل، وشكره علىٰ هذا وذاك.

ولما عَقَر نبيه سليمان الخيل غضبًا له[1]، إذ شغلته عن ذكره فأراد ألا تشغله مرة أخرىٰ، أعاضه منها متن الريح[2].

ولما ترك الصحابة ديارهم، وخرجوا منها في مرضاته، أعاضهم عنها أن ملَّكهم الدنيا وفتحها عليهم.

ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن ، شكر له ذلك بأن مكَّن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء.

ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتىٰ خرقها أعداؤه ، شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرًا خضرًا أقرَّ أرواحهم فيها ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها إلىٰ يوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه.

ولما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم، فنالوا منهم وسبوهم ، أعاضهم من ذلك بأن صلّىٰ عليهم هو وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء

---

(١) وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣١ - ٣٣].

(٢) في الأصل: «الربح» وهو خطأ، لأنه يقصد الريح التي سخرت له، قال تعالىٰ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]

في سمواته وبين خلقه، فأخلصهم بخالصةٍ ذكرىٰ الدار.

ومن شكره سبحانه: أنه يجازي عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا، ويخفف به عنه يوم القيامة، فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان، وهو من أبغض خلقه إليه.

ومن شكره : أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبًا كان قد جهده العطش حتىٰ أكل الثرىٰ ، وغفر لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين.

فهو سبحانه يشكر العبد علىٰ إحسانه لنفسه، والمخلوق إنما من أحسن إليه.

وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطىٰ العبد ما يحسن به إلىٰ نفسه، وشَكَرَه علىٰ قليله بالأضعاف المضاعفة التي لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن بإعطائه الإحسان وإعطاء الشكر، فمن أحق باسم الشكور منه سبحانه؟

وتأمل قوله سبحانه : ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أنَّ شكره تعالىٰ يأبىٰ تعذيب عباده بغير جرم ، كما يأبىٰ إضاعة سعيهم باطلاً ، فالشكور لا يضيع أجر محسن، ولا يعذب غير مسيء.

وفي هذا ردٌّ لقول من زعم أنه سبحانه يكلفه ما لا يطيقه، ثم يعذبه علي ما لا يدخل تحت قدرته، تعالىٰ الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علواً كبيراً.

فشكره سبحانه اقتضىٰ أن لا يعذب المؤمن الشكور، ولا يضيع

عمله، وذلك من لوازم هذه الصفة، فهو منزه عن خلاف ذلك، كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص التي تنافي كماله وغناه وحمده.

ومن شكره سبحانه: أنه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير، ولا يضيع عليه هذا القدر.

ومن شكره سبحانه: أن العبد من عباده يقوم له مقامًا يرضيه بين الناس فيشكره له، وينوه بذكره، يخبر به ملائكته وعباده المؤمنين، كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام، وأثنى به عليه، ونوه بذكره بين عباده.

وكذلك شكره لصاحب يَس مقامه ودعوته إليه.

فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك، فإنه سبحانه غفور شكور، يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل.

ولمّا كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطَّلها واتصف بضدها.

وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض: الكفور، والظالم، والجاهل، والقاسي القلب، والبخيل، والجبان، والمهين، واللئيم.

وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستار يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف،

عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو ما يضادها وينافيها اهـ[1].

رحمك الله يا ابن القيم ، ما أجوده من كلام وما أجمعه. اللهم وفِّقنا الله للعمل بما تحب وترضى، واكتبنا في عبادك الطائعين الشاكرين، آمين.

* * *

(١) «عدة الصابرين» (ص ٣٣٥ - ٣٣٧).

العليُّ - الأعلىٰ - المتعال
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤)

*** المعنىٰ اللغوي:**

عُلْوُ كُلِّ شيءٍ وعِلْوُهُ وعُلاوَتُهُ وعَالِيه وعاليتُهُ : أرفعه ، يتعدَّىٰ إليه الفعل بحرفٍ وبغير حرف ، كقولك : قعدت عُلْوَهُ، وفي عُلْوِهِ.

قال ابن السِّكِّيت[1] : سِفْلُ الدارِ وعِلْوُها ، وسُفْلُها وعُلْوُها ، وعلا الشيءُ عُلُوًا ، فهو عَلِيٌّ ، عَلِيَ وتَعَلَّىٰ.

ويقال علا فلانٌ الجبل إذا رقيه يعلوه عُلُوًا .

وعلا فلانٌ فلانًا إذا قهره، وعلوتُ الرجل: غلبته، وعلا في الأرض: تكبَّر كما في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

والعليُّ : الرفيع ، وتعالىٰ : ترفَّعَ.

وفلانٌ من عِلْيَةِ الناس ، وهو جمع رجلٍ عَلِيٍّ، أي: شريف رفيع[2].

وقال الزّجّاجي: وقال النحويون: تقدير (عليّ) من الفعل «فعيل»،

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السِّكِّيت - وعرف بها لأنه كان كثير السكوت - البغدادي النحوي، ديِّنٌ خير حجة في العربية، قال ثعلب: أجمعوا أنَّه لم يكن أحدٌ بعد ابن الأعرابي أعلم بالعربية من ابن السِّكِّيت، وله من التصانيف نحوٌ من عشرين كتابًا، منها «إصلاح المنطق» قال الذهبي فيه: كتابٌ نفيسٌ مشكورٌ في اللغة. «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٧٣ - ٢٧٤)، و«العبر» (١/ ٤٤٣)، و«السير» (١٢/ ١٦).

(٢) «الصحاح» (٦/ ٢٤٣٤ - ٢٤٣٥)، «اشتقاق أسماء الله» (ص ١٠٨ - ١١١)، و«اللسان» (٤/ ٣٠٨٨ - ٣٠٩٠).

أصله «عَليوٌ» لأنّه من العلوِّ، فلامه واو فاجتمعت الواو والياء وسبقت الياء ساكنة فقلبت الواو ياءً وادغمت الأولى في الثانية.

وذلك من حكم الواو والياء في كلامهم إذا اجتمعتا وسبقت إحداهما بسكون أن تقلب الواو أبدًا ياء، تقدّمت أو تأخّرت، وتدغم الياء الأولى في الثانية صارت الياء هاهنا أغلب على الواو لأنّها أخفّ منها[1].

*** ورورد الأسماء في القرآن الكريم:**

ورد اسم (العليّ) في ثمانية مواضع منها: قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [الحج: ٦٢].

وقوله: ﴿**فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ**﴾ [غافر: ١٢].

وقوله: ﴿**إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: ٥١].

وأمّا (الأعلى) فقد جاء في قوله: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ [الأعلى: ١].

وقوله: ﴿**إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**﴾ [الليل: ٢٠].

وأمّا (المتعال) فقد جاء مرّةً واحدةً في قوله: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾ [الرعد: ٩].

*** معنى الأسماء في حقّ الله تعالى:**

قال ابن حرير رحمه الله: «وأمَّا تأويل قوله: ﴿**هُوَ الْعَلِيُّ**﴾ فإنَّه يعني والله العليّ، والعليّ الفعيل من قولك: علا يعلو علوًا، إذا ارتفع فهو عالٍ وعليّ، والعليّ ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته.

ثمّ قال: واختلف أهل البحث في معنى قوله ﴿**هُوَ الْعَلِيُّ**﴾ فقال بعضهم: يعني بذلك وهو العليُّ عن النظير والأشباه، وأنكروا أن يكون

---

(١) «اشتقاق الأسماء» (ص ١١١).

معنى ذلك ﴿وهو العلي﴾ المكان، وقالوا: غير جائز أن يخلو منه مكانه، ولا معنى لوصفه بعلو المكان لأنَّ ذلك وصفه بأنَّه في مكان دون مكان!!

وقال آخرون: معنى ﴿وهو العلي﴾ على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، لأنَّه تعالى ذكره فوق جميع خلقه، وخلقه دونه كما وصف به نفسه أنَّه على العرش، فهو عالٍ بذلك عليهم» اهـ[1].

قال الخطابي: «(العليُّ): هو العالي القاهر، فعيل بمعنى فاعل، كالقدير والقادر والعليم والعالم، وقد يكون ذلك من العُلُوِّ الذي هو مصدر علا، يعلو، فهو عالٍ، كقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. ويكون ذلك من علاء المجد والشرف، يقال منه: عَلِيَ يَعْلَى عَلاءً، ويكون الذي علاَ وجلَّ أن تلحقَه صفات الخلق أو تُكَيِّفَهُ أوهامهم» اهـ[2].

وقال البغوي في قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾: العالي على كلّ شيء[3].

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، كما قال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، فكلّ شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا ربّ سواه لأنّه العظيم الذي لا أعظم منه، العليّ الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدّس وتنزّه عزَّ وجلَّ عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا» اهـ[4].

---

(١) «جامع البيان» (٣/ ٩)، وكلامه يدلّ على أنَّه يختار علوّ المكان لله سبحانه، فقد ذكره أولاً تفسيرًا للآية ثمّ ذكر الاختلاف فيه، وممّا يقوي ذلك أنَّه ذكر هذا التفسير للاسم في مواضع أخر ولم يذكر غيره، انظر (١٧/ ١٣٧)، (٢٤/ ٦، ٢٨).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٦٦).

(٣) «تفسير البغوي» (٥/ ٢٦).

(٤) «التفسير» (٣/ ٢٣٢).

وقال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله : «وقال جلَّ وعلا : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الاعلى: ١] ، فالأعلي مفهوم في اللغة أنَّه أعلى كل شيء، وفوق كلّ شيء ، والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووجوهه، وأعلمنا أنَّه العليّ العظيم ، أفليس العليّ - يا ذوي الحجى - ما يكون عاليًا ، لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنَّه أعلى وأسفل ووسط ومع كلّ شيء ، وفي كلّ موضع من أرض وسماء ، وفي أجواف جميع الحيوان ، ولو تدبروا الآية من كتاب الله لفهموها لعقلوا أنَّهم جهال لا يفهمون ما يقولون ، وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم.

قال الله تعالى لمّا سأله موسى عليه السلام أن يريه ينظر إليه قال : ﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الاعراف: ١٤٢] إلى قوله : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أفليس العلم محيطًا - يا ذوي الألباب - أنّ الله عزَّ وجلَّ لو كان في كل موضع ومع كلّ بشر وخلق ، - كما زعمت المعطلة - لكان متجليًا لكلّ شيء ، وكذلك جميع ما في الأرض لو كان متجليًا لجميع أرضه سهلها ووعرها ، وجبالها براريها ومفازها ، مدنها وقراها، وعمارتها وخرابها ، وجميع ما فيها من نبات وبناء ، لجعلها دكًا كما جعل الله الجبل الذي تجلّى له دكًا ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ اهـ[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهو سبحانه وصف نفسه بالعلو، وهو من صفات المدح له بذلك، والتعظيم، لأنَّه من صفات الكمال، كما مدح نفسه بأنَّه العظيم والعليم والقدير والعزيز والحليم ونحو ذلك، وأنَّه الحيّ القيوم، ونحو ذلك من معاني أسمائه الحسنى،

---

(١) كتاب «التوحيد» (ص ١١٢).

فلا يجوز أن يتّصف بأضداد هذه.

فلا يجوز أن يوصف بضدّ الحياة والقيومية والعلم والقدرة، مثل الموت والنوم والجهل والعجز واللغوب، ولا بضدّ العزّة وهو الذلّ، ولا بضدّ الحكمة وهو السَّفه.

فكذلك لا يوصف بضدّ العلو وهو السفول، ولا بضدّ العظيم وهو الحقير، بل هو سبحانه منزَّه عن هذه النقائص المنافية لصفات الكمال الثابتة له، فثبوت الكمال له ينفي اتّصافه بأضدادها وهي النقائص» اهـ[1].

وقال ابن القيم رحمه الله:

هذا ومن توحيدهم إثبات أو ... صاف الكمالِ لربِّنا الرحمن

كعلوِّه سبحانه فَوق السمـ ... ـاوات العُلىٰ بل فوقَ كلّ مكان

فهو العليُّ بذاته سبحانه ... إذْ يستحيلُ خلاف ذَا ببيانِ

وهو الذي حقًّا على العرشِ استوىٰ ... قد قامَ بالتدبير للأكوانِ

وقال:

وهو العليُّ فكل أنواع العلـ ... ـوِّله فثابتةٌ له بلا نُكران[2]

وقال السَّعديّ: «العليّ الأعلىٰ»: وهو الذي له العلوّ المطلق من جميع الوجوه: علوّ الذات، وعلوّ القدر والصفات، وعلوّ القهر.

فهو الذي على العرش استوىٰ، وعلى الملك احتوىٰ، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال[3] اتّصف،

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٩٧ ـ ٩٨).

(٢) «النونية» (٢/ ٢١٣ - ٢١٤).

(٣) هكذا في المطبوعة ولعلّها: وبغاية الكمال اتّصف.

وإليه فيها المنتهىٰ» اهـ[1].

إذن فجميع معاني العلوّ ثابتة له سبحانه وتعالىٰ.

كما قرّر ذلك ابن القيم في نونيته بقوله آنفًا:

وهو العليُّ فكل أنواع العلو له فثابتـــة له بـــلا نكـــران

*** آثار الإيمان بهذه الأسماء:**

١- إثبات العلوّ المطلق لله ربّ العالمين بكلّ معانيه، دون أن نعطِّل أو نؤول شيئًا، ونثبت شيئًا لأنَّ ذلك تحكُّم لم يأذن الله به.

أولاً: تضمنت هذه الأسماء إثبات علوّ ذات ربِّنا سبحانه، وأنَّه عالٍ علىٰ كلّ شيء، وفوق كلّ شيء، ولا شيء فوقه، بل هو فوق العرش كما أخبر عن نفسه، وهو أعلم بنفسه.

وهذا اعتقاد سلف الأمة، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، من علماء الحديث والتفسير والفقه والأصول والسيرة والتاريخ والعربية والأدب وغيرهم[2].

وسنحاول باختصار ذكر ما يدلّ علىٰ علوّ ذاته سبحانه وتعالىٰ من آيات الكتاب ، والأحاديث الشريفة.

*** فمن آيات الكتاب:**

١- قوله تعالىٰ : ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٣٠٠).

(٢) انظر النقول الكثيرة التي نقلها الذهبي رحمه الله في (العلوّ) وابن القيم رحمه الله في «اجتماع الجيوش الإسلامية» عن علماء الأمة في هذه المسألة.

وقد ذكر الاستواء في ست آيات أُخر في سورة [يونس: ٣]،[الرعد: ٢]، [طه: ٥]، [الفرقان: ٥٩]، [السجدة: ٤]، [الحديد: ٤].

٢- بيَّن تعالىٰ في آيات كثيرة أنَّ «الروح» وهو جبريل عليه السلام والملائكة منه تتنزَّل، وإليه تعرج وتصعد.

منها قوله تعالىٰ: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٣ ـ ٤].

وقوله عن ليلة القدر: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

ومعلومٌ أنَّ التنزُّل لا يكون إلا من العلوِّ.

٣- وأخبر تعالىٰ أنَّه يُنزِّل ملائكته بالوحي والكتاب علىٰ من يشاء من عباده، قال سبحانه: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].

٤- أنّ الأعمال الصالحة والكلام الطيِّب إليه يصعدان، قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

قال الدارمي: فإلىٰ من ترفع الأعمال، والله بزعمكم الكاذب مع العامل بنفسه في بيته ومسجده ومنقلبه ومثواه؟!! تعالىٰ الله عما يقولون علوًا كبيرًا» اهـ[1].

٥- قوله تعالىٰ مخاطبًا المسيح عليه الصلاة والسلام: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ

---

(١) «الردّ على الجهمية» (ص ٥٣).

يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

٦- أخبر تعالى عن تنزيله لآيات الكتاب في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٤].

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

وقوله: ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١ ـ ٢].

وقوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ١].

وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

قال أبو سعيد الدارمي رحمه الله: فظاهر القرآن وباطنه يدل على ما وصفنا من ذلك، نستغني فيه بالتزيل عن التفسير، ويعرفه العامة والخاصة، فليس منه لمتأول تأول، إلا لمكذب به في نفسه مستتر بالتأويل.

ويلكم!! إجماع من الصحابة والتابعين وجميع الأمة، من تفسير القرآن والفرائض والحدود والأحكام: نزلت آية كذا في كذا، ونزلت آية كذا في كذا ، ونزلت سورة كذا في مكان كذا، ولا نسمع أحدًا يقول : طلعت من تحت الأرض ، ولا جاءت من أمام ولا من خلف ولكن كله : نزلت من فوق. وما يصنع بالتنزيل من هو بنفسه في كل مكان؟

إنما يكون شبه مناولة لا تنزيلاً من فوق السماء مع جبريل، إذ يقول

سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، والرب بزعمكم الكاذب في البيت معه وجبريل يأتيه من خارج، هذا واضح، ولكنكم تغالطون.

فمن لم يقصد بإيمانه وعبادته إلى الله الذي استوى على العرش فوق سمواته، وبان من خلقه، فإنما يعبد غير الله ولا يدري أين الله» اهـ[1].

٧- قوله الله تعالى عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦ـ ٣٧]، دليل على أن فرعون كان يريد الاطلاع إلى الله تعالى في السماء، وذلك أن موسى وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا يدعونهم إلى الله بذلك.

*** وأما الأحاديث التي تدل على (العلو) فهي كثيرة منها:**

١- حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه قال: وكان لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل «أُحد والجوَّانيَّة» فاطلعتُ ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاةٍ من غنمها وأنا رجلٌ من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكةً، فأتيت رسول الله ﷺ فَعظَّمَ ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال «**ائتني بها**» فأتيته بها فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»[2].

قال أبو سعيد الدارمي: «ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس

(١) «الرد على الجهمية» (ص ٥٥).

(٢) رواه أحمد (٥/٤٤٨) ومسلم (١/٥٣٧).

بمؤمن، ولو كان عبداً فأعتق لم يجز في رقبة مؤمنة، إذ لا يعلم أن الله في السماء» اهـ[1].

٢- الأحاديث الكثيرة في معراج النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج، وقد تواترت[2] وأجمع عليها سلف الأمة وأئمتها[2].

٣- حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: «**إن الله لا ينام، ولاينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل..**»[3].

٤- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرُجُ الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم- وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**»[4].

٥- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**»[5].

٦- حديث أبي سعيد الخدري: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال

---

(١) «الرد على الجهمية» (ص ٣٩).

(٢) ذكر ذلك ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٢٩).

(٣) رواه أحمد (٤/٤٠٥) ومسلم (١/١٧٩).

(٤) رواه البخاري (٢/٥٥٥)، (٦/٣٢٢٣)، (١٣/ ٧٤٢٩، ٧٤٨٦)، ومسلم (١/ ٦٣٢).

(٥) رواه مسلم (٢/١٤٣٦ - ١٢١).

فقسمها.. وفيه فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء؟..**»[1].

٧- حديث أنس أن زينب كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوّجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات. وفي رواية: «وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء»[2] وغيرها من الأحاديث.

*** أما أقوال السلف في إثبات أن الله فوق العرش، فهي كثيرة ننقل ها هنا ما يتيسر:**

١- قال الشيخ أبو نصر السجزي[3] في كتاب «الإبانة» له:

«وأئمتنا كسفيان الثوري ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي: متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا..»[4].

٢- قال عبد الله بن المبارك وسأله علي بن الحسن بن شقيق: «كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا عز وجل؟ قال: «على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه ها هنا على الأرض»[5].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٦٧) ومسلم (٢/ ٧٤٢) مطولاً.

(٢) رواه البخاري (١٣/ ٧٤٢٠، ٧٤٢١).

(٣) هو عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي الحافظ، كان قيمًا بالأصول والفروع له تصانيف حسان منها «الإبانة». «المنتظم» (٨/ ٣١٠).

(٤) «نقض تأسيس الجهمية» (٢/ ٣٨).

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» (٢٢، ٥٩٨) وإسناده صحيح.

٣- وقيل ليزيد بن هارون: من الجهمية؟ فقال: «من زعم أن الرحمن على العرش استوىٰ علىٰ خلاف ما يَقِرُ في قلوب العامة فهو جهمي»[١].

٤- وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في العقيدة المشهورة عنه: «طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها، من غير تكييف، ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ علىٰ عرشه في سمائه دون أرضه»[٢].

٥- وقال الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي[٣] في كتابه «الحجة علىٰ تارك المحجة»: «إن قال قائل: قد ذكرت ما يجب علىٰ أهل الإسلام من

(١) أخرجه أبو داود في مسائله (٢٦٨ - ٢٦٩) وعبد الله في السنة (٥٤). وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٣) وسنده حسن إن شاء الله، وذكره الذهبي في «العلو» (مختصر العلو) (ص ١٦٧) وقال: (يَقِر) مخفف، و(العامة) مراده جمهور الأمة وأهل العلم، والذي وقر في قلوبهم من الآية، هو ما دل عليه الخطاب مع يقينهم بأن المستوىٰ ليس كمثله شيء، هذا الذي وقر في فطرهم السليمة، وأذهانهم الصحيحة، ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه، ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله، ولو نقل لاشتهر، فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجب نقصًا أو قياسًا للشاهد على الغائب، وللمخلوق على الخالق فهذا نادر، فمن نطق بذلك زُجر وعلِّم، وما أظن أن أحدًا من العامة يقر في نفسه ذلك، والله أعلم» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ما معناه أن الناس جميعًا بفطرهم السليمة يتوجهون عند الدعاء إلى العلو لا إلى اليمين ولا إلى الشمال، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، حتى يأتيهم من يجهمهم وينقلهم إلي التعطيل». انظر: «اجتماع الجيوش» (ص ٨٤).

(٢) «تلبيس الجهمية» لابن تيمية (٢/ ٤٠).

(٣) هو العلامة المحدث أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي، صاحب التصانيف، قال ابن عساكر: كان رحمه الله على طريقة واحدة من الزهد والتنزه عن الدنيا والتقشف، توفي في المحرم سنة تسعين وأربع مئة، وكتابه «الحجة» ذكر فيه أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة: «السير» (١٩/ ١٣٦)، «الأعلام» (٨/ ٢٠).

اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه الأئمة العلماء، والأخذ بما عليه أهل السنة والجماعة: فاذكر مذاهبهم، وما أجمعوا عليه من اعتقادهم، وما يلزمنا من المصير إليه من إجماعهم ؟ فالجواب: أن الذي أدركت عليه أهل العلم ومن لقيتهم وأخذت عنهم، ومن بلغني قوله من غيرهم - فذكر جمل اعتقاد أهل السنة، وفيه - وأن الله مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، كما قال في كتابه، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا»[1].

٦- وقال ابن عبد البر في كتابه «التمهيد» بعد أن ذكر حديث «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا...**» : وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات ، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم : إن الله عز وجل في كل مكان، وليس على العرش . والدليل على صحة ما قالوه أهل الحق في ذلك قول الله عز وجل: ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]، وقوله. . وذكر آيات الاستواء ، ثم قال : وقال جلَّ ذكره : ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [الأعلى: ١]، وكذلك قوله : ﴿**الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] و ﴿**الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾ [الرعد: ٩] و﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ**﴾ [غافر: ١٥] و﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾ [النحل: ٥٠] والجهمي يزعم أنه أسفل.

قال: وأما قوله تعالى: ﴿**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ**﴾ [الملك: ١٦]، فمعناه من على السماء، يعني على العرش، وقد يكون في بمعنى على، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**﴾ [التوبة: ٢]، أي : على الأرض، وكذلك قوله: ﴿**وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ [طه: ٧١]، وهذا كله يعضده قوله تعالى: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ**

---

(١) «تلبيس الجهمية» (٢/ ٤١).

إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ، وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب .

وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة ، وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوىٰ : استولىٰ . فلا معنىٰ له، لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنىٰ الاستيلاء في اللغة : المغالبة ، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد ، وهو الواحد الصمد ، ومن حق الكلام أن يحمل علىٰ حقيقته ، حتىٰ تتفق الأمة أنه أريد به المجاز ، إذ لا سبيل إلىٰ اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا علىٰ ذلك ، وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلىٰ الأشهر والأظهر من وجوهه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم.

ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مُدع ، ما ثبت شيء من العبارات وجلَّ الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها ، مما يصح معناه عند السامعين والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع علىٰ الشيء والاستقرار والتمكن فيه . قال أبو عبيدة في قوله تعالىٰ : ﴿اسْتَوَىٰ﴾ قال علا ، قال : وتقول العرب: استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت ، وقال غيره : استوىٰ أي : انتهىٰ شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد».

قال أبو عمر: الاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل وقال: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، وقال: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وقال: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء[1] قفرة ... وقد حلق النجم اليماني فاستوى

(١) «فيفاء»: بوزن صحراء ومعناها.

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى ، لأن النجم لا يستولي .

قال: ومن الحجة أيضًا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع، أن الموحدين أجمعين . من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة . رفعوا وجوههم إلى السماء ، يستغيثون ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد . ولا أنكره عليهم مسلم» اهـ[1].

٧- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن نقل جملة من أقوال سلف الأمة وعلمائها:

«ونقل أقوال السلف من القرون الثلاثة، ومن نقلَ أقوالهم في إثبات أن الله فوق العرش يطول، ولا يتسع له هذا الموضع؛ ولكن نبهنا عليه» اهـ[2].

*** النزاع في هذه المسألة محرم:**

والنزاع في إثبات العلو للرب سبحانه لا يجوز ، لأنه ليس من المسائل التي يجوز الاجتهاد فيها ، بل يجب التوقف عند النصوص الشرعية الواردة فيها.

قال شيخ الإسلام : ولم يكن هذا عندهم من جنس مسائل النزاع التي يسوغ فيها الاجتهاد ، بل ولا كان هذا عندهم من جنس مسائل أهل البدع المشهورين في الأمة : كالخوارج والشيعة[3] والقدرية، والمرجئة ؛

(١) «التمهيد» (٧/ ١٢٩ - ١٣٤).

(٢) «تلبيس الجهمية» (٢/ ٤١).

(٣) يعني المتقدمين منهم، كما نبه عليه محقق الكتاب.

بل كان إنكار هذا عندهم أعظم من هذا كله، وكلامهم في ذلك مشهور متواتر.

ولهذا قال الملقب بإمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة فيما رواه عنه الحاكم: «من لم يقل إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة»[1] اهـ.

قلت: وتكفير السلف لهم، منقولٌ في كتب السنة والعقائد بالأسانيد الصحيحة:

١- فقد فقال الحسن بن عيسى مولى عبد الله بن المبارك: كان ابن المبارك يقول: الجهمية كفار[2].

٢- وقال الحسن بن عيسى: الجهمية !! ومن يشك في كفر الجهمية[3].

٣- وقال عبد الرحمن بن مهدي: الجهمية يستتابون، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم[4].

٤- وقال إسحاق البهلول لأنس بن عياض بن ضمرة: أُصلي خلف الجهمية؟ قال: لا، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥][5].

---

(١) «تلبيس الجهمية» (٢/ ٤١ - ٤٢).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» (١٥) عنه، وإسناده صحيح، الحسن: هو أبو علي النيسابوري ثقة من رجال مسلم.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» (١٦) عنه.

(٤) المصدر السابق (٤٨) وإسناده صحيح.

(٥) المصدر السابق (٧٢) وإسناده حسن، ابن بهلول صدوق، وأنس ثقة من رجال الستة.

وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله وألهمه رشده ، وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه ، بل لا يزيده كثرة الأدلة إلا حيرةً وضلالاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

والحمد لله رب العالمين.

* * *

الحفيظ ـ الحافظ

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(٤٥ ، ٤٦)

*** المعنى اللغوي:**

قال ابن سيده : الحفظ نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة.

حفظ الشيء حفظًا، ورجل حافظ من قوم حفاظ[١].

قال الجوهري : حفظتُ الشيء حفظًا ، أي : حرسته ، وحفظته أيضًا بمعنى استظهرته ، والمحافظة : المراقبة[٢].

قال الأزهري : رجلٌ حافظ وقومٌ حُفَّاظٌ ، وهم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا ، وقلّما ينسون شيئًا يعونه[٣].

قال الزجاجي : (الحفيظ) : الحافظ ، فعيل بمعنى فاعل.

وقال : حفظت الرجل: إذا أغضبته، أحفظه إحفاظًا، والحِفظة: الحقد والضغينة[٤].

*** ورودها في القرآن الكريم:**

ورد اسمه (الحفيظ) ثلاث مرات : في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾ [هود: ٥٧].

---

(١) «اللسان» (٢/ ٩٢٩).

(٢) «الصحاح» (٣/ ١١٧٢).

(٣) «اللسان» (٢/ ٩٢٩).

(٤) «اشتقاق الأسماء» (ص ١٤٦)، وانظر: «تفسير الأسماء» للزجاج (ص ٤٨) و «المفردات» للراغب (ص ١٢٤).

وقوله : ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١].

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الشورى: ٦].

وأما (الحافظ) فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالىٰ: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤][1].

وورد مرتين بصيغة الجمع في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقوله : ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

*** معنىٰ الاسمين في حق الله تعالىٰ :**

قال الخطابي : هو الحافظ، فعيل بمعنىٰ فاعل ، كالقدير والعليم ، يحفظ السماوات والأرض وما فيها، لتبقىٰ مدة بقائها، فلا تزول ولا تُدْثَر، كقوله عز وجل : ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٧]، أي: حفظناها حفظًا والله أعلم.

وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ويقيه مصارع السوء كقوله سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] ، أي : بأمره . ويحفظ علىٰ الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم

(١) قال ابن جرير (١٣/ ٨) : «و اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ بمعنى: والله خيركم حفظًا، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض أهل الكوفة ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ بالألف علىٰ توجيه الحافظ إلى أنه تفسير للخير، كما يقال: هو خير رجلاً، والمعنىٰ: فالله خيركم حافظًا، ثم حذفت الكاف والميم، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنىٰ، قد قرأ بكل واحدة منهما أهل علمٍ بالقرآن، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظًا فقد وصفه بأنه خيرهم حافظًا، ومن وصفه بأنه خيرهم حافظًا فقد وصفه بأنه خيرهم حفظًا» اهـ.

أقوالهم ، يعلم نياتهم وما تكِنُّ صدورهم ، ولا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية .

ويحفظ أولياءه ، فيعصمُهم عن مواقعة الذنوب ، ويحرسهم عن مُكايَدة الشيطان ، ليسلموا من شره ، وفتنته اهـ[1] .

وقال الحليمي : «(الحافظ) ومعناه : الصائن عبده عن أسباب الهلكة في أمور دينه ودنياه اهـ[2] .

قال القرطبي : فهذا الاسم يكون من أوصاف الذات ، ومن أوصاف الفعل .

فإذا كان من أوصاف الذات فيرجع إلى معنى (العليم) ، لأنه يحفظ بعلمه جميع المعلومات فلا يغيب عنه شيء منها ، كما يقال : فلان يحفظ القرآن، أي: هو حاضر في قلبه، وفي مقابلة هذا الحفظ النسيان ، وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] ، وقوله : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] .

وإذا كان من صفات الفعل ، فيرجع إلى حفظه للوجود ، وضد هذا الحفظ: الإهمال ، و[على] هذا خرج قوله تعالى : ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [يوسف: ٦٤] .

وقال : والحفظ أيضًا قد يكون بمعنى الجمع والوعي ، من ذلك قولهم : حفظت القرآن ، أي : جمعته ، إذا قرأته عن ظهر قلب ، وحفظت المتاع، إذا جمعته في الوعاء، والوعيُ والجمعُ حراسة فاعلم.

وقد يكون بمعنى الرقبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ

(١) «شأن الدعاء» (ص ٦٧ - ٦٨).

(٢) «المنهاج» (١/ ٢٠٤).

﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الشورى: ٦].

وقد يكون الحفظ بمعنى الأمانة، ومنه قول يوسف عليه السلام ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، أي: جَموعٌ لما يكون في الخزائن من مظان حقوقها، منوع لها من غير واجبها.

وقد يكون بمعنى الإحصاء عدداً وعلماً» اهـ[١].

وقال ابن القيم في نونيته:

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـ ـل بحفظهم من كل أمر عان[٢]

وقال عبد الرحمن السعدي: (الحفيظ): الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها[٣].

*** آثار الإيمان بهذين الاسمين:**

١- إن الحافظ لهذه السماوات السبع والأرض وما فيهما هو الله وحده لا شريك له.

فهو سبحانه يحفظ السماوات أن تقع على الأرض كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، أي: كالسقف على البيت، قاله الفرّاء[٤]، وهو كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ

(١) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٣٣٦).

(٢) «النونية» (٢/٢٢٨).

(٣) «تيسير الكريم» (٥/٣٠١-٣٠٢).

(٤) «معاني القرآن» (٢/٢٠١) وكذا في «تفسير ابن كثير» (٣/١٧٧) فقد قال: وقوله ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي: على الأرض وهي كالقبة عليها.

أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال بعض المفسرين في قوله ﴿مَّحْفُوظًا﴾ أي: من الشياطين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨][١].

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين، قد رجمه الله ولعنه، ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ يقول: لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يَحدثُ في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه إما بإخباله وإفساده، أو بإحراقه» اهـ[٢].

وقيل: محفوظًا من الهدم والنقض، وعن أن يبلغه أحدٌ بحيلة.

وقيل: محفوظًا فلا يحتاج إلى عماد[٣].

(١) قال بعض العلماء في قوله: ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ هو استثناء منقطع، منهم الرازي فقد قال: «لا يمكن حمل لفظة «إلا» هاهنا على الاستثناء بدليل أن إقدامهم على استراق السمع لا يخرج السماء من أن تكون محفوظة منهم إلا أنهم ممنوعون من دخولها، وإنما يحاولون القرب منها، فلا يصح أن يكون استثناء على التحقيق، فوجب أن يكون معناه: لكن من استرق السمع» اهـ. «التفسير» (٩/ ١٦٩).
وقال القرطبي بعد أن ذكر قول الرازي: «وقيل: هو متصل، أي: إلا ممن استرق السمع، أي: حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئًا من الوحي وغيره إلا من استرق السمع فإنا لم نحفظها منه أن تسمع الخبر من أخبار السماء، سوى الوحي، فأما الوحي فلا تسمع منه شيئًا لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] وإذا استمع الشياطين إلى شيء ليس بوحي فإنهم يقذفونه إلى الكهنة في أسرع من طرفة عين، ثم تتبعهم الشهب فتقتلهم أو تخبلهم» اهـ «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ١٠ - ١١) وانظر: «أضواء البيان» (٣/ ١٢٢) فقد ذكر القولين.

(٢) «جامع البيان» (١٤/ ١١).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ٢٨٥).

والله يحفظ ذلك كله بلا مشقة ولا كلفة، ودون أدنى تعب أو نصب، كما قال سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- أن المحفوظ هو ما حفظه الله سبحانه وتعالى وشاء له أن يحفظ ويبقى، وأما من شاء الله سبحانه أن يضيع أو يضمحل ويضعف أو يهلك، فإنه ضائع هالك لا محالة.

فقد تكفل الله بحفظ كتابه العزيز من التحريف والتغيير والتبديل، على مرِّ العصور والدهور، قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فبقى كذلك ـ كما قال سبحانه ـ هذه القرون الطويلة محفوظًا بحفظ الله تعالى له، فهو من آيات الله الظاهرة للعيان، الدالة على صدق وعد الله جل شأنه.

ولقد أتى على المسلمين أيام فتن سوداء، انتشر فيها أهل البدع والأهواء، وأدخلوا على هذا الدين أنواع المحدثات، وافتروا على رسول الأمة ﷺ أنواع المفتريات، ولكنهم عجزوا جميعًا عن أن يحدثوا في هذا القرآن شيئًا، أو أن يغيّروا فيه حرفًا واحدًا، فبقي كما هو، وبقيت نصوصه كما أنزلها الله على نبيه ﷺ(١).

وكذا أماكن العبادة، فإن المحفوظ منها هو ما حفظه الله سبحانه

(١) وأما الكتب السابقة التي لم يكتب الله عز وجل لها البقاء والحفظ، فوكل حفظها إلى الناس كما قال سبحانه: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤] فما حفظها أهل الكتاب - إلا من رحم الله منهم - ولا رعوها حق رعايتها، فحرفوها وبدلوا آياتها، كما قصَّ الله ذلك في القرآن.

وتعالىٰ وهو خير حافظًا.

قال ابن تيمية رحمه الله عن آيات الله العظيمة : وكذلك الكعبة ، فإنها بيت من حجارة بوادٍ غير ذي زرع، ليس عندها أحد يحفظها من عدو ، ولا عندها بساتين وأمور يرغب الناس فيها ، فليس عندها رغبة ولا رهبة ، ومع هذا فقد حفظها بالهيبة والعظمة ، فكل من يأتيها يأتيها خاضعًا ذليلاً متواضعًا في غاية التواضع ، وجعل فيها من الرغبة ما يأتيها الناس من أقطار الأرض محبة وشوقًا من غير باعث دنيوي ، وهي علىٰ هذه الحال من ألوف من السنين ، وهذا مما لا يعرف في العالم لبنية[1] غيرها ، والملوك يبنون القصور العظيمة فتبقىٰ مدة ، ثم تهدم لا يرغب أحد في بنائها ولا يرهبون من خرابها.

وكذلك ما بُني للعبادات قد تتغير حاله علىٰ طول الزمان، وقد يستولي العدو عليه كما استولىٰ علىٰ بيت المقدس، والكعبة لها خاصة ليست لغيرها، وهذا مما حَيَّرَ الفلاسفة ونحوهم، فإنهم يظنون أن المؤثر في هذا العالم هو حركات الفلك، وأن ما بني وبقي فقد بُني بطالع سعيد، فحاروا في طالع الكعبة إذ لم يجدوا في الأشكال الفلكية ما يوجب مثل هذه السعادة والفرح والعظمة والدوام والقهر والغلبة، وكذلك ما فعل الله بأصحاب الفيل لما قصدوا تخريبها قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١ – ٥].

قصدها جيش عظيم ومعهم الفيل، فهرب أهلها منهم فبرك الفيل

(١) بنية على وزن فعلية كناية عن الكعبة، يقول العرب: لا ورب هذه البنية.

وامتنع من المسير إلى جهتها ، وإذا وجهوه إلى غير جهتها توجه ، ثم جاءهم من البحر طير أبابيل أي جماعات في تفرقة فوجًا بعد فوج رموا عليهم حصى هلكوا به كلهم ، فهذا مما لم يوجد نظيره في العالم، فآيات الأنبياء هي أدلة على صدقهم » اهـ [1].

٣ ـ والله سبحانه وحده هــو الذي يحفـظ الإنسان من الشرور والآفات والمهالك ، ويحفظه من عقابه وعذابه وسخطه ، إنْ هو حفظ حدود الله واجتنب محارمه ، فبتقوى الله وخوفه يُحفظ الإنسان ، وبقدر ذلك يكون الحفظ والكلاءة ، قال تعالى ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ [النساء: ٣٤] ، فالآية تدل على ذلك ، فلأنهن صالحات حافظات لمغيب أزواجهن ـ من عرض ومال وولد ـ حفظهن الله سبحانه ، وأعانهن وسددهن على ذلك.

فبحفظهن الله ـ أي أمره ودينه ـ حفظهن الله . وجاء في الحديث قوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : « يا غلام إني مُعلِّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . . . » [2].

---

(١) « النبوات » (ص ١٦٠ ـ ١٦١).

(٢) رواه أحمد (١/٢٩٣) والترمذي (٤/٢٥١٦) وأبو يعلى (٤/٢٥٥٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/١٤٨ ـ ١٤٩) كلهم عن الليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال له رسول الله ﷺ : «يا غلام إني معلمك . . . ».

قال الترمذي : حسن صحيح ، وقال ابن رجب في « نور الاقتباس » (ص٣١) : وأجود أسانيده من رواية حنش عن ابن عباس التي ذكرناها ، وهو إسناد حسن لا بأس به اهـ.

وهو كما قال ، قيس بن الحجاج ، قال فيه أبو حاتم : صالح ، وقال الحافظ : صدوق . وللحديث طرق كثيرة ، وهذا أجودها كما قال ابن رجب .

قال ابن رجب رحمه الله [1]: يعني احفظ حدود الله ، وحقوقه وأوامره ونواهيه ، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ،وعند حدوده فلا يتجاوز ولا يتعدي ما أمر به إلى ما نهي عنه،فدخل في ذلك فعل الواجبات جميعًا وترك المحرمات جميعًا»اهـ[2].

وقد مدح الله سبحانه عباده الذين يحفظون حقوقه وحدوده فقال في معرض بيانه لصفات المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴿ **وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة: ١١٢] .

وقال : ﴿ **هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ** ﴾ [ق: ٣٢، ٣٣] .

٤ ـ ومن أعظم ما يجب على المسلم حفظه من حقوق الله هو التوحيد ، أن يعبده ولا يشرك به شيئًا ، كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه إذ قال له رسول الله ﷺ : « **يا معاذ بن جبل ! قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بن جبل ! قلت : لبيك**

---

(١) هو زين الدين عبد الرحمن بن الحسين بن محمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب ولد سنة (٧٣٦ هـ) قال ابن فهد المكي : الإمام الحافظ الحجة والفقيه العمدة ، أحد العلماء الزهاد ، والأئمة العباد ، مفيد المحدثين ، واعظ المسلمين... وقال : له المؤلفات السديدة والمصنافت المفيدة اهـ . من كتبه «شرح للبخاري» لم يكمله و«شرح الترمذي» نحو عشرين مجلدًا ، و«الذيل على طبقات الحنابلة» ، توفي في شهر رجب من سنة (٧٩٥ هـ) رحمه الله . «لحظ الألحاظ» (ص١٨٠ ـ ١٨٢) ، «الدرر الكامنة» (٢/ ٢٣١ ـ ٣٢٢) .

(٢) نور الاقتباس (ص٣٤).

رسول الله وسعديك ، قال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أن لا يعذبهم » [1].

فهذا هو الحق العظيم الذي أمر الله سبحانه عباده أن يحفظوه ويراعوه ، وهو الذي من أجل حفظه أرسل الرسل وأنزل الكتب .

فمن حَفِظه في الدنيا ، حفظه الله تعالى من عذابه يوم القيامة ، وسلَّمه وأمَّنه منه ، وكان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ويجيره من النار .

وإن عذب بسبب ذنوبه ، فإنه أيضًا محفوظ بتوحيده من الخلود في نار جهنم مع الكفار الذين ضيَّعوا هذا الحق العظيم.

٥ ـ ومن أعظم ما أمر بحفظه من الواجبات : الصلاة ، قال تعالى ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ** ﴾ [البقرة: ٢٣٨] . وقال ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩] وفي [المعارج : ٣٤] .

فمن حافظ على الصلوات وحفظ أركانها ، حفظه الله من نقمته وعذابه وكانت له نجاة يوم القيامة . قال ابن القيّم رحمه الله : والصلاة مجلبة للرزق ، حافظة للصحة ، دافعة للأذى ، مطردة للأدواء ، مقوية للقلب ، مبيضة للوجه ، مفرحةٌ للنفس ، مذهبةٌ للكسل ، منشطةٌ للجوارح . ممدة للقوي ، شارحة للصدر ، مغذية للروح ، منوِّرة للقلب، حافظةٌ للنعمة ، دافعة للنقمة ، جالبة للبركة ، مبعدة من الشيطان ، مقربة من الرحمن.

وبالجملة : فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما ، وما ابتلى رجلان بعاهة أو داءٍ أو محنةٍ أو

(١) رواه البخاري (١٠/٣٩٧) ومسلم (١٠/٥٨ ـ ٥٩) عن معاذ.

بليةٍ إلاّ كان حظ المصلّى منهما أقل ، وعاقبته أسلم .

وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا ، ولا سيما إذا أعطيت حقها من التكميل ظاهرًا وباطنًا ، فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة ، ولا استجلبت مصالحها بمثل الصلاة.

وسِرُّ ذلك : إن الصلاة صلةٌ بالله عز وجل ، وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل تفتح عليه من الخيرات أبوابها ، وتقطع عنه من الشرور أسبابها ، وتفيض عليه موارد التوفيق من ربه عزّ وجلّ ، والعافية ، والصحة ، والغنيمة والغنى ، والراحة والنعيم ، والأفراح والمسرات ، كلها مُحضَرةٌ لديه ، ومسارعةٌ إليه اهـ [1].

ومما جاء في أن الصلاة تحفظ صاحبها قوله ﷺ عن الله عزَّ وجل أنَّه قال: « **يا ابْنَ آدم ! اركعْ لي مِنْ أولِ النَّهار أربع ركعات أكْفكَ آخره** » [2].

وقيل إن الصلاة تحفظ صاحبها الحفظ الذي نبَّه عليه في قوله : ﴿إنَّ

---

(١) « الطب النبوي » (ص٣٣٢).

(٢) صحيح : رواه الترمذي (٢/ ٤٧٥) وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٣٧) عن عبد الأعلى بن مسهر حدثنا إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذر . قال الترمذي : حسن غريب ، قال المنذري في « الترغيب » (١/ ٢٣٦) : في إسناده إسماعيل بن عياش ، ولكنه إسناد شامي اهـ. قلت : فإسناده حسن.

ورواه أحمد (٦/ ٤٤٠ ، ٤٥١) عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد عن أبي الدرداء بلفظ « يا بن آدم لا تعجز من الأربع ركعات أول نهارك أكفك آخره » قال المنذري في «الترغيب» (١/ ٢٣٦): ورواته كلهم ثقات اهـ وكذا قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦). قلت: وهو كما قال، لكن شريح بن عبيد لم يسمع من أبي الدرداء، كما في «التهذيب» (٤/ ٣٢٨ ، ٣٢٩). ورواه أحمد (٤/ ١٥٣ - ٢٠١) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٧٥٧) عن أبان بن يزيد عن قتادة عن نعيم بن همار عن عقبة بن عامر مرفوعًا به . =

الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] (١)وأما من ضيَّع الصلاة فقد توعده الله سبحانه بالهلاك والشر العظيم .

قال سبحانه ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] .

ومما أمر الله بحفظه السمع والبصر والفؤاد ، قال سبحانه ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦] . فاحفظ سمعك ، فلا تسمع إلاَّ ما يرضيه ، واحفظ بصرك فلا تنظر إلاَّ إلى ما يرضيه ، واحفظ قلبك وعقلك من أن يتعلق بما

قال المنذري (١/٢٣٦) : رواه أحمد وأبو يعلي ، ورجال أحدهما رجال الصحيح اهـ. كذا قال ! مع أن إسنادهما واحد ، وفيه عنعنة قتادة وهو مدلس.

وروه أحمد (٥/٢٨٦ ـ ٢٨٧) وأبو داود (٢/١٢٨٩) عن الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز ثنا مكحول عن كثير بن مرَّة عن نعيم بن همَّار به ، (وقد سقط كثير من سند أحمد) . قال عبد الله: قال أبي : ليس بالشام رجل أصح حديثًا من سعيد بن عبد العزيز. وسنده صحيح لولا ما يخشى من إرسال مكحول ، لكن كثير بن مرة تابعي فسماع مكحول منه محتمل جدًا .

وقد تابع أبو الزاهرية (وهو حدير بن كريب) مكحولاً عند أحمد أيضًا (٥/٢٨٦ ـ ٢٨٧) وأبو الزاهرية صدوق من رجال مسلم . وتابعهما أيضًا سليمان بن موسى ومحمد بن راشد الدمشقي عند أحمد (٥/٢٨٧) والدارمي (١/٣٣٨) ورواه أحمد (٥/٢٨٧) عن مكحول عن ابن مرة الغطفاني به .

والظهر أنه كثير بن مرة كما قال الحافظ في «التهذيب» (١٢/٢٢٩) و«التقريب» (ص٦٧٢). فالحديث بهذه الطرق ثابت بلا ريب .

فائدة : قال المناوي في « فيض القدير » (٤/٤٦٩) : قال ابن تيمية : هذه الأربع عندي هي : الفجر وستتها وبه ردَّ تلميذه ابن القيم على من استدل بها على سنة الضحى اهـ.

قلت : وقد أورد أبو داود الحديث في « باب صلاة الضحى » وكذا المنذري والهيثمي .

(١) « المفردات » للراغب (ص ١٢٤).

يغضبه ويسخطه ، وينشغلا بغيره .

٧ ـ ومما أمر سبحانه وتعالى بحفظه الفروج ، قال سبحانه ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ ، ومدح المؤمنين بذلك فقال ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦] وقال ﷺ : « **من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة** » [(١)].

٨ ـ ومما أمر الله بحفظه الأيمان ، فقال : ﴿ **وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ** ﴾ [المائدة: ٨٩] ، لأن حفظ اليمين يدل على إيمان المرء وورعه ، فكثير من الناس يتساهل في الحلف والقسم ، وقد تلزمه الكفارة وهو لا يدري، أو يعجز عنها ، فيقع في الإثم لتضييعه وعدم حفظه لأيمانه واستقصاء هذا يطول.

وبالجملة فالمؤمن مأمور بحفظ دينه أجمع، فلا يترك منه شيئًا لتعارضه مع هواه ومصلحته، بل هو مطيع لربه على أي حال، وفي كل زمان ومكان.

وكلما كان وفاءه بحفظ حدود الله وشرائعه أعظم ، كان حفظ الله له كذلك ، قال تعالى ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ** ﴾ [البقرة: ٤٠] .

وقال ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٥٢]

وقال ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ** ﴾ [محمد: ٧] .

قال ابن رجب رحمه الله : وحفظ الله سبحانه له يتضمن نوعين :

أحدهما حفظه له في مصالح دنياه ، كحفظه في بدنه وولده وماله.

وفي حديث ابن عمر قال : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٣٠٨) عن سهل بن سعد ، وأخرجه أيضًا (١٢/ ١١٣) عن سهل بلفظ : «**من توكل لي ما بين ...**».

الدعوات حين يمسي وحين يصبح : « **اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي**»[1].

قال : ودعا رجل لبعض السلف بأن يحفظه الله ، فقال له : يا أخي لا تسأل عن حفظه ولكن قل يحفظ الإيمان .

يعني أن المهم هو الدعاء بحفظ الدين ، فإن الحفظ الدنيوي قد يشترك فيه البر والفاجر ، فالله تعالى يحفظ على المؤمن دينه ،ويحول بينه وبين ما يفسده عليه بأسباب قد لا يشعر العبد ببعضها وقد يكون يكرهه.

وهذا كما حفظ يوسف عليه السلام ـ قال ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٤] . فمن أخلص لله خلَّصه من السوء والفحشاء وعصمه منهما من حيث لا يشعر ، وحال بينه وبين أسباب المعاصي المهلكة . قال : وفي الجملة فيمن حفظ حدود الله وراعى حقوقه ، تولي الله حفظه في أمور دينه ودنياه ، وفي دنياه وآخرته.

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٥) وأبو داود (٥/ ٥٠٧٤) والنسائي (٨/ ٢٨٢) وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٦٦) وابن ماجه (٣٨٧١) وابن حبان (٢٣٥٦ ـ موارد) والحاكم (١/ ٥١٧ ـ ٥١٨) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٧٢ ـ ١٧٣) عن عبادة بن مسلم حدثني جبير بن أبي سليمان بن مطعم عن ابن عمر به .
وإسناده صحيح ، رجاله ثقات.

وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه ولي المؤمنين ، وأنه يتولي الصالحين ، وذلك يتضمن أنه يتولي مصالحهم في الدنيا والآخرة ، ولا يكلهم إلى غيره قال تعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

وقال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١] وقال ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] ، وقال ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] (١).

٩ ـ الله سبحانه يحفظ أعمال عباده فلا يضيع شيء منها ولا يخفى عليه ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، ويوافيهم بها يوم الحساب إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، ولا ينسى الله منها شيئًا وإن نسيه الناس ، قال تعالى ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦] ، وقال ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ [النبأ: ٢٩] . وقد وكَّل الله بذلك حفظة كرامًا من الملائكة.

قال تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] .

وقال ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: ٤] ، وغيرها. ولا يسقط من هذه الصحف شيئ ولو صغر ، قال تعالى :﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] وقال ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣] .

---

(١) من نور الإقتباس ، باختصار.

وهذا الأمر ليس من مهام الرسل ولا أتباع الرسل ، بل هو لله وحده كما قال سبحانه في ذلك ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤] .

وقال عن شعيب عليه السلام في خطابه لقومه ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٦] .

وقال تعالى ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] وغيرها .

١٠ ـ يجوز إطلاق هذا الاسم على الخلق [1]، فقد جاء ذلك في قوله تعالى ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢] . وقال يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] .

(١) انظر المعنى اللغوي لهذا الإسم.

المُقيت

جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه

(٤٧)

* **المعنى اللغوي :**

قال الزجاج : قال أهل اللغة : إن المُقيتَ المقتدر على الشيء ، وقال الله عزَّ ذكره ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥] يريدُ ـ والله أعلم ـ مقتدراً .

وقال الشاعر :

أليَ الفضلُ أم عليَّ إذا حُو   سبت إني على الحساب مقيتُ (١)

كذا قال في تفسير الأسماء.

وفي اللسان : قال الزجاج : إن « المقيت » بمعنى الحافظ والحفيظ، لأنه مشتق من القوتِ ، أي مأخوذ من قولهم :قَتُّ الرجل أَقوتُهُ ، إذا حفظتَ نفسه بما يقوته ، والقوت : اسم الشيء الذي يحفظ نفسه.

قال : فمعنى المقيت على هذا : الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ ، قال : وعلى هذا فُسِّر قوله عز وجل ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥] أي حفيظًا اهـ. (٢).

---

(١) « تفسير الأسماء » (ص٤٨ ـ ٤٩) والبيت للسموأل بن عادياء في ديوانه (٨١) وهو في «الصحاح» (١/ ٢٦٢) ، و«اللسان» (٥/ ٣٧٦٩).

(٢) « اللسان » (٥/ ٣٧٦٩).

وقال الزَّجّاجي : المقيت : المقتدر على الشيء ، يقال : أقات على الشيء إذا اقتدر عليه ، قال الشاعر :

وذي ضغنٍ كَفَفتُ النفس عنه   وكنتُ على مساءته مقيتًا [(١)]

قال الأزهري : المقيت ، الميم فيه مضمومة وليست بأصلية ، وهو في المعتلاّت[(٢)] .

قال القرطبي رحمه الله : هو اسم الفاعل من أقات يقيت إقاتةً فهو مقيت ، والياء فيه بدل من الواو لأنه مشتق من القوت [(٣)].

*** وروده في القرآن الكريم :**

ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا**﴾ [النساء: ٨٥] .

*** المعنى في حق الله تعالى :**

قال ابن جرير رحمه الله : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا**﴾ [النساء: ٨٥] .

فقال بعضهم تأويله : وكان الله على كل شيء حفيظًا وشهيدًا .

وقال آخرون معنى ذلك : القائم على كل شيء بالتدبير . وقال

---

(١) «اشتقاق الأسماء» (ص ١٣٦)،والبيت مختلف في نسبته ، انظر «اللسان» (٥/ ٣٧٦٩).

(٢) «اللسان» (٦/ ٤٢٤٢) ، وفي «شرح الأسماء» للزاري (ص ٢٦٧) : قال الأزهري : وأخبرت عن شمر أنه قال : ثلاثة أحرف في كتاب الله نزلت بلغة قريش « فسينغضون إليك رؤوسهم » أي يحركونها ، وقوله « فشرد بهم من خلفهم » أي نكل بهم من وراءهم، وقوله « وكان الله على كل شيء مقيتًا » أي مقتدراً.

(٣) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٢٣).

آخرون : هو القدير .

ثم قال : والصواب من هذه الأقوال ، قول من قال : معنى المقيت، القدير ، وذلك أن ذلك فيما يذكر كذلك بلغة قريش وينشد للزبير بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ :

وذي ضغنٍ كَفَفتُ النفس عنه　　　وكنتُ على مساءته مقيتًا

أي : قادرًا.

وقد قيل : إن منه قول النبي ﷺ « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقيت** »[1]. وفي رواية من رواها « يقيت » يعني : من هو تحت يديه

---

(١) حديث حسن : رواه أبو داود الطيالسي (٢٢٨١) وأحمد (٢/ ١٦٠،١٩٣ ، ١٩٤، ١٩٥) وأبو داود (٢/ ١٦٩٢) والنسائي في الكبري - كما في التحفة (٦/ ٣٨٧) - والحاكم (١/ ٤١٥) والبيهقي (٧/ ٤٦٧) عن أبي إسحاق سمعت وهب بن جابر يقول : إن مولى لعبد الله بن عمرو قال له : إني أريد أن أقيم هذا الشهر هنا في بيت المقدس ، فقال له : تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر ؟ قال : لا ، قال : فارجع إلى أهلك فاترك لهم ما يقوتهم ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت** » قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وهب بن جابر من كبار تابعي الكوفة ! ووافقه الذهبي ! مع أنه قال في «الميزان» (٤/ ٣٥٠) : لا يكاد يعرف اهـ .وقال عنه ابن المديني مجهول ، ووثقه ابن معين والعجلي وقال الحافظ : مقبول .

وله شاهد أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٣٤١٤) عن إسماعيل بن عياش عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا به.

قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٢٥) : رواه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش عن موسى بن عقبة (وقع في المجمع : عتبة وهو خطأ) ورواية إسماعيل عن الحجازيين ضعيفة اهـ . والحديث بهذين الطريقين حسن إن شاء الله .

ويشهد له ما أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٢) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢٢) (٥/ ٢٣).

عن طلحة بن مُصرف عن خيثمة قال : كنا جلوسًا مع عبد الله بن عمرو إذ جاءه قهرمان له فدخل ، فقال: أعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال: لا، قال فانطلق فأعطهم ، قال : قال=

وفي سلطانه من أهله وعياله ، فيقدر له قوته ، يقال منه أقات فلان الشيء يقيته إقاتةً ، وقاته يقوته قياتةً ، والقوت الإسم.

وأما المقيت في بيت اليهودي الذي يقول فيه :

ليت شعري وأشعرن إذا ما قرَّبوها منشورة ودعيت
ألِيَ الفضل أم عليَّ إذا حو سبت إني على الحساب مقيت

فإن معناه: فإني على الحساب موقوف، وهو من غير هذا المعنى اهـ[1].

واختار أن معنى (المقيت) : القدير ، الفرَّاء [2]، والخطابي [3]، وابن قتيبة [4].

قال ابن العربي : وقد قال علماء اللغة أنه بمعنى (القادر) وليس فيه على هذا أكثر من السماع ، فلو رجعنا إلى الاستقراء وتتبع مسالك النظر لجعلناه في موارده كلها بمعنى القوت، ولكن السماع يقضي على النظر .

وعلى القول بأنه « القادر » يكون من صفات الذات.

وإن قلنا إنه اسم للذي يعطي القوت فهو اسم للوهاب والرزاق ، ويكون من صفات الأفعال اهـ [5].

وقال القرطبي بعد أن ذكر المعنى اللغوي : فالمعنى أن الله تعالى يعطي

= رسول الله ﷺ « كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته ».

(١) « التفسير » (٥/١١٨ ـ ١١٩) ، وقد ذكر آثارًا في بيان معنى المقيت عن ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد ، أعرضت عن إيرادها لضعف أسانيدها.

(٢) « معاني القرآن » (١/ ٢٨٠).

(٣) « شأن الدعاء » (ص٦٨) ، وقال : والمقيت أيضًا : معطي القوت.

(٤) « غريب القرآن » (ص١٣٢) ، وقال : المقيت أيضًا : الشاهد للشيء الحافظ له.

(٥) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٢٤)

كل إنسان وحيوان قوته على ممر الأوقات ، شيئًا بعد شيء ، فهو يمدها في كل وقتٍ بما جعله قوامًا لها ، إلى أن يريد إبطال شيء منها فيحبس عنه ما جعله مادةً لبقائه فيهلك اهـ [1].

وقال في التفسير : وقال أبو عبيدة :المقيت الحافظ ، وقال الكسائي : المقيت المقتدر.

وقال النحاس : وقول أبي عبيدة أولى لأنه مشتق من القوت ، والقوت معناه مقدار ما يحفظ الإنسان [2].

وفي المقصد : المقيت معناه خالق الأقوات ، وموصلها إلى الأبدان وهي الأطعمة ، و إلى القلوب وهي المعرفة ، فيكون بمعنى « الرزاق » إلا أنه أخص منه إذ الرزق يتناول القوت وغير القوت ، والقوت ما يُكتفى به في قوام البدن.

وأما أن يكون بمعنى المستولي على الشيء ، القادر عليه ، والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم ، وعليه يدل قوله تعالى ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا** ﴾ [النساء: ٨٥] ، أي : مطلعًا قادراً ، فيكون معناه راجعًا إلى القدرة والعلم، أما العلم فقد سبق ، وأما القدرة فستأتي ، ويكون بهذا المعنى وصفه بـ (المقيت) أتم من صفته بالقادر وحده وبالعالم وحده ، لأنه دالٌ على اجتماع المعنيين ، وبذلك يخرج هذا الاسم عن الترادف اهـ [3].

---

(١) الكتاب الأسنى (ورقة ٣٢٤) وهو ناقل عن الحليمي ، انظر « المنهاج » (١/ ٢٠٣) . وذكر المعنيين النسفي في تفسيره (١/ ٢٤٠).

(٢) القرطبي (٥/ ٢٩٦) ، وقول أبي عبيدة في « مجاز القرآن » (١/ ١٣٥).

(٣) المقصد الأسنى (ص٧١) وفي «الحجة» للأصبهاني (ق ٢٣ أ) قال : يُنزل الأقوات للخلق، ويقسم أرزاقهم ، وقيل : (المقيت) القدير.

وقال عبد الرحمن السعدي رحمه الله : المقيت الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات ، وأوصل إليها أرزاقها ، وصرَّفها كيف يشاء بحكمته وحمده [1].

*** آثار الإِيمان بهذا الاسم :**

١ ـ إنَّ الله هو (المقيت) أي القدير على كلّ شيء ، وسيأتي بسط الكلام على ذلك في (القدير) إن شاء الله تعالى .

٢ ـ إنَّ الله سبحانه وتعالى هو المعطي لأقوات الخلق صغيرهم وكبيرهم ، قويهم وضعيفهم ، غنيّهم وفقيرهم ، قال تعالى **﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** [هود: ٦].

وقد قدَّر الله ذلك كلّه عند خلقه للأرض ، قال تعالى **﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾** [فصلت: ١٠].

قال ابن كثير : وقدَّر فيها أقواتها ، وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس [2].

وقال القرطبي : معنى « قدَّر فيها أقواتها » أي أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والأشجار والمنافع في كلّ بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلدٍ إلى بلدٍ [3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٣٠٢).

(٢) « التفسير » (٤/ ٩٣)

(٣) « التفسير » (١٥/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

٣ ـ قال القرطبي في الأسنى : وقد يقوت الأرواح إدامة المشاهدة ولذيذ المؤانسة ، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ [يونس: ٩][١].

وإلى هذا أحد أوجه قوله عليه الصلاة والسلام : « **إنِّي لست كهيئتكم إنّي أبيت يطعمني ربّي ويسقيني** »[٢].

وأنشدوا :

فقوتُ الروح أرواح المعاني   وليس بأن طعمتَ وأن شربْتا

فلكلِّ مخلوق قوت ، فالأبدان قوتها المأكول والمشروب ، والأرواح قوتها العلوم ، وقوت الملائكة التسبيح ، وبالجملة فالله سبحانه هو المقيت لعباده ، الحافظ لهم ، والشاهد لأحوالهم ، والمطّلع عليهم، وقد تضمّن هذا الاسم جميع الصفات.

فيجب على كل مكلّفٍ أن يعلم أنَّ لا قائم بمصالح العباد إلاّ الله سبحانه ، وأنَّه الذي يقوتهم ويرزقهم .

وأفضل رزق يرزقه الله العقل ، فمن رزقه العقل أكرمه ، ومن حرمه ذلك فقد أهانه اهـ [٣].

* * *

(١) قال في التفسير (٨/ ٣١٢) : ﴿ **يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ** ﴾ أي يزيدهم هداية كقوله : ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾.

(٢) رواه البخاري (٤/ ٢٠٢) ومسلم (٢/ ٧٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها وهو مروي في الصحيحين بنحو هذا اللفظ من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر وأنس رضي الله عنهم .

(٣) الكتاب الأسنى (ورقة ٣٢٤ ـ ٣٢٥).

الحاسب ، الحسيب
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٤٨ _ ٤٩)

*** المعنى اللغوي :**

حَسَبْتُهُ أحسبُهُ حَسْبًا وحِسابًا وحُسبانًا وحِسابةً ، إذا عددته.

قال الكسائي : ما أدري ما حَسَبُ حديثك ، أي ما قَدْرُهُ.

والحَسَبُ أيضًا : ما يعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه ، ويقال : حَسَبُهُ دينه ، ويقال ماله ، والرجل حسيبٌ.

وحاسبته من المحاسبة ، فالحَسْبُ : العدُّ والإحصاء .

واحتسبت بكذا أجرًا عند الله ، والاسم الحِسْبة وهي الأجر والجمع الحِسب.

ويقال أيضًا : إنّه لَحَسنُ الحِسبة في الأمر ، إذا كان حَسَنَ التدبير له.

وأحسبني الشيء ، أي كفاني ، وأحسبته وحَسَّبْتُه بالتشديد معنى، أي أعطيته ما يرضيه.

وحسبك درهم أي كفاك وهو اسم ، وشيءٌ حسابٌ ، أي كافٍ ، ومنه قوله تعالى ﴿ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٣٦] أي كافيًا .

وتقول :أعطي فأحسب أي أكثر حتى قال حسبي.

وقال ثعلب : أحسَبَه من كل شيء أعطاه حسبَه وما كفاه.

وهذا رجل حسبُكَ من رجلٍ ، وهو مدح للنكرة لأنّ فيه تأويل فعل كأنّه قال : مُحْسِبٌ لك ، أي كافٍ لك من غيره.

وقولهم : حسيبك الله ، أي انتقم الله منك.

وحَسِبته صالحًا أحسَبُهُ بالفتح أي ظننته [١].

وقال الراغب : والحسيب والمحاسب من يُحاسبك ، ثمّ يُعبرَّ به عن المكافئ بالحساب [٢].

*** وروده في القرآن الكريم :**

ورد اسمه (الحاسب) مرتين في صيغة الجمع :

وفي قوله تعالى ﴿ **أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴾ [الانعام: ٦٢].

وقوله : ﴿ **وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [الانبياء: ٤٧] .

أما (الحسيب) فقد ورد ثلاث مرّات :

في قوله تعالى ﴿ **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً** ﴾ [النساء: ٦] و[الأحزاب : ٣٩].

وقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً** ﴾ [النساء: ٨٦] .

*** المعنى في حق الله تعالى :**

قال الزجاج : الحسيب يجوز أن يكون من : حَسَبت الحسابَ .

ويجوز أن يكون أحسبَنَي الشيء إذا كفاني ، وقال الشاعر :

ونُحسِبُهُ إنْ كان ليس بجائع

فالله تعالى (مُحْسِبٌ) أي كافٍ ، فيكون فعيلاً في معنى مفعل ،

---

(١) « الصحاح » (١/١٠٩ ـ ١١١) ، « اشتقاق الأسماء » (ص ١٢٩ ـ ١٣٢) ، «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧١٩) ، و« اللسان » (٢/ ٨٦٣ ـ ٨٦٨).

(٢) « المفردات » (ص١١٧).

كأليم ونحوه.

ويجوز أن يكون من حسبتُ الحساب.

فالله تعالى محسوبٌ عطاياه وفواضله. وقال الشاعر:

إن يدعُ زيدٌ بني ذُهْلٍ لمغضبَةٍ نغضب لزُرعَه إنَّ الفضل محسوبُ [1]

قال أبو عبيدة: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦] أي كافيًا مقتدراً، يقال: أحسبني هذا، أي: كفاني [2].

قال ابن جرير في قولـه: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦] وكفي بالله كافيًا من الشهـــود الذين يُشهدهم والي اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه [3].

وقال في قوله ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وكفاك يا محمد بالله حافظًا لأعمال خلقه، ومحاسبًا لهم عليها [4].

وقد اختار ابن جرير أنّ معنى (الحسيب) هو الحفيظ في قوله تعالى ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦].

فقد قال: يعنى بذلك جلَّ ثناؤه أنَّ الله كان على كلِّ شيءٍ ممّا تعملون أيُّها النّاس من الأعمال ـ من طاعةٍ أو معصيةٍ ـ حفيظًا عليكم حتى يجازيكم بها جزاءه.

---

(١) « تفسير الأسماء » (ص٤٩)، والبيت الأوّل لامرأة من بني قشير، « اللسان » (٢/٨٦٥)، والثاني لابن عنمة الضبي، الأصمعية (٨٦).

(٢) « مجاز القرآن » (١/١٣٥).

(٣) « التفسير» (٤/١٧٦).

(٤) المصدر السابق (٢٢/١٢).

وقال : وأصل الحسيب في هذا الموضــع عندي ، فعيل من الحساب الذي هو في معنى الإحصاء ، يقال منه : حاسبت فلانًا على كذا وكذا ، وفلانٍ حاسبه على كذا ، وهو حسيبه ، وذلك إذا كان صاحب حسابه.

وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة [1] أنَّ معنى الحسيب في هذا الموضع : الكافي ، يقال منه : أحسبني الشيء يحسبني إحسابًا ، بمعنى كفاني ، من قولهم ، حسبي كذا وكذا.

وهذا غلط من القول وخطأ . وذلك لأنَّه لا يقال في أحسبت الشيء: أحسبت على الشيء فهو حسيبٌ عليه وإنما يقال : هو حسبه وحسيبه. والله يقول﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦] اهـ [2].

قال الخطابي : الحسيب هو المكافئ ، فعيل بمعني مفعل ، كقولك : أليم بمعنى مؤلم ، تقول العرب : نزلت بفلان فأكرمني وأحسبني ، أي أعطاني ما كفاني حتى قلت : حسبي .

والحسيب أيضًا بمعنى : المحاسب ، كقولهم : وزير ونديم بمعنى موازر ومنادم . ومنه قول الله سبحانه ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤] ، أي : محاسبًا ، والله أعلم [3].

قال الحليمي : (الحسيب) ومعناه : المدرك للأجزاء والمقادير التي يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب ، لأن الحاسب يُدرك الأجزاء شيئًا فشيئًا ، ويعلم الجملة عند انتهاء حسابه ، والله تعالى لا

---

(١) الظاهر أنّه يريد أبا عبيدة معمر بن المثنى البصري ، الذي تقدَّم قوله .

(٢) « التفسير » (٥/ ١٢٠).

(٣) « شأن الدعاء » (ص ٦٩ ـ ٧٠).

يتوقف علمه بشيء على أمر يكون وحال يحدث [1].

وقال ابن القيّم في نونيته :

وهُو الحسيبُ كفايةً وحمايةً والحسبُ كافي العبد كل أوان[2]

وقال السعدي رحمه الله : (الحسيب) هو العليم بعباده ، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها [3].

فيتلخص عندنا في معنى (الحسيب) و (الحاسب):

١ ـ إنه الكافي ، فعيل بمعني مفعل ، كقولك أليم بمعنى مؤلم ، فهو كافي المتوكلين عليه.

٢ ـ إنه المحاسب ، كالنديم بمعنى المنادم،كما قال تعالى : ﴿ **كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ [الإسراء : ١٤] ، أي محاسبًا .

*** آثار الإيمان بهذين الاسمين :**

١ ـ إن الله سبحانه وتعالى هو الكافي لعباده ، الذي لا غنى لهم عنه أبدًا ، بل لا يُتصور لهم وجود بدونه ،فهو خالقهم وبارئهم ورازقهم وكافيهم في الدنيا والآخرة ، لا يشاركه في ذلك أحدٌ أبدًا ، وإن ظن

---

(١) « المنهاج » (١/ ٢٠٠) ، ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص٦٥) في باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده ، وزاد : وقد قيل : الحسيب هو الكافي فعيل بمعني مفعل تقول العرب : نزلت بفلان فأكرمني وأحسبني أي : أعطاني ما كفاني حتى قلت حسبي اهـ.

(٢) « النونية » (٢/ ٢٣٣) .

(٣) « تيسير الكريم » (٥/ ٣٠٢).

الناس أن غير الله يكفيهم فهو ظنٌ باطلٌ ، وخطأٌ محض ، بل كل شيء بخلقه وتقديره وأمره.

قال في «المقصد» : هو الكافي، وهو الذي من كان له كان حسبه ، والله تعالى حسيب كل أحد وكافيه ، وهذا وصف لا يتصور حقيقته لغيره، فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المكفى، لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده.

وليس في الوجود شيء هو وحده كافٍ لشيء إلاّ الله تعالى ، فإنه وحده كافٍ لكلِّ شيء ، لا لبعض الأشياء ، أي هو وحده كافٍ يتحصل به وجود الأشياء ويدوم به وجودها ويكمل به وجودها .

ولا تظنن أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب وأرض وسماء وشمس وغير ذلك ، فقد احتجت إلى غيره ولم يكن هو حسبك ، فإنه هو الذي كفاك بخلق الطعام والشراب والأرض والسماء ، فهو حسبك .

ولا تظنن أن الطفل الذي يحتاج إلى أمه ، ترضعه وتتعهده فليس الله حسيبه وكافيه ، بل الله كفاه إذ خلق أمه ، وخلق اللبن في ثديها وخلق له الهداية إلى التقامه ، وخلق الشفقة والمودة في قلب الأم حتى مكنته من الالتقام ، ودعته إليه وحملته عليه.

فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب ، والله وحده المتفرد بخلقها لأجله ، ولو قيل لك أن الأم وحدها كافية للطفل وهي حسبه لصدقت به، ولم تقل إنها لا تكفيه لأنه يحتاج إلي اللبن فمن أين تكفيه الأم إذا لم يكن لبن ؟ ولكنك تقول : نعم ، يحتاجُ إلى اللبن ، ولكن اللبن أيضًا من الأم ، فليس محتاجًا إلى غير الأم ، فاعلم أن اللبن ليس من الأم ، بل هو والأم من الله ، ومن فضله وجوده.

فهو وحده حسب كل أحد ، وليس في الوجود شيء وحده وهو حسب شيء سواه، بل الأشياء يتعلق بعضها ببعض وكلها تتعلق بقدرة الله تعالى اهـ[1].

فالله وحده حسب كل أحد ، لا يشاركه في ذلك أحد ، وهذا هو المعنى الصحيح لقوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] ، وهو المعني الذي اختاره أكثر العلماء [2] والذي تؤيده الأدلة الكثيرة .

قال ابن القيّم رحمه الله بعد ذكره للآية السابقة : أي الله وحده كافيك ، وكافي أتباعك ، فلا تحتاجون معه إلى أحد.

قال : وهنا تقديران ، أحدهما : أن تكون الواو عاطفة لـ « مَن » على الكاف المجرورة ، ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار على المذهب المختار ، وشواهده كثيرة ، وشُبَه المنع منه واهية .

والثاني أن تكون الواو واو «مع»، وتكون «من» في محل نصب عطفًا على الموضع ، « فإن حسبك » في معنى « كافيك » ، أي : الله يكفيك ويكفي مَنِ اتّبعك ، كما تقول العرب: حسبك وزيدًا درهم، قال الشّاعر:

إذَا كانَت الْهَيْجَاءُ وانْشَقَّتِ العَصَا   فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ

وهذا أصحُّ التقديرين.

---

(١) «المقصد الأسنى» (ص٧٢).

(٢) وهو الذي اختاره ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٢٦) وذكره بأسانيد عن الشعبي ـ لكن مدارها على شوذب مولى الشعبي ذكره ابن أبي حاتم ولم يحك فيه جرحًا ولا تعديلاً ـ وابن زيد، واقتصر عليه ابن كثير (٢/ ٣٢٤) واختاره الشنقيطي في « أضواء البيان » (٢/ ٤١٦) وقال : لدلالة الاستقراء في القرآن على أن الحسب والكفاية لله وحده اهـ.

وفيها تقدير ثالث : أن تكون « مَنْ » في موضع رفع بالابتداء أي : ومن اتبعك من المؤمنين ، فحسبُهُم الله.

وفيها تقدير رابع ، وهو خطأ من جهة المعنى ، وهو أن تكون «مَنْ» في موضع رفع عطفًا على اسم الله ، ويكون المعنى : حسبُك الله وأتباعُك ، وهذا وإن قاله بعضُ الناس[1] فهو خطأ محض ، لا يجوز حملُ الآية عليه ، فإن « الحسب » و « الكفاية » لله وحده ، كالتوكل والتقوى والعبادة ، قال الله تعالى : ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] . ففرَّق بين الحسب والتأييد ، فجعل الحسبَ له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبعباده ، وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب ، فقال تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

ولم يقولوا : حسبنا الله ورسوله ، فإذا كان هذا قولهم ، ومدح الرب تعالى لهم بذلك ، فكيف يقول لرسوله : الله وأتباعُك حسبُك ؟ وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ، ولم يُشركوا بينه وبين رسوله فيه، فكيف يُشرك بينهم وبينه في حسب رسوله ؟! هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل.

ونظير هذا قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] فتأمل كيف جعل الإيتاء لله ولرسوله ، كما قال تعالى :﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٤١٧) وقال : هو أحبُّ الوجهين إليَّ اهـ ونقله القرطبي (٨/ ٤٣) عن الحسن والنحاس.

فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] . وجعل الحسبَ له وحده ، فلم يقل : وقالوا : حسبنا الله ورسوله ، بل جعله خالصَ حقِّه ، كما قال تعالى ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] . ولم يقل : وإلى رسوله ، بل جعل الرغبة إليه وحدَه ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨] . فالرغبةُ ، والتوكل ، والإنابةُ ، والحسبُ لله وحده ، كما أن العبادةَ والتقوى ، والسجــود لله وحدَه ، والنــذر والحلف لا يكون إلاّ لله سبحانه وتعالى .

ونظير هذا قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦](١) . فالحسبُ : هو الكافي ، فأخبر سبحانه وتعالى أنَّه وحده كافٍ عبدَه ، فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية ؟! والأدلة الدَّالة على بطلان هذا التأويل الفاسد أكثر من أن تذكر ها هنا اهـ (٢).

وبقدر ما يلتزم العبد بطاعة الله ورسوله ، تكون الولاية والكفاية ، ولذلك يتابع ابن القيِّم كلامه قائلاً:

والمقصودُ أن بحسب متابعة الرسول تكونُ العزَّة والكفاية والنُّصرة ، كما أن بحسب متابعته تكونُ الهدايةُ والفلاح والنجاة ، فالله سبحانه علَّق سعادة الدارين بمتابعته ، وجعل شَقاوة الدارين في مخالفته ، فلأتباعه الهدى والأمن ، والفلاحُ والعزَّة ، والكفاية والنصرة ، والولاية والتأييد ، وطيبُ العيش في الدنيا والآخرة ، ولمخالفيه الذِّلَّةُ والصَّغار ، والخوفُ والضلال ، والخِذلان والشقاءُ في الدنيا والآخرة .اهـ .

---

(١) وفي قراءة حمزة والكسائي « أليس الله بكاف عباده ».

الاستفهام للاستنكار ، أي أن كفاية الله لعبده ظاهرة لا يتسنى لأحد إنكارها لظهورها للعيان.

(٣) « زاد المعاد » (١/ ٣٥ ـ ٣٧).

٣ ـ والله سبحانه وتعالى (الحاسب) الذي أحصى كل شيء ، لا يفوته مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨] وقال ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٩٣، ٩٤] .

وكتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو [1].

وتصديق ذلك من كتاب الله قوله سبحانه ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] ، والإمام هو أم الكتاب [2].

وقوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]

وقوله :﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ [النبأ: ٢٩] .

٤ ـ وأعمالك أيها الإنسان كلها محسوبة محصاة ، لا يضيع منها شيء ، ولا يُزاد عليك شيء ، فتجزى بها يوم القيامة ولا تظلم.

قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

وقال سبحانه : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦].

وقد أمر الله سبحانه الحفظة بذلك ، أن يدونوا كل صغيرة وكبيرة .

قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٤).

(٢) انظر تفسير ابن جرير (٢٢/ ١٠٠) وغيره.

وهذا الحفظ والإحصاء الدقيق ، والحساب الذي لا يفوته شيء ، هو الذي يبهت أهل الأجرام ، الذين لا يبالون بأعمالهم صلحت أو فسدت ، يعملون السيئات بلا حساب ويظنون أنهم متروكون سدى ، لا حساب ولا عذاب ، قال تعالى عنهم ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [الكهف: ٤٩].

لذلك كان لزامًا علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب ، وأن نزن أعمالنا قبل أن تُوزن.

قال الأُقليشيُّ : فأرباب القلوب ، المحسُّون بأوجاع الذنوب العالمون يقينًا بمحاسبة علاَّم الغيوب ، وإحصاء حسابه لجميع العيوب ، أقاموا في الدنيا موازين القسط على أنفسهم وأحصوا عليها بالحساب المحرَّر كلما برز عنها وصدر ثم حاسبوها محاسبة الشريك النحرير القائم بماله شريكه الذي انفصل عن شركته بعداوة وقعت بينه وبينه ، فانظر هل يسمح له بترك حبةٍ ، أو يسقيه من مائه عند ظمأه عبَّه ، فلذلك انتثرت ذنوب هؤلاء من الصحائف كما ينتثُر ورقُ الشجر اليابس بالريح العاصف . فإذا قدموا قضاء الموقف ، برزت لهم تلك الصحائف منيرة وقد استنارت فيها المعاني والأحرف ، لأنها مُمحَّصَةٌ مخلَّصةٌ بدقيق المحاسبة وشديد المطالبة فكان حسابهم عرضًا لا مناقشة اهـ [١].

٥ ـ وحساب الخلق لا مشقة فيه على الخالق الحاسب ، بل هو يسير عليه .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ

(١) الكتاب الأسنى (ورقة ١٠٣ب).

﴿الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]

قال ابن جرير : ثم ردت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى سيدهم الحق ، ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يقول : ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه ، و ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يقول: وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس ، وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها.

لأنه لا يحسب بعقد يدٍ ، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين اهـ [1].

فكما أن خلقهم وبعثهم لا مشقة فيه كما قال سبحانه ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] .

فكذلك حسابهم لا مشقة فيه ولا تأخير ، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]

فسبحان الله العظيم ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

* * *

(١) « جامع البيان » (٧/ ١٤٠).

الكريم ، الأكرم
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٥٠ ، ٥١)

* **المعنى اللغوي :**

قال ابن سيدَه : الكرمُ نقيضُ اللُّؤم ، يكون في الرجل بنفسه وإن لم يكن له آباء ، ويستعمل في الخيل والإبل والشجر وغيرها من الجواهر إذا عنوا العِتق ، وأصله في الناس [١].

قال الجوهري : وقد كَرُمَ الرجل بالضم فهو كريم ، وقوم كِرَامٌ وكُرماء ،ونسوةٌ كرائم.

والكُرَامُ بالضم ، مثل الكريم ، فإذا أفرط في الكرم قيل كُرَّام بالتشديد وكارمتُ الرجل إذا فاخرته في الكرم ، فكَرَمته أكْرُمُهُ بالضم إذا غلبته فيه .

والكريم : الصفوح .

والأُكْرُومَةُ من الكرم ، كالأعجوبة من العجب ، وأكرَمَ الرجل : أتى بأولادِ كرام .

وكَرُمَ السحابُ ، إذا جاء بالغيث.

وقيل لشجرة العنب : كَرْمَةٌ بمعنى كريمة ، وذلك لكثرة خيرها وقرب جناها .

---

(١) « اللسان » (١٥/ ٣٨٦١).

وقد يُسمى الشيء الذي له قَدْرٌ وخطرٌ : كريمًا ، ومنه قوله سبحانه في قصة سليمان عليه السلام وبلقيس ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٩] جاء في تفسيره : كتابٌ جليلٌ خطيرٌ ، وقيل : وصفته بذلك لأنه كان مختومًا ، وقيل : كان حسن الخط ، وقيل : لأنها وجدَتْ فيه كلامًا حسنًا اهـ [١].

والكَرْمُ : كرم العنب ، والقلادة أيضًا .

والمكْرُمَةُ : واحدة المكارم ، وأرض مكرَمَة للنبات إذا كانت جيدة النبات [٢].

قال الزجاج : الكرَمُ سرعة إجابة النَّفْسِ ، كريم الخُلُق وكريم الأصل.

وحكى الأحول[٣] جوزةٌ كريمةٌ ، أي : هَشَّةُ المكسر ، وكأن سرعةَ انكسارها وهشاشَتِها ، جُعل إجابةً منها ، فشُبه بها الكريمُ من الرجال، إذا كان سريعًا إلى الخيرات ، هذا هو الأصل ، والله تعالى سَبَبُ كُلِّ خير ومُسهِّلُه ، فهو أكرم الأكرمين اهـ [٤].

وقال الزجاجي : الكريم : الجواد ، والكريم : العزيز ، والكريم :

---

(١) « شأن الدعاء » (ص ٧٠ ـ ٧١).

(٢) « الصحاح » (٥/٢٠١٩ ـ ٢٠٢٠) ، وانظر «أساس البلاغة» (٥٤١ ـ ٥٤٢).

(٣) هو محمد بن الحسن بن دينار اللغوي المعروف بالأحول ، إمام في اللغة والشعر مشهور بها ، وله فيها تصانيف مفيدة ، منها : كتاب « الدَّواهي » وكتاب « الآباء والأمهات » ، وكتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » ، وغير ذلك ، توفي سنة (٢٥٩ هـ) . «تاريخ بغداد» (٢/١٨٥)، «إشارة التعيين» (ص٣٠٦)، «الفهرست» (٧٩).

(٤) « تفسير أسماء الله » (ص٥٠ ـ ٥١).

الصَّفوح ، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كـلام العـرب ، كلها جائز وصف الله عز وجل بها [1].

وقال الخطابي : قال بعض أهل اللغة : الكريم الكثير الخير ، والعرب تُسمي الشيء النافع الذي يدوم نفعه ويسهل تناوله كريمًا ولذلك قيل للناقةِ الحُوار : كريمة ، وذلك لغزارة لبنها ، وكثرة دَرِّها .

وللنخلِة التي لا يُخلِفُ حَمْلُها ، وكانت مع ذلك غيرَ مُرْقِلَةٍ يصعب الرقّي فيها : هذه نخلة كريمة [2].

*** وروده في القرآن الكريم :**

ورد اسمه (الكريم) ثلاث مرات :

في قوله تعالى ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾[3] [المؤمنون: ١١٦] .

وقوله : ﴿**وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: ٤٠] .

وقوله : ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ [الانفطار: ٦] .

أما الأكرم فورد في قوله تعالى ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾ [العلق: ٣]

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال ابن جرير : (كريم) ومن كرمه أفضاله على من يكفر نِعَمَه ،

(١) « اشتقاق أسماء الله » (ص١٧٦) ، وذكر مثله القرطبي في الأسنى (ورقة ٢٦٨ب).

(٢) الرَّقْلة مثل الرَّعْلة ، والجمع الرقال ، وهي الطِوال من النخل . «الصحاح» (٤/ ١٧١٢).

(٣) في قراءة حفص « الكريم » بالكسر نعتًا للعرش ، وقرأ أبان بن تغلب وابن محيصن وأبو جعفر وإسماعيل عن ابن كثير « الكريمُ » بالرفع على أنه صفة للرب . انظر : «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٥٧)، و«روح المعاني» (١٨/ ٧١).

ويجعلها وَصْلة يَتوَصلُ بها إلى معاصيه [1].

وقال الحليمي : (الكريم) ومعناه النَّفَّاع ، من قولهم : شاةٌ كريمة، إذا كانت غزيرة اللبن تُدر على الحالب ، ولا تقلص بأخلافها ، ولا تحبس لبنها .

ولا شك في كثرة المنافع التي مَنَّ الله تعالى بها على عباده ، ابتداء منه وتفضلاً ، فهو باسم الكريم أحق من كلِّ كريم [2].

وقال القرطبي بعد أن ذكر أن الكريم له ثلاثة أوجه هي : الجواد والصَّفُوح والعزيز : وهذه الأوجه الثلاثةُ يجوز وصف الله عز وجل بها ، فعلى أنه جوادٌ كثير الخير صفوح لا بد من مُتَعلَّقٍ يصفح عنه و ينعم عليه.

وإذا كان بمعنى العزيز كان غير مقتضٍ مفعولاً في أحد وجوهه.

فهذا الاسم متردد بين أن يكون من أسماء الذاتِ ، وبين أن يكون من أسماء الأفعال .

والله جلَّ وعزَّ لم يزل كريمًا ولا يزال ، ووصفه بأنه كريم هو بمعنى نفي النقائص عنه ، ووصفه بجميع المحامد ، وعلى هذا الوصف يكون من أسماء الذات ، إذ ذلك راجعٌ إلى شرفه في ذاته وجلالة صفاته.

وإذا كان فعليًا كان معنى كرمه ما يصدرُ عنه من الإفضال والإنعام على خلقه.

---

(١) « التفسير » (١٩/ ١٠٤).

(٢) « المنهاج » (١/ ٢٠١) ، وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، وكذا البيهقي في «الأسماء» (ص ٧٣).

وإن أردت التفرقة بين (الأكرم) و (الكريم) ، جعلت الأكرم الوصف الذاتي ، والكريم الوصف الفعلي اهـ [1].

وقد حكى ابن العربي رحمه الله في معنى الكريم ستة عشر قولاً ، نوردها باختصار :

الأول : الذي يعطي لا لعوض .

الثاني : الذي يعطي بغير سبب.

الثالث : الذي لا يحتاج إلي الوسيلة .

الرابع : الذي لا يبالي من أعطى ولا من يحسن ، كان مؤمنًا أو كافرًا، مُقرًا أو جاحدًا.

الخامس : الذي يستبشر بقبول عطائه ويُسرُّ به.

السادس : الذي يعطي ويثني ، كما فعل بأوليائه حبَّبَ إليهم الإيمان وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، ثمَّ قال : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ⑦ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧، ٨] .

ويحكى أنّ الجنيد سمع رجلاً يقرأ ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤] ، فقال : سبحان الله ! أعطى وأثنى ، المعنى : أنَّه الذي وهب الصبر وأعطاه ، ثمَّ مدحه به وأثنى .

السابع : أنَّه الذي يَعُمُّ عطاؤه المحتاجين وغيرهم

الثامن : أنَّه الذي يُعطي من يلومه.

التاسع : أنَّــه الـذي يعـطي قبل السؤال ، قال الله العظيم ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

---

(١) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٢٦٨ب ـ ٢٦٩ أ).

العاشر : الذي يُعطي بالتَّعرض.

الحادي عشر : أنَّه الذي إذا قَدَرَ عفى.

الثاني عشر : أنَّه الذي إذا وَعَدَ وفَّى.

الثالث عشر : أنَّه الذي تُرفَع إليه كل حاجةٍ صغيرة كانت أو كبيرة.

الرابع عشر : أنَّه الذي لا يُضيع من توسَّل إليه ولا يترك من التجأ إليه.

الخامس عشر : أنَّه الذي لا يعاتب .

السادس عشر : أنَّه الذي لا يعاقب اهـ [1].

أما (الأكرم) ، فقال الخطابي : هو أكرم الأكرمين ، لا يوازيه كريم، ولا يعادله نظير ، وقد يكون (الأكرم) بمعنى : الكريم ، كما جاء : الأعزُّ والأطول ، بمعنى العزيز والطويل [2].

قال القرطبي : إنَّ (الأكرم) الوصف الذاتي و (الكريم) الوصف الفعلي وهما مُشتقان من الكرم ، وإنّ اختلفا في الصيغة [3].

*** آثار الإيمان بهذين الاسمين :**

١ ـ تكلّم ابن العربي رحمه الله [4] كلامًا طيِّبًا في تفصيل الأقوال السابقة ، فأجاد فيه وأفاد ، قال رحمه الله تعالى :

أ ـ أمّا إذا قلنا إنَّ الكريم هو الكثير الخير ، فمن أكثر خيرًا من الله

---

(١) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٢٦٩ أ ـ ٢٧٠ب) وسيأتي تفصيله لهذه الأقوال في آثار الإيمان.

(٢) « شان الدعاء » (ص١٠٣ ـ ١٠٤) ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص٧٥).

(٣) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٢٧٥ أ).

(٤) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٢٧٠ أ ـ ٢٧٢ أ).

لعموم قدرته وسعة عطائه ، قال سبحانه ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١] .

ب ـ وأمَّا إذا قلنا إنّه الدائم بالخير فذلك بالحقيقة لله ، فإنه كل شيء ينقطعُ إلاّ الله وإحسانه ، فإنَّه دائمٌ متصل في الدنيا والآخرة .

جـ ـ وأمَّا إن قلنا إنّه الذي يَسهل خيرهُ ، ويقربُ تناول ما عنده فهو الله بالحقيقة ،فإنه ليس بينه وبين العبد حجابٌ ، وهو قريب لمن استجاب ، قال الله سبحانه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

د ـ وأما إن قلنا إنَّ الكريم هو الذي له قدر عظيم ، وخطرٌ كبير ، فليس لأحدٍ قدر بالحقيقة إلا لله تعالى ،إذ الكلُّ له خلقٌ وملك ، إليه يضاف كل شيء ، ومن شرفه يشرفُ كل شيء ، وكرمُ كل كريمٍ من كرمه.

هـ ـ وأما إن قلنا إن الكريم هو المنزَّه عن النقائص والآفات ، فهو الله وحده بالحقيقة ، لأنه تقدَّس عن النقائصِ والآفات وحده على الإطلاق والتمام والكمال من كل وجهٍ ، وفي كل حالٍ ، بخلاف الخلق فإنهم إن كَرُموا من وجه ، سَفَلُوا من وجهٍ آخر، كما قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [التين: ٤، ٥] .

و ـ وأما إن قلنا إنَّ الكريم بمعنى المُكرِم فمن المكرمُ إلا الله تعالى، فمن أكرمه الله أُكرِمَ ومن أهانه أهين (١).

---

(١) قال الله تعالى في هذا ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨]

ز ـ وأما إن قلنا إن الكريم هو الذي لا يتوقع عِوَضًا ، فليس إلا الله وحده ، لأن كل شيء خَلْقه وملكه فما يعطي له وما يأخذه له ، وما يُعطي كل مُعطٍ أو يعمل كل عاملٍ ، فبقدرته وإرادته ، والعوضُ والمعوَّض خلق له.

ح ـ وأما إن قلنا إنَّ (الكريم) هو الذي يعطي لغير سبب فهو الله وحده ، لأنه بدأ الخلق بالنِّعم ، وختم أحوالهم بالنعم ، وإن جاء في الأخبار أنه أعطي بكذا أو عمل بكذا لكذا ، فالعطاءُ منه والسبب جميعًا ، والكلُّ عطاءٌ بغير سبب.

ط ـ وأما إن قلنا إنَّ (الكريم) هو الذي يُعطي بغير وسيلةٍ ، فالأجواد يتفاضلون ، فمنهم من يُعطي جِبلَّةً ، ومنهم من يعطي مراعاةً لحقِّ المتوسل ، والباري يعطي بغير وسيلة ، لأن حرمة النبي أو الولي الذي أعطى بها [1]، أعطى بمجرَّد المشيئة من غير وسيلة ، كما قال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

ي ـ وأما إن قلنا إنَّ الكريم هو الذي لا يبالي من أعطى فهو الله وحده ، لأن الخلق جُبلت قلوبهم على حب من أحسن إليها ، وبغض

(١) مما هو معلوم عند المحققين من أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز التوسل بحق النبي ﷺ أو بجاهه أو بحق أحد أو جاهه ، لأنه لم يثبت في ذلك شيء من الأحاديث ، ولم يرد عن أحد من الصحابة فعله ، وأن التوسل المشروع الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة هو ثلاثة أنواع :

١ ـ التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته.

٢ ـ التوسل بالأعمال الصالحة التي عملها العبد .

٣ ـ التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي .

راجع كتاب « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » لشيخ الإِسلام ابن تيمية رحمه الله .

من أساء إليها ، والباري يُعطي الكافر [١] والمتقين ، وربما خَصَّ الكافر في الدنيا بمزيد العطاء ، ولكنَّ الآخرة للمتقين.

ك ـ وأما إن قلنا إنه الذي يُري للقابل لعطائه مِنَّة ، فالباري تقدس عن تصور ذلك في حقه .

ل ـ وأما إن قلنا إنَّ (الكريم) هو الذي يُعطي من احتاج[٢] ومن لا يحتاج فهو الله وحده ، لأنه يُعطي ويزيد على قدر الحاجة ، ويُعطي من يحتاج ومن لا يحتاج حتى يصب عليه الدنيا صبًّا .

م ـ وأما إنْ قلنا إنَّ (الكريم) هو الذي لا يُخصُّ بكبير من الحوائج دون صغيرها فهو الله تعالى روى أنه يَسأَلُ العبد ربَّه كل شيء في صلاته قال حتى . . . [٣].

وذكر القشيري أن موسى عليه السلام قال في مناجاته : إنه لتعرض لي الحاجة أحيانًا فأستحيي أن أسألك ، فأسأل غيرك ، فأوحى الله إليه : يا موسى لا تسل غيري ، وسلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك .

وذلك لأن أمرهُ بين الكاف والنون ، فسواءً الصغير والكبير ، بل الكبير عنده صغير ، والعسير يسير ، والصعب لين.

ن ـ وأما إنْ قلنا إنَّه الذي إذا وعد وَفَّى ، فإن كل من يعد يمكن أن يفي ، ويمكن أن يقطعه عُذرٌ ، ويحولُ بينه وبين الوفاء أمرٌ ، والباري صادق الوعدِ لعمومِ قدرته وعظيمِ ملكه، وإنه لا يتصوَّرُ أن يقطعَ به قاطع، ولا يحول بينه وبينه مانع.

س ـ وأما إن قلنا إن (الكريم) هو الذي لا يُضيع من التجأ إليه،

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : الكفار والمتقين حتى يتناسب السياق.

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : من يحتاج .

(٣) كلمة غير مقرءة بالأصل الذي عندي ، ولعلها : الملح . . .

فهو الله وحده ، والآلتجاء إليه : التزام الطاعه وحسن العمل ، وقدأخبر بذلك عن نفسه حين قال : ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠]

ع ـ وأما إن قلنا إِنَّه الذي لا يعاتب فقد قال الله تعالى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣] (١)، وقد جعل الله للناس مراتب في العِقاب والحِساب والعِتاب.

ف ـ وأما إن قلنا إنَّ (الكريم) هو الذي إذا أعطى زاد على المُنَى فهو الله وحده ، فقد روى أنه أعطى أهل الجنة مُناهم ، ويزيدهم على ما يعلمون (٢) ، وقد روي أنه قال سبحانه : «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ ما أُطلعتم عليه**»(٣).

قلت (أي القرطبي) : فهذا ما ذكر العلماء من الأقوال وبيانها ، ولم يذكر (أي ابن العربي) في سرد الأقوال : أنَّه الذي أعطى وزاد على المنى فيكون سابع عشر قَولاً (٤)، ولم يذكر بيان أنه الذي يُعطي من يلومه، لأنه والله أعلم داخل في قوله : إنه الذي لا يبالي من أعطى ،

---

(١) قوله ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣] أي النبي ﷺ عرَّف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سره وقد استكتمها إياه . (ابن جرير ١٠٣/٢٨) وانظر : القرطبي (١٨٧/١٨).

(٢) من ذلك حديث المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربَّه: ما أدنى أهل الجنة منزلةً ؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أُدْخِلَ أهل الجنة الجنَّة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي ربِّ كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذَاتهم؟ فيقول له: أترضى ان يكون لك مثلُ مُلْك مَلك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيتُ ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك فيقول رضيت ربِّ . . .» أخرجه مسلم (٧٦/١).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨/٦) ، (٥١٥/٨ ، ٥١٦) ، (٤٦٥/١٣) ، ومسلم (٢١٧٤/٤، ٢١٧٥) عن أبي هريرة به وتمامه ثم قرأ : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ...﴾ [السجدة: ١٧] . وأخرجه مسلم (٢١٧٩/٤) عن سهل بن سعد.

(٤) أي في الأقوال التي مضت في معني الاسم في حق الله تعالى.

ولا ذكر بيان أنه الذي يُعطي ويُثني لأنه في غاية البيان وهو مفسرٌ في سرد الأقوال .

ولا ذكر بيان أنه الذي يعطي بالتَّعرض ، وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] ، فعرض ولم يسأل وأعطاه مُناه اهـ

٢ ـ والكريم أيضًا من يستحيي أن يرد عبده عندما يسأله كما جاء في الحديث قوله ﷺ : « **إنَّ ربكم تبارك وتعالى حييٌ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا** »(١).

(١) حديث حسن ، أخرجه أحمد (٥/٤٣٨) وأبو داود (٢/١٤٨٨) والترمذي (٥/٣٥٥٦) وابن ماجه (٢/٣٨٦٥) وابن حبان (٢/١١٩) والحاكم (١/٤٩٧) والخطيب في تاريخه (٣/٢٣٥ ـ ٢٣٦) كلهم عن جعفر بن ميمون الأنماطي حدثني أبـو عثمان النهدي عن سلمان قال قال رسول الله ﷺ فذكره.

قال الترمذي : حسن غريب ، وروى بعضهم ولم يرفعه.

وهو كما قال ، فإن جعفر بن ميمون قال فيه ابن معين : ليس بذاك ، وقال في موضع آخر: صالح الحديث ، وقال مرة : ليس بثقة ، وقال أبو حاتم : صالح ، وذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات ، وقال الحافظ : صدوق يخطئ.

فحديثه لا ينزل عن رتبة الحسن.

والموقوف الذي أشار إليه الترمذي هو ما رواه سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان « إن الله يستحيي أن يبسط العبد ... » أخرجه أحمد (٥/٤٣٨) والحاكم (١/٤٩٧) وقال : إسناد صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وللحديث المرفوع شاهد من حديث أنس ، أخرجه الحاكم (١/٤٩٧ ـ ٤٩٨) عن عامر ابن يساف عن حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري قال حدثني أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله رحيم حيي كريم يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرًا» وصحح إسناده ، فتعقبه الذهبي بقوله : عامر ذو مناكير اهـ. قلت: قال ابن عدي في «الكامل» (٥/١٧٣٩) : منكر الحديث عن الثقات وقال :ومع ضعفه =

٣ ـ قال ابن الحصَّار : وأنا أقول : إنَّ (الكريم) هو الكثير الخير المتأتِّي لكل ما يُراد منه من غير تكلفٍ .

وبهذا الاعتبار سُمِّي السخيُّ ، والنخلةُ ، والناقة الغزيرة اللبن ، والشريف والجواد من الخيل ، وسائر ما وقع عليه هذا الوصف.

وإذا اعتبــرت جميــع ما قيل في معنى الكرم ، علمت أن الذي وجَبَ لله تعالى من ذلك لا يُحصى ، فأَوَّلُ ذلك شرفُ الذاتِ وكمال الصفات ، والنزاهةُ عن النقائصِ والآفات ، وقد تضمَّنَ ذلك قوله الحق ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [مريم: ٦٥] . وقوله : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله تعالى ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾ [الإسراء: ٤٤] ، تعظيمًا له وتقديسًا وتنزيهًا عن صفاتها.

فهو سبحانه الكثير الخير ، ومنه قوله عليه السلام : « **اللهمَّ لا خَيرَ إلا خَيرُكَ ولا إلهَ غَيُرك** » (١).

= يكتب حديثه ،وفي «تعجيل المنفعة» (ص٢٠٧) : قال أبو داود : ليس به بأس ، رجل صالح ، وقال العجلي: يكتب حديثه وفيه ضعف.

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠) ثنا حسن ثنا ابن لهيعه أنا ابن هبيرة عن أبي عبد الرحمن الحبلى أن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « **من ردته الطيرة من حاجته فقد أشرك** » ، قالوا : يا رسول الله ، ما كفارة ذلك ، قال : « **أن يقول أحدهم : اللهم لا خير إلاّ خيرك ولا طير إلاّ طيرك ولا إله غيرك** » .. قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٥): رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات اهـ . قلت : وهو من رواية غير العبادلة عن ابن لهيعة ، لكن قد رواه ابن وهب في جامعه (ص١١٠) وعنه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٣) عن ابن لهيعة به . وقد صحح رواية العبادلة عن ابن لهيعة عبد الغني بن سعيد الأزدي والساجي وغيرهما ، كما في «التهذيب» (٥/ ٣٧٨) .

وله شاهد حسن ، قال ابن وهب في جامعه (ص١١١) : وأخبرني أسامة بن زيد قال =

وهو الذي عمَّ الجميع بعطائه وفضله .وبكرمه أمهل المكذِّبَ له ، واستمرت عليه نعمته ، ومن كرمه أمهل إبليس وأنظره ، وتركه وما اختار لنفسه ، ولم يُعْجِلْه ولا عاجَلَه.

كل ذلك كرم منه وفضلٌ ، ومن كرم الله تعالى أن تفضل على العلماء بأن علَّمهم من علمه ، وأنارَ قلوبهم من نوره ، والشيطان يبخل ويأمر بالبخل بما ليس له ولا يبقى اهـ [1].

٤ ـ من كرم الله تعالى غفرانه للذنوب وعفوه عنها ، وتبديله السيئات بالحسنات ، كما قال سبحانه ﴿ **إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وجاء في الحديث الصحيح ما يدل علي هذا الكرم العظيم ، وهو ما رواه أبو ذر الغفاري قال : قال رسول الله ﷺ : « **إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، وآخر أهل النار خروجًا منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغارَ ذنوبه وارفعوا عنه كبارَهَا ، فتعرض عليه صغارُ ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا ، كذا وكذا فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر ، وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تعرض عليه ، فيقال له ، فإن لك مكان كلِّ سيئة حسنةً ، فيقول : ربِّ ، قد عملتُ أشياء لا أراها ههنا ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ**

= سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول : سأل كعب الأحبار عبد الله بن عمرو فقال : هل تطير؟ فقال : نعم ، قال : فكيف تقول إذا تطيرت ؟ قال : أقول : اللهم لا طير إلاّ طيرك ، ولا خير إلا خيرك ولا رب غيرك ولا قوة إلاّ بك ،فقال كعب : أنت افقه العرب، وإنها لكذلك في التوراة.

(١) «الكتاب الأسنى» (ورقة ٢٧٢ب).

ضحك حتى بدت نواجذُهُ »[1].

٥ ـ ومن كرمه عزّ وجلّ ما جاء في قوله في الحديث القدسي : « **إن الله كتب الحسناتِ والسيئات ثم بين ذلك ، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له سيئة واحدة** » . وازد مسلمٌ : « **ومحاها الله ، ولا يَهلِكُ على الله إلا هالك** »[2].

قال القاضي عياض رحمه الله في معنى الزيادة السابقة : معناه من حتم هلاكه وسُدَّت عليه أبواب الهدى مع سعةِ رحمة الله تعالى وكرمه ، وجعله السيئة حسنة إذا لم يعملها ، وإذا عملها واحدةً ، والحسنة إذا لم يعملها واحدة ، وإذا عملها عشراً إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فمن حُرِم هذه السعة ، وفاته هذا الفضل ، وكثرت سيئاته حتى غلبت ـ مع أنها أفراد ـ حسناتِهِ مع أنها متضاعفة فهو الهالك المحروم ، والله أعلم[3].

٦ ـ ومن كرمه عز وجل أنه يكتب الحسنات لمن لم يبلغ من الأطفال وما شابههم ولا يكتب عليهم السيئات ، والدليل على ذلك حديث ابن عباس عن النبي ﷺ لقي ركبًا بالرَّوحاء فقال : من القوم ؟ قالوا :

---

(١) رواه مسلم (١/١٧٧) والترمذي (٤/٢٥٩٦) وقال : حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري (١١/٣٢٣) ومسلم (١/١١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما . ورواه البخاري (١٣/٤٦٥) ومسلم (١/١١٧ ـ ١١٨) عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه.

ورواه مسلم (١/١٤٧) عن أنس بن مالك وهو حديث الإسراء الطويل ، في الجزء الأخير منه.

(٣) شرح مسلم (٢/١٥٢).

المسلمون ، فقالوا : من أنت ؟ قال : رسول الله ، فرفعت إليه امرأةٌ صبيًا فقالت : ألهذا حجٌّ ؟ قال : نعم ، ولك أجرٌ »[(١)].

وقد أورد ابن حبان هذا الحديث في صحيحه بعد ذكره لحديث « **رفع القلم عن ثلاثة** ... » بطريقين فقال : ذكر الخبر الدَّال على صحة ما تأولنا الخبرين الأولين ، اللذين ذكرناهما ،بأن القلم رفع عن الأقوام الذين ذكرناهم في كتبة الشرِّ عليهم ، دون كتبة الخير لهم[(٢)].

٧ ـ ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله سبحانه ، فإنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : قيل يا رسول الله من أكرمُ الناس ؟ قال : « **أتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فيوسف نبيُّ الله ابنُ نبي الله ابنِ خليل الله ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فعن معادَن العرب تسألون ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإِسلام إذا فَقِهوا** »[(٣)].

فأعظم أسباب الكرامة عند الله هو تقواه ، ولذا كان الرسل أكرم الخلق لطاعتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

هذه هي الكرامة الحقيقية التي تبقى في الآخرة لأصحابها ، حتى يدخلوا بها دار الكرامة.

وأما ما يتمتع به كثير من الفجار والكفار من التكريم بين أقوامهم

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٩) ومسلم (٢/ ٩٧٤) عن ابن عباس به .

(٢) صحيح ابن حبان (١/ ٣٠٦).

(٣) رواه البخاري في مواضع منها (٦/ ٣٨٧) ومسلم (٤/ ١٨٤٦ ـ ١٨٤٧) . والحديث يدل على جواز تسمية الإنسان بـ « الكريم » كما هو ظاهر.

وعشائرهم وأهليهم ، واتفاع شأنهم وذكرهم بين الناس ، فتكريم زائل باطل مضمحل، منقلب إلي ضده يوم القيامة من المهانة والعذاب الشديد، قال سبحانــه عنهـم ﴿ خُـذُوهُ فَاعْتِلُـوهُ إِلَىٰ سَـوَاءِ الْجَحِيـمِ (٤٧) ثُـمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٧ - ٤٩] .

قال الطبري رحمه الله : فإن قال قائل : وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله ، ويذلُّ بالعتلِ إلى سواء الجحيم ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ؟ قيل : إن قوله ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم ، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا ، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية ، لأنه كان في الدنيا يقول ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ فقيل له في الآخرة إذ عُذِّب بما عُذِّب به في النار ، ذق هذا الهوان اليوم ، فإنك كنت تزعم إنك أنت العزيز الكريم ، وإنك أنت الذليل المهين ، فأين الذي كنت تقول وتَدَّعي من العز والكرم؟ ! هلاّ تمتنع من العذاب بعزتك ؟!! (١) .

٨ ـ سمى الله تبارك وتعالى كتابه « كريمًا » في قوله ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧] .

قال الراغب : كل شيء شَرُفَ في بابه فإنه يوصف بالكرم (٢) .

قال القرطبي : أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن قرآن كريم، ليس

---

(١) « جامع البيان » (٢٥/ ٨٠) ، ومثلها قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٨] ،وغيرها ، فأخرجهم الله من المقام الكريم وأدخلهم دار المهانة والعذاب الأليم .

(٢) « المفردات » (ص ٤٢٩).

بسحرٍ ولا كهانة ، وليس بمفترى ، بل هو قرآن كريم محمود ، جعله الله تعالى معجزة لنبيه ﷺ ، وهو كريم على المؤمنين ، لأنه كلام ربهم ، وشفاء صدورهم ، كريم على أهل السماء لأنه تنزيل ربهم ووحيه.

وقيل : (كريم) أي : غير مخلوق .

وقيل (كريم) لما فيه من كريم الأخلاق ومعالي الأمور [(١)].

وقيل : لأنه يُكرِّم حافظه ، ويُعَظِّم قارئه اهـ [(٢)].

٩ - وسمَّى الله تعالى ما أعدَّ لأنبيائه وأوليائه بالرزق الكريم ، كما في قوله : ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤] وغيرها.

وقوله ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً ﴾ [النساء: ٣١] .

قال ابن جرير : وأما المدخل الكريم فهو الطيب الحسن المكرم بنفي الآفات والعاهات عنه ، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دخله فلذلك سماه الله كريمًا اهـ [(٣)].

وفي سؤال موسى ﷺ ربه عن أعلى أهل الجنة منزلاً قال سبحانه : «أولئك الذين أردتُّ غرستُ كرامتَهم بيدي وختمتُ عليها، فلم تر عينٌ

(١) في «اللسان» (٥/ ٣٨٦٣) : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧] . أى : يُحمدُ ما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة.

(٢) « التفسير » (١٧/ ٢٢٤) .

(٣) « التفسير » (٥/ ٣٠)

ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» . قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل ﴿فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً﴾ [السجدة:١٧] (٤) .

* * *

(٤) رواه مسلم (١/١٧٦) عن المغيرة بن شبعة . قال النووي : أما أردت : فبضم التاء ، ومعناه : اخترت واصطفيت.

وأما غرست كرامتهم بيدي إلى آخره ، فمعناه : اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغير ا وفي آخر الكلام حذف اختصر للعلم به تقديره : ولم يخطر على قلب بشر ما أكرمتهم به وأعددته لهم اهـ (شرح مسلم (٣/٤٦).

الرقيبُ
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٥٢)

*** المعنى اللغوي :**

قال الجوهري : الرقيب الحافظ ، والرقيب المنتظر . تقول : رَقَبتُ الشيء أرْقُبُهُ رُقُوبًا ، ورِقْبَةً ورِقَبانًا بالكسر فيهما ، إذا رصدته (١).

والتَّرَقُّب : الانتظار ، وكذلك الارتقاب ، وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤] ، معناه : لم تنتظر قولي ، والتَّرقُّب : تَنَظُّرُ وتوقع شيء .

وراقب الله تعالى في أمره أي خافه والرقيب فعيل بمعني فاعل ، كعليم بمعنى عالم (٢).

*** وروده في القرآن الكريم :**

ورد هذا الاسم ثلاث مرات.

في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] . وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] .

---

(١) « الصحاح » (١/١٣٨) .

(٢) « اشتقاق الأسماء » (ص ١٢٨) ، « اللسان » (١٦٩٩/٣ ـ ١٧٠٠).

* معنى الاسم في حق الله تعالى :

قال ابن جرير : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١] يعني بذلك تعالى ذكره إن الله لم يَزَلْ عليكم رقيبًا ، ويعني بقوله : (عليكم) ، على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١] .

قال : ويعني بقوله (رقيبًا) : حفيظًا محصيًا عليكم أعمالكم ، متفقدًا رعايتكم حرمة أرحامكم، وصلتكم إياها ، وقطعكموها وتضييعكم حرمتها (١).

وقال في قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً ﴾ [الأحزاب: ٥٢] : وكان الله على كل شيء ما أحل لك وحرم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها حفيظًا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك ، ولا يؤده حفظ ذلك كله.

حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً ﴾ أي حفيظًا ، في قول الحسن وقتادة (٢).

وقال الزجاج : (الرقيب) هو الحافظ الذي لا يغيب عمًّا يحفظه . يقال : رَقَبتُ الشيءَ أرقُبهُ رِقبة ، وقال الله تعالى ذكره ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] (٣).

قال الخطابي بعد أن نقل قول الزجاج: وهو (أي الرقيب) في نعوت الآدميين المُوكَّلُ بحفظ الشيء، والمترصِّد له، المتحرِّزُ عن الغفلة فيه (٤).

---

(١) « التفسير (٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣) ، وانظر (٧/ ٩٠).

(٢) « التفسير » (٢٢/ ٢٤ ـ ٢٥) ، والأثر الذي ذكره عن قتادة سنده حسن ، واختار هذا المعنى البيهقي في « الاعتقاد » (ص٦٠).

(٣) « تفسير الأسماء » (ص٥١).

(٤) « شأن الدعاء » (ص٧١ ـ ٧٢).

قال الحليمي : (الرقيب) وهو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقصٌ ، أو يدخل خلل من قِبَلِ غفلته عنه [1].

وفي المقصد : (الرقيب) هو العليم الحفيظ ، فمن راعى الشيء حتى لم يغفل عنه ، ولاحظه ملاحظةً لازمة دائمة ، لزومًا لو عرفه الممنوع عنه لما أقدم عليه ، سُمِّيَ رقيبًا ، وكأنه يرجع إلى العلم والحفظ، ولكن باعتبار كونه لازمًا دائمًا وبالإضافة إلى ممنوع عنه ، محروس عن التناول [2].

قال ابن الحصار : (الرقيب) المراعي أحوال المرقوب ، الحافظ له جملة وتفصيلاً ، المحصي لجميع أحواله.

وذلك راجع إلى العلم والمشاهدة ، وهو الإدراك والإحصاء ، وهو عَدُّ ما يَدِقُّ ويجلُّ من أقواله وأفعاله ، وحركاته وسكناته ، وسائر أحواله وتصرفاته ، ومراعاة وجوده وعدمه ، وحياته وموته.

فهو إذًا يتضمن صفات الذات بمتعلقات مخصوصةٍ من الأفعال اهـ[3].

وفي النونية لابن القيم :

وهو الرقيب على الخواطر واللوا   حظِ كيفَ بالأفعالِ بالأركانِ [4]

وقال السعدي : (الرقيب) المطَّلع على ما أكنته الصدور ، القائم

---

(١) « المنهاج » (٢٠٦/١) ، ذكره في الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، وتابعه البيهقي على ذلك في «الأسماء» انظر : (ص٩٩).

(٢) « المقصد الأسنى » (ص٧٤).

(٣) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٧٥ ب)

(٤) « النونية » (٢٢٨/٢).

على كل نفس بما كسبت ، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير [1].

*** آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله جل شأنه هو الرقيب على عباده ، الذي يراقب حركاتهم وسكناتهم ، وأقوالهم وأفعالهم بل ما يجول في قلوبهم وخواطرهم ، لا يخرج أحدٌ من خلقه عن ذلك قال سبحانه ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ** ﴾ [البقرة: ٢٣٥] . وقال ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا** ﴾ [غافر: ٧].

قال القرطبي : ورقيب بمعنى رَاقِب ، فهو من صفات ذاته ، راجعة إلى العلم والسمع والبصر ، فإن الله تعالى رقيب على الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان.

ورقيب للمبصرات ببصره الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، ورقيب للمسموعات بسمعه المُدرِكِ لكل حركة وكلام ، فهو سبحانه رقيب عليها بهذه الصفات ، تحت رِقبته [2] الكليات والجزئيات ، وجميع الخفيات في الأرضين والسماوات ، ولا خفي عنده بل جميع الموجودات كلها على نمطٍ واحدٍ في أنها تحت رِقبته التي هي من صفته اهـ [3].

فمن كان لذلك ملاحظًا غير غافل عنه ، راقب تصرفاته ، ومعاملاته وعباداته ، وسائر حياته ، وفي ذلك صلاح دنياه وآخرته ، بل بلوغه أعلى درجات الإيمان كما جاء في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل

---

(١) « تيسير الكريم » (٥/٣٠١).

(٢) في الأصل : رقيه ، ولا معنى لها هنا .

(٣) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٧٤ ب).

النبي ﷺ عن الإحسان فأجابه : « **أن تعبدَ الله كأنك تراهُ ، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك** »[1].

قال ابن القيم : « المراقبة » دوام علم العبد ، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه.

فاستدامته لهذا العلم واليقين : هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيبٌ عليه ، ناظرٌ إليه ، سامعٌ لقوله ، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نَفَس وكل طرفة عين .

قال : و « المراقبة » هي التعبد باسمه (الرقيب) ، الحفيظ ، العليم، السميع ، البصير ».

فمن عقل هذه الأسماء ، وتعبَّد بمقتضاها ، حصلت له المراقبة ، والله أعلم[2].

نموذج للمراقبة :

٢ ـ إذا فرغ العبد من فريضة الصبح ، ينبغي أن يفرغ قلبه ساعةً لمشارطة نفسه فيقول للنفس : مالي بضاعة إلا العمر ، فإذا فني منِّي رأس المال وقع اليأس من التجارة وطلب الربح .

وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه ، وأخَّرَ أجلي وأنعم عليَّ به ، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يُرجِعني إلى الدنيا حتى أعمل صالحًا.

فاحسبي يا نفس أنك قد تُوفيت ثم رُددت ، فإياكِ أن تُضيعي هذا اليوم[3].

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٧) وانظر كلام النووي عليه في (ص٢٣٩) من هذا الجزء .

(٢) « مدارج السالكين » (٢/ ٦٥ ـ ٦٦) باختصار.

(٣) من « مختصر منهاج القاصدين » (ص ٣٩٨).

٣ ـ وينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفي العمل [1] هل حَرَّكه عليه هوى النفس ، أو المحرِّك له هـو الله تعـالى خاصة ؟ فإن كان الله تعالى أمضاه ، وإلا تركه ، وهذا هو الإخلاص.

قال الحسن : رحم الله عبدًا وقف عند همه ، فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر.

فهذه مراقبة العبد في الطاعة ، وهو أن يكون مخلصًا فيها .

ومراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع ، ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب ، والشكر على النعم ، فإنه لا يخلو من نعمةٍ لا بد له من الصبر عليها ، وكل ذلك لا يخلو من المراقبة [2].

٤ ـ المراقبة تثمر السعادة والانشراح وقرّة العين:

لا شك أن المراقبة تحتاج إلى حضور القلب بين يدي الله سبحانه ، وعدم الانشغال عنه ، سواء في العبادة أو خارجها ، وإلى امتلاء القلب بعظمة الله عز وجل ومحبته.

وهذا القرب والدنو من الله تعالى يبث في القلب سروراً عظيمًا .

قال ابن القيم : فإن سرور القلب بالله وفرحه به ، وقرّة العين به ، لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا ألبتة ، وليس له نظر يُقاس به ، وهو حالٌ من أحوال أهل الجنة ، حتى قال بعض العارفين : إنه لتمرُّ بي أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنة في مثل هذا ، إنهم لفي عيشٍ طيب .

ولا ريب أن هذا السرور يبعثه على دوام السير إلى الله عز وجل ،

(١) وبعد العمل ، كما قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨] فكرر الأمر بالتقوى قبل العمل وبعده.

(٢) « المصدر السابق » (ص ٤٠٠).

وبذل الجهد في طلبه ، وابتغاء مرضاته . ومن لم يجد هذا السرور ، ولا شيئًا منه فَليتَّهم إيمانه وأعماله ، فإن للإيمان حلاوة من لم يذقها فليرجع وليقتبس نوراً يجد به حلاوة الإيمان.

وقد ذكر النبي ﷺ ذوق طعم الإِيمان ووجد حلاوته ، فذكر الذوق والوجد ، وعلقه بالإيمان فقال : « **ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً** » (١).

وقال : « **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوةَ الإيمان : مَنْ كان اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما ، ومَنْ كان يحبُّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله ، ومن يَكرَهُ أنّ يعودَ في الكُفْرَ ـ بعد إذ أنقذه الله منه ـ كما يكرهُ أنْ يُلْقى في النار** » (٢).

قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدَّس الله روحه ـ يقول : إذا لم تجد للعمل حلاوةً في قلبك وانشراحًا فاتهمه ، فإن الرب تعالى شكور.

يعني أنه لا بد أن يُثيب العامل على عمله في الدنيا ، من حلاوة يجدها في قلبه ، وقوة انشراح وقرّة عين ، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول (٣) .

---

(١) رواه أحمد (١/٢٠٨) ومسلم (١/٦٢) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١/ ٦٠) ، (١٢/٣١٥) ، ومسلم (١/٦٦) عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس مرفوعًا به .

ورواه البخاري (١/٧٢) ، (١٠/٤٦٣) ومسلم (١/٦٦) عن شعبة عن قتادة عن أنس مرفوعًا به.

ورواه مسلم (١/٦٧) عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعًا به ، بنحو حديثهم غير أنه قال « من أن يرجع يهوديًا أو نصرانيًا ».

(٣) علّق محمد الفقي هنا فقال : ذلك أن « الثواب » هو الراجع للعامل على عمله ، فللأعمال عاقبة تعود على صاحبها وتتصل بحياته وجميع شئونه ، فالصلاة تنهاه عن الفحشاء =

والقصد : أن السرور بالله وقربه ، وقرّة العين به ، تبعثُ على الازدياد من طاعته ، وتحثُّ على الجدِّ في السير إليه اهـ[1].

* * *

= والمنكر ، وتهذب الأخلاق وتربي أعلى تربية يحبها الربُّ سبحانه ، وهكذا الصيام يقوى العزيمة ويمكّن للنفس اللوامة ، وللبصيرة أن تشرق فيرى الصراط السَّوي فيكون من المتقين ، وهكذا كل الأعمال الصالحة ، فإن لها ثوابًا يصلح الشئون كلها هنا ، فتسعد به الحياة في الأسرة والمجتمع.

كما أن أعمال السوء لها كذلك (أي لها عاقبة سيئة على صاحبها) ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦] و ﴿الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ﴾ [الروم: ١٠] اهـ .

(١) « مدارج السالكين » (٦٨/٢).

الواسع
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٥٣)

*** المعنى اللغوي :**

السَّعَةُ نقيضُ الضيق ، وقد وَسِعَهُ يَسَعه ويَسِعَه سَعَةً ، ووَسُعَ بالضم وساعَةً فهو وسِيعٌ .

وشيءٌ وسِيعٌ وأسِيعٌ : واسِعٌ (١).

قال الجوهري : والوُسْعُ والسَعَةُ : الجِدَةُ والطاقة ، قال تعالى : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧] ، أي : على قدر غناه وسعته ، والهاء عوض من الواو.

وأوسَعَ الرجل ، إذا صار ذا سعةٍ وغنى (٢).

قال الزّجّاج : أصل السَعةُ في الكلام : كثرةُ أجزاء الشيء ، يقال : إناءٌ واسع ، وبيتٌ واسع ، ثم قد يستعمل في الغِنى ، يقال : فلانٌ يعطى من سعَةٍ ، يراد من غنًى وجده ، وفلانٌ واسعُ الرحلِ وهو الغني (٣).

وقال الراغب : السَّعة تقال في : الأمكنة ، وفي الحال ، وفي الفعل

---

(١) « النهاية » (٥/ ١٨٤) ، « اللسان » (٦/ ٤٨٣٥) ، وانظر: «اشتقاق الأسماء» للزجاجي (ص٧٢).

(٢) « الصحاح » (٣/ ١٢٩٨).

(٣) «تفسير الأسماء » (ص ٥١).

كالقدرة والجود ، ونحو ذلك [1].

*** وروده في القرآن الكريم :**

جاء في القرآن تسع مرات منها :

قوله تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١١٥].

وقوله : ﴿**وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقوله : ﴿**وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٨]

وقوله : ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٣٠] .

وقوله : ﴿**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**﴾ [النجم: ٣٢].

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ أي : جواد يَسع لما يُسأل [2].

قال ابن جرير :﴿**إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾: يعنى جل ثناؤه بقوله (واسع) يَسَعُ خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير[3]. وقال : ﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾: والله واسعٌ بفضله فينعم به على من أحب ، ويريد به من يشاء ، (عليم) بمن هو أهل لملكه الذي يؤتيه وفضله الذي يعطيه، فيعطيه ذلك لعلمه به وبأنه لما أعطاه أهل إما للإصلاح به ، وإما لأن ينتفع هو به [4] .

---

(١) « المفردات » (ص٥٢٣).

(٢) « مجاز القرآن » (١/ ٥١).

(٣) « جامع البيان » (١/ ٤٠٣) ، وقال مثله ابن كثير (١/ ١٦٠).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٨١).

قال الخطابي : (الواسع) هو الغني الذي وسع غناه مَفَاقر عباده ، ووسع رزقه جميع خلقه ، والسعة في كلام العرب : الغنى ، ويقال : الله يعطي عن سعة [1].

قال الحليمي : (الواسع) ومعناه الكثير مقدوراته ومعلوماته ، المنبسط فضله ورحمته ، وهذا تنزيهٌ له من النقص والعلة ، واعتراف له بأنه لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ورحمته وسعت كل شيء [2].

وفي المقصد : (الواسع) مشتق من السَّعة ، والسعة تضاف مرةً إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة ، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم ، وكيفما قدر وعلى أي شيءٍ نزل.

فالواسع المطلق هو الله تعالى ، لأنه إنْ نظر إلى علمه فلا ساحة[3] لبحر معلوماته ، بل تنفد البحار لو كانت مداداً لكلماته ، وإنْ نظر إلى إحسانه ونعمه ، فلا نهاية لمقدوراته ، وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف ، والذي لا ينتهي إلى طرف هو أحقّ باسم السعةِ ، والله تعالى هو الواسع المطلق ، لأن كل واسع بالإضافة إلى ما هو أوسع منه ضيق ، وكل سعة تنتهى إلى طرف ، فالزيادة عليها مُتَصورة ، وما لا نهايةَ له ولا طرف فلا يُتصور عليه زيادة [4].

وقال الأصبهاني : ومن أسمائه (الواسع) : وسعت رحمتُه الخلقَ

---

(١) « شأن الدعاء » (ص٧٢) ، وبنحوه في «النهاية» (٥/ ١٨٤) وقال البغوي (١/ ٩٩) : أي غني يعطي من السعة.

(٢) « المنهاج » (١/ ١٩٨) ذكره في الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده ، وكذا البيهقي في «الأسماء» (ص٥٩).

(٣) كذا بالأصل ، ولعلها : فلا ساحل لبحر معلوماته . . .

(٤) « المقصد الأسنى » (ص٧٥).

أجمعين ، وقيل : وسع رزقه الخلق أجمعين ، لا تجد أحدًا إلا وهو يأكل رزقه ، ولا يقدرُ أن يأكلَ غيرَ ما رُزق [1].

وقال القرطبي : أي يوسع على عباده في دينهم ، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم [2].

قال السعدي : الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها ، بحيث لا يحصي أحدٌ ثناءً عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، واسع العظمة والسلطان والملك ، واسع الفضل والإحسان ، عظيم الجود والكرم [3].

قال الزجاج : فإن قال قائل : فإذا كان معنى الواسع عندك والغني سواء فما الوجه في تكرارهما ؟

قلنا له : قد مضى القول في هذا في [4] شرح قولنا عليم وبصير [5]، وما جاء في كلام العرب من اختلاف الألفاظ واتفاق المعاني اتساعًا وتبسيطًا في الكلام ، فبني لمعنى واحد من صفاته لفظتان ليكون ذلك أبلغ في المدح وأكمل في الوصف . ومع ذلك فالواسع قد يتضمن من المعنى ما لا يتضمنه الغني ، ويتصرف فيما لا يتصرف في الغني كقولنا : يا واسع الفضل ، يا واسع الرحمة ، وكقوله عز وجل ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

---

(١) « الحجة » (ق٢٣ب).

(٢) « التفسير » (٢/ ٨٤) وأحال الكلام عليه إلى « الكتاب الاسنى » ولم أجده في الجزء الثاني الذي عندي ، ولعله في الجزء الأول.

(٣) « تيسير الكريم » (٥/ ٣٠٥).

(٤) ليست في الأصل ويقتضيها السياق.

(٥) انظر : (ص٦٦) من « اشتقاق أسماء الله » .

أي عمَّت رحمتك كل شيء ، وأحاط علمك بكل شيء [(١)].

* آثار الإِيمان بهذا الإِسم :

١ ـ الله سبحانه وتعالى واسع في علمه ، واسع في حكمته ، فلو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمته ، وآياته وعلمه وشرعه وقدره ، لنفد ماء البحر قبل أن ينفد ما عند الله من علم وحكمة وآيات ، ولو مددنا البحر بمثل ما فيه ، كما قال تعالى : ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] .

وقال سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] . أي لو أن أشجار الأرض كانت أقلامًا ، والبحار مدادًا ، وسبعة بحارٍ مثلها مدادًا، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات في الله لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ، ولم تنفد كلمات الله جلَّ شأنه.

وقد نظم ذلك ابن القيم بقوله :

كلماته جلَّت عن الإحصاءِ والتـ ـعداد بل عن حصر ذي الحسبانِ
لو أنَّ أشجارَ البلادِ جميعها الأقلام تكتبها بكلِّ بنانِ
والبحر تلقى فيه سبعة أبحر لكتابة الكلمات كل زمانِ
نَفَدَت ولم تَنفد بها كلماته ليس الكلام من الإله بفانِ [(٢)]

٢ ـ تقدم قول الحليمي رحمه الله أن (الواسع) معناه الكثير مقدوراته ومعلوماته.

---

(١) المصدر السابق (ص٧٣).

(٢) « النونية » (٢/٢١٧).

فقد جاء اسمه (الواسع) مقترنًا بـ (العليم) في سبع آيات من كتاب الله ، فالله سبحانه واسع العطاء ، كثير الإفضال على خلقه ، والخلق كلهم يتقلبون في رحمته وفضله ، يعطي من يشاء ويمنع ، ويخفض من يشاء ويرفع ، بعلمه الذي وسع كل شيء وحكمته.

وقد ذكر الله اعتراض بني اسرائيل على نبيهم حين قال لهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] . أي كيف يكون له الملك وليس من سبط النبوة و لا المُلك [١]، ونحن أحق بالملك منه ، ثم هو ليس من الأغنياء أصحاب الأموال والسعة في الرزق ليُفضَّل علينا [٢]، فَردَّ عليهم نبيهم عليه الصلاة والسلام بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة : ٢٤٧] أي : أن الله سبحانه قد زاده بسطةً وسعةً في العلم والجسم ، وهما خيرٌ من الملك والمال ،ثم ذكَّرهم بأنه مختار من قِبل الله سبحانه ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٤٧].

قال ابن جرير : يعني تعالى بذلك : أن الملك لله وبيده دون غيره «يؤتيه» يقول : يؤتي ذلك من يشاء فيضعه عنده ويخصه به ويمنحه من أحب من خلقه ، يقول فلا تستنكروا يا معشر الملأ من بني إسرائيل أن يبعث الله طالوت ملكًا عليكم ، وإن لم يكن من أهل بيت المملكة ، فإن الملك ليس بميراث عن الآباء والأسلاف ، ولكنه بيد الله يعطيه من يشاء من خلقه ، فلا تتخيروا على الله .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فإنه يعني بذلك : والله واسع بفضله

(١) لأنه من سبط بنيامين بن يعقوب «ابن جرير» (٢/ ٣٧٨).

(٢) ولا يخفى أن في كلامهم هذا ردٌّ لكلام الله سبحانه ونبيه عليه الصلاة والسلام.

فينعم به على من أحب ، ويريد به من يشاء ، عليم بمن هو أهل لملكه الذي يؤتيه ، وفضله الذي يعطيه ، فيعطيه ذلك لعلمه به ، وبأنه لما أعطاه أهل ، إما للإصلاح به ، وإما لأن ينتفع هو به اهـ [1].

٣ ـ تقدم قول القرطبي في (الواسع) أنه الذي يُوسع على عباده في دينهم ، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم.

ومصداق ذلك من كتاب الله قوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وقوله : ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨].

وقوله : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦] .

وقال ﷺ : « إن هذا الدين يسر ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه ... » [2].

فكل ما كلفنا الله سبحانه به من العبادات والشرائع هو مما تطيقه النفوس على وجه العموم ، ثم خفف الله عن المريض والمسافر ،

---

(١) « جامع البيان » (٢/ ٣٨١).

(٢) رواه البخاري (١/ ٩٣) والنسائي (٨/ ١٢١ ـ ١٢٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وهذا الحديث يدل على أن الدين كله يُسر ، في عباداته ومعاملاته وأحكامه ليس فيه صعوبة ولا تكليف ما لا يطاق ، وليس معنى الحديث ما يفهمه كثير من العامة من ترك الالتزام بالدين وواجباته ، وارتكاب ما حرم الله ثم إذا ذُكر بضرورة الالتزام بدين الله قال متفلتًا من ذلك: الدين يسر !!

والمسن والفقير ، والمرأة والصغير ، وغيرهم من أصحاب الأعذار ، كل ذلك تخفيفًا وتوسعةً على عباده ، ورفعًا للضيق والحرج عنهم.

وأضرب على ذلك مثالاً مناسبًا لما نسمعه هذه الأيام من اتجاه الغرب لإباحة الطلاق بعد أن حرموه على أنفسهم وضيقوا ما وسع الله عليهم.

قال الله تعالى في كتابه العزيز عن الزوجين ﴿ **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٣٠] . قال ابن جرير : **يغْن الله** الزوج والمرأة المطلقة من سعة فضله ، أما هذه فبزوج هو أصلح لها من المطلق الأول ، أو برزق واسع وعصمة ، وأما هذا فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلقة أو عِفَّة ، وكان الله واسعًا يعني :

وكان الله واسعًا لهما في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه ، حكيمًا فيما قضى بينه وبينها من الفرقة والطلاق ، وسائر المعاني التي عرفناها من الحكم بينهما في هذه الآيات وغيرها ، وفي ذلك من أحكامه وتدبيره وقضاياه في خلقه اهـ [(١)].

٤ ـ إن الله واسع المغفرة ، ومن سعة مغفرته أنه يغفر لكل من تاب وأناب مهما بلغت ذنوبه وخطاياه ، قال عزَّ من قائل ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣] .

وقال حملة العرش عن ربهم تبارك وتعالى ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [غافر: ٧][(١)].

* * *

---

(١) « جامع البيان » (٥/ ٢٠٤) ، وبنحوه ابن كثير (١/ ٥٦٤).

(٢) وقد تكلمنا عن هاتين الصفتين (الرحمة والمغفرة) في أسمائه : الرحمن الرحيم والغفور، بما يغني عن إعادته هنا.

الرَّب
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٥٤)

*** المعنى اللغوي :**

قال الزجاجي : الرب : المصلح للشيء ، يقال : رَبَبتُ الشيء أَرُبُّه ربًا وربابةً ، إذا أصلحته وقمت عليه ، ورب الشيء مالكه.

ومصدر الرب : الربوبية ، وكل من ملك شيئًا فهو ربه ، يقال : هذا ربُّ الدار ورب الضيعة ، ولا يقال : الرب معرفًا بالألف واللام مطلقًا ، إلا لله عز وجل لأنه مالك كل شيء [١].

وقال الجوهري : والرَّباني : المتألِّهُ العارف بالله تعالى ، وقال سبحانه : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ورَبَبْتُ القوم : سُسْتُهُم ، أي كنت فوقهم ، قال أبو نصر : وهو من الرُّبُوبيَّة ، ومنه قول صفوان : لأن يَرُبَّني رجلٌ من قريش أحبُّ إليَّ من أن يَرُبُني رجلٌ من هوازن.

وربَّ الضيعةَ أي : أصلحها وأتمها ، وربَّ فلان ولده يَرُبُّهُ ربًا ، ورببهُ وتَرببهُ بمعنى ، أي ؛ رباه.

والمَربُوب : المُربَّى [٢].

---

(١) «اشتقاق أسماء الله» (ص٣٢ ـ ٣٣) وفي «الصحاح»: وقد قالوه (أي الرب) في الجاهلية للملِك.

(٢) « الصحاح » (١/ ١٣٠).

وقال ابن الأنباري [1] : «الرَّبُّ ينقسم على ثلاثة أقسام :

يكون الرب المالك ، ويكون الرب السيد المطاع ، قال الله تعالى : ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٤١] ، أي سيده .

ويكون الرب المصلح ، ربَّ الشيء إذا أصلحه» [2].

وقال الراغب : «الربُّ في الأصل التربية ، وهو إنشاءُ الشيءِ حالاً فحالاً إلى حدِّ التمام» [3].

*** وروده في القرآن الكريم :**

ورد هذا الاسم في القرآن مرات كثيرة جدًا . أما عن وروده مفردًا ، فقد ورد في إحدى وخمسين ومئة مرة ، منها :

قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]

وقوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١].

وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

وقوله : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] .

---

(١) هو الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون ، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري ، المقرئ النحوي.

قال الخطيب : كان ابن الأنباري صدوقًا دينًا من أهل السنة .

قال الذهبي: له كتاب «الوقف والابتداء»، وكتاب «المشكل» و «غريب الحديث النبوي»، وغيرها . «تاريخ بغداد» (٣/ ١٨١ ـ ١٨٦) ، «السير» (١٥/ ٢٧٤)

(٢) «اللسان» (١٥٤٧/٣) ، وقد ذكر الطبري هذه الوجوه الثلاثة في تفسيره (٤٧/١ ـ ٤٨) ، والزجاجي (ص٣٢) و الخطابي في « شأن الدعاء » (ص ٩٩ ـ ١٠٠) والقرطبي في «الأسنى» (ورقة ٣٧٠ ب ٣٧١ أ) وزاد معنًى رابعًا وهو : المعبود.

(٢) « المفردات » (ص١٨٤).

وقوله : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وقوله : ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [الدخان: ٨] .

وقال : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] .

وقال : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

وغيرها من الآيات الكثيرة .

*** المعنى في حق الله تعالى :**

قال الطبري بعد ذكره للوجوه الثلاثة التي تقدمت في معنى الرب : وقد يتصرف أيضًا معنى الرب في وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة ، فربنا جلّ ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده ، والمصلح في أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ،و المالك الذي له الخلق والأمر [١].

قال ابن الأثير : الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبِّر والمُرَبِّي والقيِّم والمُنعم ، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى ، وإذا أطلق على غيره أُضيف ، فيقال : رب كذا [٢].

قال ابن كثير : والرب هو المالك المتصرف ، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى.

ولا يستعمل الرب لغير الله ، بل بالإضافة ، تقول : رب الدار رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل [٣].

---

(١) « جامع البيان » (١/ ٤٨).

(٢) « النهاية » (١/ ١٧٩).

(٣) «التفسير»(١/ ٢٣)وانظر : «البغوي» (١/ ٢١) و« الاعتقاد» للبيهقي(ص٦٧) و«فتح القدير» للشوكاني (١/ ٢١).

وقال عبد الرحمن السعدي : (الرب) هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم ، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم ولهذا كثُر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل ، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة [1].

*** آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ إن الله سبحانه هو الرب على الحقيقة ، فلا رب على الحقيقة سواه وهو رب الأرباب ومالك الملك ، وملك الملوك سبحانه وتعالى.

قال القرطبي : فالله سبحانه رب الأرباب ، ومعبود العُبَّاد ، يملك الممالك والملوك [2]،وجميع العباد ، وهو خالق ذلك ورازقه ، وكل ربٍّ سواه غير خالق ولا رازق ، وكل مخلوق فَمُمَلَّكٌ بعد أن لم يكن ، ومُنتَزَعٌ ذلك من يده ، وإنما يملك شيئًا دون شيء . وصفة الله مخالفةٌ لهذا المعنى ،فهذا الفرق بين صفات الخالق والمخلوقين.

فأما قول فرعون ـ لعنه الله ـ إذ قال : ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ، فإنه أراد أن يَستبدَّ بالربُوبيةِ العالية على قومه ، ويكون رب الأرباب فينازع الله في ربوبيته وملكه الأعلى ، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥] .

وقد قيل إن الرب مشتقٌ من التربية فالله سبحانه مدبر لخلقه ومُربيهم ومُصلحهم وجابرهم والقائم بأمورهم ، قيوم الدنيا والآخرة ، كل شيء خَلْقه ، وكل مذكور سواه عبدُهُ وهو ربُّه ، لا يصلح إلا بتدبيره ، ولا يقوم إلا بأمره، ولا يَرُبُّه سواه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (٥/٢٩٨).

(٢) في « الكتاب الأسنى » : المملوك ، و لعل الصواب ما أثبتناه.

حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣] ، فسمّى ولد الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها .

فعلى أنه مدبرٌ لخلقه ومُربِّيهم ومصلحهم وجابرهم يكون صفة فعلٍ ، وعلى أن الربَّ المالك والسيد يكون صفة ذات اهـ [١].

ويُبينُ الحليمي أن الله سبحانه يرعى العباد ويربيهم في أحوالهم وأطوارهم المختلفة فيقول : (الرب) وهو المبلغ كل ما أبدع حد كماله الذي قدره له ، وهو يسلُّ النُّطفة من الصُّلب ويجعلها علقة ، والعلقة مضغة ، ثم يجعل المضغة عظامًا ، ثم يكسو العظام لحمًا ، ثم يخلق في البدن الروح ويخرجه خلقًا آخر وهو صغير ضعيف ، فلا يزال يُنميه ويُنشئه حتى يجعله رجلاً ، ويكون في بدء أمره شابًا ثم يجعله كهلاً ثم شيخًا . وهكذا كل شيء خلقه فهو القائم عليه به ، والمبلغ إياه الحد الذي وصفه وجعله نهاية ومقدارًا له [٢].

٢ ـ فمن عرف ذلك لم يطلب غير الله تعالى له ربًا وإلهًا ، بل رضى به سبحانه وتعالى ربًا ، ومن كانت هذه صفته ذاق طعم الإيمان وحلاوته، كما قال ﷺ : « **ذَاقَ طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً** » [٣].

قال القاضي عياض رحمه الله : معنى الحديث صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه ، لأن رضاه بالمذكورات دليلٌ لثبوت معرفته ، ونفاذ بصيرته ، ومخالطة بشاشته قلبه ، لأن من رضي أمرًا سهل عليه،

(١) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٧١ أ ـ ب)

(٢) « المنهاج في شعب الإيمان » (١/ ٢٠٥) وقد ذكره في الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، وكذا البيهقي في « الأسماء » (ص٩٤).

(٣) رواه أحمد (١/ ٢٠٨) ومسلم (١/ ٦٢) والترمذي (٥/ ١٤) عن العباس بن عبد المطلب.

فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذَّت له، والله أعلم [(١)].

٣ ـ وقد تكلم العلامة ابن القيم عن ارتباط اسم (الرب) باسم (الله) و(الرحمن) كلامًا جيدًا حيث يقول :

وتأمل ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة ، وهي (الله ، والرب ، والرحمن) كيف نشأ عنها الخلق ، والأمر ، والثواب ، والعقاب ؟ وكيف جمعت الخلق وفرقتهم ؟ فلها الجمع ، ولها الفرق .

فاسم (الرب) له الجمع الجامع لجميع المخلوقات . فهو رب كل شيء وخالقه ، والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته ، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته ، وتحت قهره ، فاجتمعوا بصفة الربوبية ، وافترقوا بصفة الإِلهية ، فألَّهه وحده السعداء ، وأقروا له طوعًا بأنه الله الذي لا إله إلا هو ، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل ، والرجاء والخوف ، والحب والإِنابة والإِخبات والخشية ، والتذلل والخضوع إلا له.

وهنا افترق الناس ، وصاروا فريقين : فريقًا مشركين في السعير ، وفريقًا موحدين في الجنة.

فالإلهية هي التي فرقتهم ، كما أن الربوبية هي التي جمعتهم.

فالدين والشرع ، والأمر والنهي ـ مظهره ، وقيامه ـ من صفة الإلهية. والخلق والإيجاد والتدبير والفعل : من صفة الربوبية . والجزاء بالثواب والعقاب والجنة والنار : من صفة الملك . وهو ملك يوم الدين. فأمرهم بإلهيته ، وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته.

---

(١) « شرح مسلم » للنووي (٢/ ٢).

وأثابهم وعاقبهم بملكه وعدله . وكل واحدة من هذه الأمور لا تنفك عن الأخرى.

وأما الرحمة : فهي التعلق ، والسبب الذي بين الله وبين عباده.

فالتأليه منهم له ، والربوبية منه لهم . والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده ، بها أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه . وبها هداهم . وبها أسكنهم دار ثوابه . وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم . فبينهم وبينه سبب العبودية . وبينه وبينهم سبب الرحمة.

واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه برحمته.

فـ ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] مطابق لقوله : ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢، ٣] فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصى شمول الرحمة وسعتها . فوسع كل شيء برحمته وربوبيته ، مع أن في كونه ربًا للعالمين ما يدل على علوه على خلقه ، وكونه فوق كل شيء ، كما يأتي بيانه إن شاء الله اهـ [(١)].

٤ ـ قال القرطبي رحمه الله : فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لاربَّ له على الحقيقة إلا الله وحده ، وأن يحسن تربية من جُعلت تربيته إليه ، فيقوم بأمره ومصالحه كما قام الحقُّ فَيُرَقِّيَه شيئًا شيئًا وطورًا طورًا ، ويحفظه ما استطاع جهده ، كما حفظه الله .

قال ابن عباس وقد سئل عن الرباني فقال : هو الذي يعلم الناس بصغار العلم قبل كباره [(٢)].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٤ ـ ٣٥)

(٢) لم أجده ، وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٣): وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني ، وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يرب الناس ، وهو الذي يصلح أمورهم ويقوم بها ، يقال منه : رب أمري فلان فهو يربه ربًا وهو رابُّه ، فإذا أريد به =

فالعالم الرَّباني هو الذي يحقق علم الربوبية وربّى الناس بالعلم على مقدار ما يحتملوه ، فبذل لخواصِّهم جوهره ومكنونه ،وبذل لعوامِّهم ما ينالون به فضل الله ويدركونه اهـ [1].

(٥) ٤ ـ وقد دعا الأنبياء والصالحون الله سبحانه وتعالى بهذا الاسم وتضرعوا به إليه .

فدعا آدم عليه السلام وحواء به كما في قوله تعالى : ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

ونوح عليه السلام في دعائه ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] .

وإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

وموسى عليه الصلاة والسلام ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف :١٥١] .

وعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٤] .

والرسول ﷺ وأمته في قوله :﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا

= المبالغة في مدحه قيل هو : ربان ، كما يقال هو نعسان من قولهم : نعس ينعس اهـ مختصراً .

(١) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٧١ ب) .

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وغير ذلك في كتاب الله كثير لا يحصى.

٦ ـ وقد نهى النبي ﷺ العبد أن يقول لسيده (ربي) فقال : « **لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وَضّئ ربك ، وليقل : سيدي مولاي ، ولا يقل أحدكم : عبدي أَمَتي ، وليقُل : فتاي وفتاتي وغلامي** »[(١)].

قال الحافظ ابن حجر : وفيه نهي العبد أن يقول لسيده ربي ، وكذلك نهي غيره فلا يقول له أحد ربك ، ويدخل في ذلك أن يقول السيد ذلك عن نفسه ، فإنه قد يقول لعبده اسق ربك ، فيضع الظاهر موضع الضمير على سبيل التعظيم لنفسه.

والسبب في النهي أن حقيقة الربوبية لله تعالى ، لأن الرب هو المالك القائم بالشيء ، فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تعالى . قال الخطابي : سبب المنع أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله ، وترك الإشراك معه ، فكره له المضاهاة في الاسم لئلا يدخل في معنى الشرك ، ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد ، فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره إطلاق ذلك عليه عند الإضافة كقوله : رب الدار ورب الثوب.

قال ابن بطال : لا يجوز أن يقال لأحد غير الله رب ، كما لا يجوز أن يقال له إله .

وتعقبه الحافظ بقوله : والذي يختص بالله تعالى إطلاق الرب بلا إضافة ، أما مع الإضافة فيجوز إطلاقه كما في قوله تعالى حكاية عن

(١) رواه البخاري (٥/ ١٧٧) ومسلم (٤/ ١٧٦٥) عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

يوسف عليه السلام ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]، وقوله عليه الصلاة والسلام في أشراط الساعة «**أن تلد الأمة ربها**» فدلَّ على أن النهى في ذلك محمول على الإطلاق، ويحتمل أن يكون النهي للتنزيه، وما ورد من ذلك فلبيان الجواز.

وقيل هو مخصوص بغير النبي ﷺ ولا يرد ما في القرآن، أو المراد النهي عن الإكثار من ذلك واتخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهي عن ذكرها في الجملة اهـ [(١)].

قلت: وترك استعمال هذه الكلمة لورود النهي عنها أسلم وأحوط، والله أعلم.

* * *

(١) «الفتح» (٥/ ١٧٩).

الودود
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٥٥)

* **المعنى اللغوي :**

الوُدُّ مصدرُ المودَّة .

قال ابن سيده : الودُّ الحبُّ يكون في جميع مداخل الخير ، عن أبي زيد .

وَوَدِدْتُ الشيء أَوَدُّ ، وهو من الأمنية .

قال الفرّاء هذا أفضل الكلام ، وقال بعضهم : وَدَدْتُ ويفعل منه يَوَدُّ لا غير .

ذكر هذا في قوله تعالى : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة: ٩٦]، أي يتمنى [١].

قال الجوهري : ودِدْتُ الرجل أَوَدُّه وُدًّا ، إذا أحببته ، والوُدُّ والوَدُّ والوِدُّ ، : المودَّةُ ، تقول : بوُدِّي أن يكون كذا .

والوَدُودُ المحبُّ [٢].

قال الزجاج : (الودود) يجوز أن يكون فعولاً بمعنى فاعل، ويجوز أن يكون فعولاً بمعنى مفعول [٣].

(١) « اللسان » (٦/٤٧٩٣) ، ولم أجد كلام الفراء في « معاني القرآن » عند الآية المذكورة.

(٢) « الصحاح » (٢/٥٤٩).

(٣) « تفسير الأسماء » (ص٥٢).

قال ابن العربي : اتفق أهل اللغة على أن المودَّة هي المحبة [1].

وجمع بين المعنيين الراغب فقال : الودُّ محبة الشيء وتمني كونه ، ويستعمل في كل واحد من المعنيين ، على أن التمني يتضمَّن معنى الوُد، لأن التمني هو تشهي حصول ما تودُّه [2].

*** وروده في القرآن الكريم :**

ورد مرتين ، الأولى في قوله تعالى ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾ [هود: ٩٠] . والثانية في قوله تعالى ﴿**إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**﴾ [البروج: ١٣، ١٤] .

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال ابن جرير : (ودود) يقول : ذو محبةٍ لمن أناب وتاب إليه يوده ويحبه [3].

وقال في قوله : ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**﴾ : يقول تعالى ذكره وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه ، وذو المحبةِ له [4].

قال الزجاجي : فيه قولان :

أحدهما : أنه فعولٌ بمعنى فاعل ، كقولك : غفورٌ بمعنى غافر ، وكما قالوا : رجلٌ صبورٌ بمعنى صابر ، وشكور بمعنى شاكر ، فيكون الودود في صفات الله عز وجل على هذا المذهب أنه : يودُّ عباده الصالحين ويحبهم .

---

(١) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٨٣ أ)

(٢) « المفردات » (ص٥١٦).

(٣) «جامع البيان » (١٢/٦٤).

(٤) المصدر السابق (٣٠/٨٩) ، ونقل معناه ابن كثير (٤/٤٩٦).

والودُّ والمودة والمحبة في المعنى سواء .

فالله عز وجل ودودٌ لأوليائه والصالحين من عباده وهو محبٌ لهم.

والقول الآخر : أنه فعولٌ بمعنى فعولٍ ، كما يقال : رجل هيوبٌ أي: مهيب، فتقديره: أنه عز وجل مودود ، أي : يوده عباده ويحبونه.

وهما وجهان جيدان.

وقد تأتي الصفة بالفعل لله عز وجل ولعبده فيقال : العبد شكور لله ، أي يشكر نعمته ، والله عز وجل شكور للعبد أي : يشكر له عمله ، أي يجازيه على عمله ، والعبد تواب إلى الله من ذنبه ، والله توابٌ عليه أي : يقبل توبته ويعفو عنه اهـ [1].

وبنحوه قال الخطابي وزاد : وقد يكون معناه أن يُوَدِّدَهم إلى خلقه ، كقوله جل وعز : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾ [مريم: ٩٦] [2].

وقال الحليمي : وقد قيل : هو الواد لأهل طاعته ، أي الراضي عنهم بأعمالهم والمحسن إليهم لأجلها والمادح لهم بها [3].

وقد قيل : هو الودود بكثرة إحسانه ، أي المستحق لأن يود فيعبد ويحمد [4].

---

(١) « اشتقاق أسماء الله » (ص١٥٢).

(٢) « شأن الدعاء » (ص٧٤).

(٣) قلت : وهذا تأويل للصفة ؛ لأن المحبة غير الرضى والإحسان والمدح والثناء عند أهل السنة والجماعة ، فالمحبة صفة ثابتة لله تبارك وتعالى في الكتاب والسنة.

(٤) « المنهاج» (١/ ٢٠٦) ، وقد ذكر ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ، وكذا البيهقي في «الأسماء» (ص١٠١) ، وفي «الاعتقاد» (ص٦٠) قال : ومحبة الله عباده إرادته رحمتهم ومدحهم ! وكذا أوّله الغزالي بقوله في «المقصد» (ص ٧٦) : ودّه إرادته =

قال ابن القيم في النونية :

وهو الودود يُحبهم ويُحبه أحبابه والفضلُ للمنانِ
وهو الذي جعل المحبة في قلو بهم وجازاهم بحبٍ ثانِ
هذا هو الإحسان حقًا لا مُعا وضةً ولا لتوقع الشكرانِ
لكن يحب شَكورهم وشُكورهم لا لاحتياج منه للشكرانِ[1]

قال السعدي : (الودود) الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ، ويحبونه فهو أحب إليه من كل شيء ، قد امتلأت قلوبهم من محبته ، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه ، وانجذبت أفئدتهم إليه وداً وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه [2].

*** آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ قال القرطبي : فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو (الودود) على الإطلاق ، المحبّ لخلقه ، والمثني عليهم والمحسن إليهم اهـ [3].

فالله سبحانه وتعالى يحب من أطاعه ويبغض من عصاه . يحب التوابين والمتطهرين والصابرين والمتوكلين والمقسطين والمؤمنين والمتقين والمحسنين ، وجميع الطائعين . ويبغض ويكره المعتدين والمفسدين

= الكرامة والنعمة وإحسانه وإنعامه وهو منزه عن ميل المودة . . .

وابن الأثير في النهاية (٥/ ١٦٤): أي أنه يحب عباده الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم.

والرازي في «الأسماء» (٢٨٢): ومعنى قولنا: إنه يحب عبيده أي يريد إيصال الخيرات لهم.

(١) « النونية » (٢/ ٢٣٠) ، وقوله : يحب شكورهم إلخ . الأول بفتح الشين اسم فاعل من شكر يشكر فهو شكور ، والثاني بضم الشين مصدر (الشارح).

(٢) « تيسير الكريم » (٥/ ٣٠٢).

(٣) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٨٤ ب).

والمسرفين والخائنين والمستكبرين والفاسقين والظالمين والكافرين ، ولا يحب كل مختال فخورٍ ، ولا كل خوانٍ كفور ، وهذا كله في كتابه العزيز .

فيجب على العبد أن يتبع ما يحبه الله ويرضاه ، ويتجنب ما يبغضه ولا يحبه .

يقول القرطبي في تتمة كلامه السابق : ثم يجب عليه أن يتودد إلى ربه بامتثال أمره ونهيه ، كما تودد إليه بإدرار نِعَمه وفضله ، ويحبه كما أحبه .

ومن حب العبد لله رضاه بما قضاه وقدَّره ، وحب القرآن والقيام به ، وحب الرسول ﷺ وحب سنته والقيام بها والدعاء إليها ، قال الله العظيم ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ، فمن اتبع رسوله فيما جاء به ، وصدق في اتباعه، فذلك الذي أحب الله وأحبه الله .

واعلم أن مثال محبة الله تعالى بترك المناهي ، أكثر من مثالها بسواها من أعمال الطاعات ، فالأعمال الصالحة قد يعملها البرُّ والفاجر ، والانتهاء عن المعاصي لا تكون إلا بالكمال [و] إلا من مصدق .

قلت (القرطبي) وعلى هذا الحذو ـ والله أعلم ـ يترتب حب الله تعالى للعبد وحب الناس له ، وعليه يخرج الحديث الذي خرَّجه مالك والبخاري ومسلم وغيرهم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلانًا فأحبه، قال فَيُحبه جبريل ثم يُنادى في السماء فيقول : إن الله يحبّ فلانًا فأحبُّوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا**

أبغض الله عبدًا دعا جبريل فيقول :إنى أبغض فلانًا فأبغضه فيبغضه جبريل، ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يُبغض فلانًا فأبغضوه ، قال فيبغضونه ، ثم توضع له البغضاء في الأرض » [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهو سبحانه يحب عباده الذين يحبونه، والمحبوب لغيره أولى أن يكون محبوبًا .

فإذا كنَّا إذا أحببنا شيئًا لله كان الله هو المحبوب في الحقيقة ، وحبنا لذلك بطريق التبع ، وكنَّا نحب من يحب الله لأنه يحب الله ، فالله تعالى يُحب الذين يحبونه ، فهو المستحق أن يكون هو المحبوب المألوه المعبود ، وأن يكون غاية كل حب [2].

٢ ـ أن المستحق أن يُحب لذاته هو الله سبحانه وتعالى، وكل محبة يجب أن تكون لله وفي الله، فإذا أحب العبد أحب لله وإذا أبغض أبغض لله، وإذا أعطى أعطى لله ، وإذا منع منع لله ، وإذا والى والى في الله وإذا عادى عادى في الله، وهكذا كل أعماله يجب أن تكون فيما يحبه الله ويرضاه .

وكذا فإنه لا يجوز للعبد أن يبغض من أحبه الله تعالى من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، ولا يحب من أبغضه الله من الفساق والعاصين و المكذبين والمحاربين لله بأموالهم وأنفسهم، مهما كانت قرابتهم له .

فعن الأول يقول المصطفى ﷺ « **إن الله قال : مَنْ عادى لي وليًا فقد**

---

(١) « الكتاب الأسنى » (ورقة ٣٨٤ب ـ ٣٨٥أ) ، والحديث في «الموطأ» (٩٥٣/٢) و«البخاري» (٣٠٣/٦) (٤٦١/١٣) ، (٤٦١/١٣) و«مسلم» (٢٠٣٠/٤) عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا به.

(٢) « درء تعارض العقل والنقل » (١٥/٤).

آذنته بالحرب ، وما تَقَرَّبَ إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يَسمعُ به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يَبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكرهُ الموتَ وأن أكره مساءته» .(١)

فالحديث يدل على أن معاداة أولياء الله إنما هي في الحقيقة معاداة الله ، ومن ذا الذي يطيق أن يعادي الله تعالى شأنه أو يحاربه ، ويدل أيضًا على أن الفرائض من أحب ما يتقرب به إلى الله تعالى ، ويليها النوافل.

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) والبيهقي في « الزهد » (٦٩٠) وفيه خالد بن مخلد وقد تكلم فيه ، وشريك بن عبد الله بن أبي نمر وقد انفرد به . قال الحافظ : ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلاً اهـ . قلت : فمنها حديث عائشة رواه أحمد في مسنده (٦/ ٢٥٦) ثنا حماد وأبو المنذر قالا حدثنا عبد الواحد مولى عروة عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل من أذلَّ لي وليًا فقد استحل محاربتي ...» بنحو حديث البخاري ، وأخرجه البيهقي في «الزهد» (٦٩٢ ، ٦٩٣) ، وعزاه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٤١) إلى أحمد في «الزهد» وابن أبي الدنيا وأبي نعيم في «الحلية» .

وفيه عبد الواحد بن ميمون أبو حمزة قال البخاري : منكر الحديث وضعفه الدارقطني ، وقال ابن أبي حاتم قلت لأبي عامر العقدي كيف كان هذا الشيخ ؟ فقال : تعرف وتنكر «الجرح» (٦/ ٢٤) ، و انظر : «الميزان» (٢/ ٦٧٦) لكن قال أحمد بعد أن روى الحديث : وقال أبو المنذر قال حدثني عروة قال حدثتني عائشة ، وقال أبو المنذر : آذى لي .

فرواه أبو المنذر وهو إسماعيل بن عمر عن عروة مباشرة ، وإسماعيل بن عمر ثقة ، فالحديث بهذه الطرق صحيح والله اعلم .

وانظر الكلام على طرقه في «الفتح» (١١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢).

وأما عن الثاني وهي أن لا يحب من عصى الله ،يقول تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

قال ابن تيمية رحمه الله :

وليس ما يستحق أن يكون هو المحبوب لذاته ، المراد لذاته ، المطلوب لذاته ، المعبود لذاته ، إلا الله . كما أنه ليس ما هو بنفسه مبدع خالق إلا الله ، فكما أنه لا ربّ غيره ، فلا إله إلا هو ، فليس في المخلوقات ما يستقل بإبداع شيء حتى يكون ربًا له ، ولكن ثمَّ أسباب متعاونة ولها فاعل هو سببها.

وكذلك ليس في المخلوقات ما هو مستحق لأن يكون المستقلّ بأن يكون هو المعبود المقصود المراد بجميع الأعمال ، بل إذا استحق أن يُحب ويُراد ، فإنما يراد لغيره ، وله ما شاركه في أن يحب معه ، وكلاهما يجب أن يحب لله ، لا يُحب واحدٌ منهما لذاته ، إذ ليست ذاته هي التي يحصل بها كمال النفوس وصلاحها وانتفاعها ، إذا كانت هي الغاية المطلوبة .

والله فطر عباده على ذلك ، وهو أعظم من كونه فطرهم على حب الأغذية التي تصلحهم ، فإذا تناولوا غيرها أفسدتهم ،فإن ذلك ، وإن كان كذلك ، ففي الممكن أن يجعل في غير ذلك ما يغذّيهم ، وأما كون الفطرة يمكن أن تصلح على عبادة غير الله ،فهذا ممتنع لذاته كما يمتنع لذاته أن يكون للعالم مُبدع غير الله ، قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] .

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟** »[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار ، عن النبي ﷺ أنه قال : «**يقول الله : إني خلقت عبادي حنفاء [كلهم] فاجتالتهم الشياطين وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا** »[(٢)].

والفِطَر تعرف هذا أعظم مما تعرف ما يلائمها من الطعام والشراب ، لكن قد يحصل للفطرة نوع فساد ، فيفسد إدراكها ، كما يفسد إدراكها إذا وجدت الحلو مراً، وهذا هو أعرف المعروف الذي أمر الله الرسل أن تأمر به، والشرك أنكر المنكر الذي أمرهم بالنهي عنه، والشرك لا يغفره الله، فإنه فساد لا يقبل الصلاح.

ولهذا وجب التفريق بين الحب مع الله ، والحب لله ، فالأول شرك، والثاني إيمان.

قال تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال : ﴿**أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [التوبة: ٢٤].

فليس لأحد أن يحب شيئًا مع الله وأما الحبُّ لله فقال ﷺ في الصحيح : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذا أنقذه الله منه ،**

---

(١) البخاري في مواضع منها (٣/ ٢١٩) ومسلم (٤/ ٢٠٤٧).

(٢) مسلم (٤/ ٢١٩٧) ، ومعنى فاجتالتهم: استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه.

كما يكره أن يلقى في النار »[1].اهـ[2].

٣ ـ حب الله سبحانه ورسوله ﷺ يقوى بقوة العلم الشرعي ، وكلما كان المسلم عالمًا بدين الله وأحكامه وشرائعه ، عاملاً به ، كان حُبُّه أقوى من غيره من الجاهلين ، وإن كانت محبة الله سبحانه توجد في الفطر ولكنها تقوى بالعلم وتخبو وتضعف بالشهوات والشبهات.

قال ابن تيمية رحمه الله : وكذلك حبُّ الله ورسوله حاصلٌ لكل مؤمن، ويظهر ذلك بما إذا خُيِّر المؤمن بين أهله وبين الله ورسوله ،فإنه يختار الله ورسوله .

والمؤمنون متفاضلون في هذه المحبة ، ولكن المنافقون ـ الذين أظهروا الإسلام ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم ـ ليسوا من هؤلاء ، وما من مؤمن إلا وهو إذا ذُكر له رؤية الله اشتاق إلى ذلك شوقًا لا يكاد يشتاقه إلى شيء .

وقد قال الحسن البصري : لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا[3].

والحب لله يَقْوى بسبب قوة المعرفة وسلامة الفطرة ، ونقصها من نقص المعرفة ومن خبث الفطرة بالأهواء الفاسدة.

ولا ريب أن النفوس تحب اللذة بالأكل والشرب والنكاح ، وقد

---

(١) مضى تخريجه في آثار الإيمان بـ(الرقيب).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٩/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦) وقد وقع قوله تعالى ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ في غير موضعه فصوبناه.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٢٦٣) (٢/ ٤٧١) والآجرى في «الشريعة» (ص٢٥٣) وفيه عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد ، قال يحيى : ليس بشيء ، وقال البخاري تركوه «الميزان» (٢/ ٦٧٢ـ ٦٧٣).

تشتغل النفوس بأدنى المحبوبَيْنِ عن أعلاهما ، لقوة حاجته العاجلة إليه ، كالجائع الشديد الجوع ، فإن ألمه بالجوع قد يشغله عن لذة مناجاته لله في الصلاة .

ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح : **لا يصلين أحدكم بحضرة طعام ، ولا هو يدافع الأخبثين** (١).

وإن كانت الصلاة قرة عين العارفين ، والإنسان إنما يشتاق إلى ما يشعر به من المحبوبات ، فأما ما لم يشعر بِهِ فهو لا يشتاق إليه ، وإن كان لو شعر به لكان شوقه إليه أشد من شوقه إلى غيره اهـ (٢).

* * *

(١) رواه مسلم (١/٣٩٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٦/٧٢ ـ ٧٣).

المجيد
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٥٦)

*** المعنى اللغوي :**

قال الزجاج : أصلُ المجد في الكلام: الكثرة والسَّعَة ، وهو مأخوذ من قولهم : أمجَدْتُ الدابةَ ، إذا أكثرتَ علفها.

فالماجد في اللغة : الكثير الشرف [١].

وقال الزجاجي : المجيد : الكريم ، والمجد الكرم ، يقال اشتقاقه من قول العرب : أمجدت الدابة علفًا ، إذا أكثرته لها ، فكأن المجيد المبالغ في الكرم ، المتناهي فيه [٢].

قال ابن سيده : المجد نيل الشرف ، وقيل : لا يكون إلا بالآباء ، وقيل : المجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي ، وقد مَجدَ يمجد مجدًا ، فهو ماجد ، ومَجُدَ بالضم مَجادَةً فهو مجيد ، وتَمَجَّد ، والمجد: كرم فعاله [٣].

وقال الراغب : المجدُ السعة في الكرم والجلال [٤].

---

(١) « تفسير الأسماء » (ص٥٣).

(٢) « اشتقاق الأسماء » (ص١٥٢) ، وبنحوه في « شأن الدعاء » (ص٧٤ ـ ٧٥) و«الصحاح» للجوهري (٢/٥٣٦).

(٣) « اللسان » (٥/٤١٣٨) ، وفي « النهاية » (٤/٢٩٨) : المجد : الشرف الواسع .

(٤) « المفردات » (ص٤٦٣).

والمجيد فعيل من الماجد ، كالعليم من العالم والقدير من القادر .

ويتحصل عندنا في معنى (المجد) :

١ ـ أنه الشرف التام الكامل .

٢ ـ أنه السعة والكثرة.

*** وروده في القرآن الكريم :**

ورد هذا الاسم مرتين :

في قوله تعالى : ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] . وقوله سبحانه :﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٤، ١٥][(١)] .

*** معنى الاسم في حق الله تعالى :**

قال أبو عبيدة :﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ أي : محمود ماجد [(٢)].

وقال ابن جرير : (مجيد) : ذو مجد ومدح وثناء كريم [(٣)].

وقال الخطابي : (المجيد) هو الواسع الكرم [(٤)].

وفي المقصد : (المجيد) هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونواله [(٥)].

وقال ابن كثير : الحميد في جميع أفعاله وأقواله ، محمود ممجد في

---

(١) قرئ المجيد بالرفع نعتًا لله عز وجل ، وبالجر نعتًا للعرش . انظر: «إملاء ما منَّ به الرحمن» لأبي البقاء عبد الله العكبري (٢/ ٢٨٤) ، «القرطبي» (١٩/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .

(٢) « مجاز القرآن » (١/ ٢٩٣).

(٣) « جامع البيان » (١٢/ ٤٧).

(٤) « شأن الدعاء » (ص٧٤) وبه قال الأصبهاني في الحجة (ق١٨أ) وقال : وقيل (المجيد) في صفات الله تعالى الكريم الفعال ، ورجل ماجد مفضال كثير الخير.

(٥) « المقصد الأسنى » (ص٧٧) باختصار .

صفاته وذاته [1].

وقال الشوكاني : (مجيد) : كثير الإحسان إلى عباده ، بما يفيضه عليهم من الخيرات [2].

وقال ابن القيم :

وهو المجيدُ صفاته أوصاف تعظيم فشأن الوَصف أعظمُ شَان[3]

وقال عبد الرحمن السعدي : · المجيد الكبير العظيم الجليل ، وهو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال ، الذي هو أكبر من كل شيء ، وأعظم من كل شيء وأجلُّ وأعلى ، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه ، قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه [4].

*** آثار الإيمان بهذا الاسم :**

١ ـ قال الأزهري : الله تعالى هو (المجيد) تَمجَّد بفعاله ، ومجَّدهُ خلقه لعظمته [5].

فالله سبحانه له المجد العلي العظيم ، بفعاله العظيمة وصفاته العلية وبأسمائه الحسنى ، فلا مجدَ إلا مجده ، ولا عظمة إلا عظمته ، وكل مجد لغيره إنما هو منه عطاء وتفضل [6].

---

(١) « التفسير » (٢/ ٤٥٢).

(٢) « فتح القدير » (٢/ ٥١١).

(٣) « النونية » (٢/ ٢١٥) .

(٤) « تيسير الكريم » (٥/ ٣٠٠).

(٥) « اللسان » (٥/ ٤١٣٨).

(٦) راجع الكلام على اسمه (العظيم).

وفي اقتران (الحميد) مع (المجيد) بيان أنه محمود على مجده وعظمته وكمال صفاته ، فليس كل ذي شرف محمود ، وكذلك ليس كل محمود يكون ذو شرف .

قال الحليمي : (المجيد) ومعناه : المنيع المحمود ؛ لأن العرب لا تقول لكل محمود مجيدًا ، ولا لكل منيع مجيدًا .أو قد يكون الواحد منيعًا غير محمود ، كالمتآمر الخليع الجائر ، أو اللص المتحصن ببعض القلاع .

وقد يكون محمودًا غير منيع، كأمير السوقة والصابرين من أهل القبلة.

فلما لم يقل لكل واحدٍ منهما مجيد ، علمنا أن (المجيد) من جمع بينهما فكان منيعًا لا يرام ، وكان في منعته حسن الخصال جميل الفعال ، والباري ـ جلَّ ثناؤه ـ يُجل عن أن يرام وأن يوصل إليه ، وهو مع ذلك محسن مجمل لا يستطيع العبد أن يُحصي نعمته ، ولو استنفذ فيه مدته، فاستحق اسم المجيد وما هو أعلى منه اهـ [(1)].

٢ ـ إن الله سبحانه عطاؤه واسع ، وفضله سابغ ، قد شمل المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، مجد بذلك نفسه في قوله عز وجل ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: ٣٤] [(2)].

٣ ـ مجد الله تعالى نفسه في كتابه العزيز في آيات كثيرة بل القرآن مليء بتمجيد الله وتعظيمه ، وكذا حديث رسوله ﷺ ، وأعظم آيات القرآن وسوره هي التي احتوت على ذلك ، كآية الكرسي في البقرة ،

---

(١) « المنهاج » (١/١٩٧) ذكره في الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده ، وكذا البيهقي في « الأسماء » (ص٥٧).

(٢) راجع البحث في اسمه (الرزاق) وغيره.

وسورة الفاتحة والإخلاص .

ومن أعظم ما يعظم به العبد ربه ويمجده هو تلاوة كتابه ، في آناء الليل وأطراف النهار ، فإنه لا أحد يحصى الثناء عليه والتمجيد له ، هو كما أثنى على نفسه .

في الحديث القدسي « **قال الله تعالى : قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى عليّ عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجّدني عبدي...**»[1].

ثم ذكره وتسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله ، وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار والدعاء بخيري الدنيا والآخرة .

وهذه الحال هي حال أهل الذكر ، من لا يشقى بهم الجليس ، من الأنبياء والصديقين ، والشهداء والصالحين ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هَلمّوا إلى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قال تقول : يُسبِّحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، قال فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً ، وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحًا ... ، حتى قال تعالى : فأُشهدكم أني قد غفرت لهم ، قال يقول : مَلَكٌ من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم** »[2].

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/٢٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به.

(٢) رواه أحمد (٢/٢٥١ ـ ٢٥٢) والبخاري (١١/٢٠٨ ـ ٢٠٩) والترمذي (٥/٥٧٩ ـ ٥٨٠).

٤ ـ سمى الله تبارك وتعالى كتابه بـ (المجيد) في آيتين من كتابه :

في قوله تعالى : ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] . وقوله : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] .

قال قتادة : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ يقول : قرآن كريم [(١)]. فالقرآن مجيد أي شريف كريم عظيم ، ولا غرابة في ذلك فإنه كلام الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ومن مَجدِ القرآن وشرفه أنه لا يمكن للجن والإنس أن يأتوا بمثله ، بل بسورة منه ، قال تعالى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] .

وهذا يتجلى لنا في جوانب عديدة :

منها ، أنه لا يمكن للجن والإنس أن يأتوا بمثل ما فيه من التشريعات من أمر ونهي ، وحلال وحرام ، وما فيه من العبادات الدينية والمعاملات الدنيوية ، فهذا من أعظم إعجازه .

ومنها أن بلاغته وفصاحته ، وروعته وبهاءه ، وحسن تراكيبه وأسلوبه، وأخذه بالنفوس كله مما لا يضاهي .

ومنها كثرة فوائده التي لا تنقضي ، ولا يشبع منها العلماء على مر الدهور والعصور .

ومن شرفه ورفعته ، أن الله سبحانه حفظه وصانه من كيد الكفار والمنافقين ، ومن الحاقدين على هذا الدين ، حفظه من أن يبدلوه أو أن يحرفوه ، أو أن يزيدوا فيه أو ينقصوه ، قال سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/٨٩) بإسناد حسن.

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

ومن عظمة هذا الكتاب ومجده ، أن الله يرفع به من عمل به واتخذه دينًا ومنهاجًا ، ويخفض به ويذل من تركه وراء ظهره ، ورأى أن العمل به رجعية وتخلّف وجمود.

ففي صحيح مسلم عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عُمر بعُسْفَان ، وكان عمر يستعمله على مكة ، فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال : ابنَ أبزي ، قال : ومن ابنُ أبزى ؟ قال : مولىً من موالينا ، قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟ ! قال : إنه قارىءٌ لكتاب الله عز وجل ، وإنه عالمٌ بالفرائض ، قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال «**إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضعُ به آخرين**» [(١)].

فقد رفع الله تعالى هذا المولى لحفظه لكتابه وعلمه به مع انحطاط نسبه وشرفه على غيره من أهل مكة أهل الشرف والنسب.

وهكذا المجد والرفعة في الدرجات في الآخرة ، فإنما هي لمن أخذ بهذا الكتاب ، عمل به ، والذّل والمهانة والدركات لمن تركه وأعرض عنه.

* * *

(١) مسلم (١/ ٥٥٩) وابن ماجه (١/ ٧٨ ـ ٧٩).

الشَّهيد
جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه
(٥٧)

* **المعنى اللغوي :**

قال الزجاج : الشَّهيدُ الحاضر ، يقال شَهِدتُ الشيءَ ، وشهدت به ، وأصل قولهم شهِدت به من الشهادة التي هي الحضور .

واليوم المشهود يوم القيامة ؛ لأنه معلومٌ كونه لا محالة ، فكان معنى الشهيد : العالِم [١].

وقال الزجاجي : الشهيد في اللغة بمعنى الشاهد ، كما أن العليم بمعنى العالم ، والرحيم بمعنى الراحم ، والشاهد خلاف الغائب ، كقول العرب : فلان كان شاهدًا لهذا الأمر ، أي : لم يغب عنه.

والشهيد أيضًا في اللغة : الشاهد الذي يشهد بما عاين وحضر ، كما يقال : فلانٌ شاهد على فلان وشهيده ، كما قال عز وجل ﴿**وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١] ، أي شاهدًا [٢].

وقال ابن سيده : الشاهد العالم الذي يُبين ما عَلِمه [٣].

---

(١) « تفسير الأسماء » (ص٥٣) ، وفي النهاية (٢/٥١٣) : الشاهد الحاضر.

(٢) « اشتقاق الأسماء » (ص١٣٢).

(٣) « اللسان » (٤/٢٣٤٨).

* وروده في القرآن الكريم :

ورد هذا الاسم في القرآن ثماني عشرة مرة ، منها : قوله تعالى : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧] .

وقوله : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٩] .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧] .

وقوله : ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧] .

وقوله : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: ٦] .

وقوله : ﴿ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦] .

وقوله : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٦] .

* معنى الاسم في حق الله تعالى :

قال ابن جرير : ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ : وأنت تشهد على كل شيء ؛ لأنه لا يخفى عليك شيء [١].

وقال في : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: ٦] . والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به ، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها [٢].

---

(١) « جامع البيان » (٧/ ٩٠) وبنحوه في (١٧/ ٩٨).

(٢) المصدر السابق (٢٢/ ٧١).

وقال الزجاجي : فالله عز وجل لما كانت الأشياء لا تخفى عليه ، كان شهيدًا لها وشاهدًا لها ، أي عالمًا بها وبحقائقها ، علم المشاهدة لها؛ لأنها لا تخفى عليه خافية [1].

وقال الخطابي : هو الذي لا يغيب عنه شيء ، يقال : شاهد وشهيد، كعالم وعليم ، أي :كأنه الحاضر الشاهدُ الذي لا يعزب عنه شيء ، وقد قال سبحانه ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، أي من حضر منكم الشهر فليصمه.

ويكون الشهيد بمعنى : العليم ، كقوله : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [آل عمران: ١٨] ، قيل معناه : عَلِم الله ، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى[2] معناه : بينَّ الله أنه لا إله إلا هو .

وهو أيضًا الشاهد للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر ، على الظالم المتعدي الذي لا مانع له في الدنيا ، لينتصف له منه اهـ [3].

وفي المقصد : (الشهيد) يرجع معناه إلى (العليم) مع خصوص إضافة ، فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة ، والغيب عبارة عما بطن والشهادة عما ظهر ، وهو الذي يشاهد .

فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم .

وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير.

وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد.

وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم

---

(١) « اشتقاق الأسماء » (ص١٣٢).

(٢) هو المعروف بثعلب ، انظر : «تفسير ابن جرير» (٣/١٣٩) وغيره

(٣) « شأن الدعاء » (ص٧٥ ـ ٧٦).

وشاهد منهم .

والكلام في هذا الاسم يقرب من الكلام في (العليم والخبير) فلا نعيده [1] .

وقال ابن كثير : شهيدٌ على أفعالهم ، حفيظ لأقوالهم ، عليم بسرائرهم وما تُكنُّ ضمائرهم [2] .

وقال السعدي : (الشهيد) أي المطلع على جميع الأشياء ، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها ، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها ، صغيرها وكبيرها ، وأحاط علمه بكلِّ شيء ، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه [3] .

*** آثار الإِيمان بهذا الاسم :**

١ ـ إن الله عز شأنه هو عالم الغيب والشهادة ، لا يخفى عليه شيء وإن دقَّ وصغر ، فهو سبحانه شهيد على العباد وأفعالهم ، ليس بغائب عنهم ، كما قال سبحانه ﴿ **فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ⁽٦⁾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ** ﴾ [الاعراف: ٦، ٧] .

قال الأصبهاني : فينبغي لكلِّ عاملٍ أراد عملاً صَغُرَ العملُ أو كَبُر ، أنْ يقف وقفةً عند دخوله فيه، فيعلم أن الله شهيد عليه فيحاسب نفسه، فإن كان دخوله فيه لله: مضى فيه، وإلا ردَّ نفسه عن الدخول فيه وتَركه [4] .

---

(١) « المقصد الأسنى » (ص٧٩) ، ونحوه في «النهاية» (٢/ ٥١٣).

(٢) التفسير (٣/ ٢١٠) وهو بنحو قول الأصبهاني في «الحجة» (ق ٢٣أ) إذ يقول : الشهيد على العباد بأعمالهم وأحوالهم قال الله عز وجل: ﴿ **إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** ﴾ [يونس: ٦١] .

(٣) « تيسير الكريم » (٥/ ٣٠٣)

(٤) « الحجة » (ق٢٣ب).

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

فهو يقضي بين عباده بعلمه وسمعه وبصره الذي لم يفارقهم في الدنيا طرفة عين ، ولا يحتاج سبحانه إلى الشهود ؛ لأنه على كل شيء شهيد، كما جاء في جواب عيسى عليه الصلاة والسلام لربه يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] .

فإن عيسى عليه الصلاة والسلام يتبرأ يوم العرض من عبّاد الصَّليب ، الذين اتخذوه وأمه إلهين مع الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ، بقوله : سبحانك ! ما أمرتهم بهذا ، وما يكون لي أن أنطق به ، وإنما أمرتهم بعبادتك وحدك لا شريك لك ، وأنا إنما عاينت وشهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم فأما ما وقع بعد إذ رفعتنى فإنى لم أشهده ولم أعلمه ، وأنت قد علمته وشهدته وأنت على كل شيء شهيد، ولا يغيب عنك شيء [1].

---

(١) وقريب من هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاةً عراةً غُرلاً ثم قال : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده =

٢ ـ الله سبحانه وتعالى أعظم شيء شهادة ، كما قال سبحانه ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩] ، فإن شهادته سبحانه لا غلط فيها ولا ظلم تعالى عن ذلك.

قال ابن جرير : يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوتك من قومك ، أي شيء أعظم شهادةً وأكبر ، ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادةً ، الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في غيره من خلقه من السَّهو والخطأ والغلط والكذب.

ثم قل لهم : إن الذي هو أكبر الأشياء شهادةً ، شهيد بيني وبينكم بالمحق منَّا من المبطل ، والرشيد منا في فعله وقوله من السَّفيه ، وقد رضينا به حكَمًا بيننا اهـ (٢).

٣ ـ شهد الله سبحانه وتعالى لنفسه بأنه واحد أحد ، فرد صمد ، لا

= وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ إلى آخر الآية ، ثم قال : ألا و إن أولَ الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : ياربٌ أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . رواه البخاري (٨/ ٢٨٦) ومواضع اخر ومسلم (٤/ ٢١٩٤ ـ ٢١٩٥) . فإنه ﷺ يتبرأ ممن ارتد عن هذا الدين بعده وممن أحدث فيه ما ليس منه من المبتدعة ، ويكل أمرهم إلى (الشهيد) سبحانه ، فإنه بأحوالهم أعلم وبما كانوا عليه أشهد.

(٢) « جامع البيان » (٧/ ١٠٣).

شريك له ولا وزير ، ولا ند ولا نظير ، وشهد ملائكته وأولو العلم بذلك، كما في قوله جلّ شأنه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فتضمنت الآية أعظم شهادة من أعظم شهيد .

قال ابن القيم رحمه الله : تضمنت هذه الآية الكريمة : إثبات حقيقة التوحيد ، والرد على جميع هذه الطوائف ـ التي فصل عقائدها الباطلة قبل هذا ـ والشهادة ببطلان أقوالهم ، ومذاهبهم . وهذا إنما يتبيّن بعد فهم الآية ، ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية ، والحقائق الإيمانية .

فتضمنت هذه الآية : أجلّ شهادة وأعظمها ، وأعدلها وأصدقها من أجلِّ شاهد ، بأجلّ مشهود.

وعبارات السلف في (شهد) تدور على : الحكم والقضاء والإعلام والبيان والإخبار .

قال مجاهد : حكم وقضى . وقال الزجاج : بيّن . وقالت طائفة : أعلم وأخبر .

وهذه الأقوال كلها حق ، لا تنافي بينها . فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد ، وخبره وقوله ، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه. فلها أربع مراتب :

فأول مراتبها : علم ومعرفة ، واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها : تكلمه بذلك ونطقه به . وإن لم يُعلم به غيره ، بل يتكلم هو به مع نفسه ، ويذكرها وينطق بها ، أو يكتبها .

وثالثها : أن يُعلم غيره بما شهد به ، ويخبره به ،ويبينه له .

ورابعها : أن يلزمه بمضمونها ، ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية ، والقيام بالقسط : تضمنت هذه المراتب الأربع : علمُ الله سبحانه بذلك ، وتكلمه به ، وإعلامه ، وإخباره خلقه به ، وأمرهم وإلزامهم به.

أما مرتبة العلم : فإن الشهادة بالحق تتضمنها ضرورة ، وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به . قال الله تعالى : ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] .

وأما مرتبة التكلم والخبر : فمن تكلم بشيء وأخبر به فقد شهد به . وإن لم يتلفظ بالشهادة . قال تعالى : ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ [الانعام: ١٥٠] . وقال تعالى : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] ، فجعل ذلك منهم شهادة ، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ، ولم يؤدوها عند غيرهم.

وسمى الله تعالى إقرار العبد على نفسه شهادة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥] . فشهادة المرء على نفسه : هي إقرار المرء على نفسه . وفي الحديث الصحيح في قصة ماعز « فلما شهد على نفسه أربع مرات رجمه رسول الله ﷺ » وقال تعالى ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الانعام: ١٣٠]

وهذا وأضعافه يدل على أن الشاهد عند الحاكم وغيره لا يشترط في قبول شهادته أن يتلفظ بلفظ الشهادة ، كما هو مذهب مالك وأهل

المدينة، وظاهر كلام أحمد .

وأما مرتبة الإعلام والإخبار : فنوعان : إعلام بالقول ، وإعلام بالفعل . وهذا شأن كل معلِم لغيره بأمر : تارة يعلمه بقوله : وتارة بفعله. ولهذا كان من جعل داراً مسجداً وفتح بابها لكل من دخل إليها ، وأذن بالصلاة فيها ـ معلمًا أنها وقف ، وإن لم يتلفظ به . وكذلك من وُجد متقربًا إلى غيره بأنواع المسار ـ معلمًا له ولغيره : أنه يحبه ، وإن لم يتلفظ بقوله . وكذلك بالعكس.

وكذلك شهادة الرب جل جلاله وبيانه وإعلامه : يكون بقوله تارة ، وبفعله تارة أخرى .فالقول : هو ما أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه ،مما قد علم بالاضطرار : أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد لنفسه بأنه لا إله إلا هو . وأخبر بذلك . وأمر عباده أن يشهدوا به .

وشهادته سبحانه ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ معلومة من جهة كل من بلَّغ عنه كلامه .

وأما بيانه وإعلامه بفعله : فهو ما تضمنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل والفطرة.

وهذا أيضًا يستعمل فيه لفظ الشهادة ، كما يستعمل فيه لفظ الدلالة ، والإرشاد والبيان ، فإن الدليل يبيّن المدول عليه ويظهره ، كما يبينه الشاهد والمخبر بل قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ . وقد يسمى شاهد الحال نطقًا وقولاً له وكلامًا ، لقيامه مقامه ، وأدائه مؤداه . كما قيل :

وقالت العينان : سمعًا وطاعة   وَحدَّرتا بالدُّر لمَّا يُثَقَّب

وقال الآخر :

شكى إليَّ جملي طول السُّرى   صبرًا جُميلي ، فكلانا مبتلى

وقال الآخر :

امتلأ الحوض ، وقال : قَطْني مهلاً رويدًا ، قد ملأت بطني

ويسمى هذا شهادة أيضًا ، كما في قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] ، فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله ، فهي شهادة بكفرهم ، وهم شاهدون على أنفسهم بما شهدت بها عليهم.

والمقصود : أنه سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه.

فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعله ، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية ، فتطابقت شهادة القول وشهادة الفعل ، كما قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ، أي أن القرآن هو الحق . فأخبر أنه يدل بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية.

وهذه الشهادة الفعلية : قد ذكرها غير واحد من أئمة العربية والتفسير.

قال ابن كيسان : شهد الله بتدبيره العجيب ، وأموره المحكمة عند خلقه : أنه لا إله إلا هو .

وأما المرتبة الرابعة : وهي الأمر بذلك والإلزام به ، وإن كان مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه ، وتتضمنه. فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به ، وقضى وأمر ، وألزم عباده به كما قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقال تعالى :﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]. وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ،

وقال تعالى : ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] ، والقرآن كله شاهد بذلك .

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك : أنه إذا شهد ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ فقد أخبر ، وبيّن ، وأعلم وحكم وقضى : أن ما سواه ليس بإله ، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل ، وإثباتها أظلم الظلم . فلا يستحق العبادة سواه ، كما لا تصلح الإلهية لغيره ، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهًا ، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا . وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات ، كما إذا رأيت رجلاً يستفتي ، أو يستشهد ، أو يستطب من ليس أهلاً لذلك ، ويدع من هو أهل ، فتقول له : هذا ليس بمفت ، ولا شاهد ، ولا طبيب ، المفتي فلان ، والشاهد فلان ، والطبيب فلان . فإن هذا أمر منك ونهي.

وأيضًا فإن الآية دلّت أنه وحده هو المستحق للعبادة . فإذا أخبر أنه وحده المستحق للعبادة تضمن هذا الإخبار أمر العباد وإلزامهم بأداء ما يستحقه الرب تعالى عليهم ، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم . فإذا شهد سبحانه أنه لا إله إلا هو تضمنت شهادته الأمر والإلزام بتوحيده.

وأيضًا : فلفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبرية ، ويقال للجمل الخبرية : قضية وحكم ، وقد حكم فيها بكيت وكيت . قال تعالى : ﴿أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٤]، لكن هذا حكم لا إلزام معه ، والحكم والقضاء بأنه لا إله إلا هو :

متضمن للإلزام . والله سبحانه أعلم اهـ [1].

٤ ـ يجوز إطلاق هذا الاسم على الخلق

فقد سمي الله عز وجل الرسول ﷺ وأمته بذلك في آيات منها قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة: ١٤٣] . وقوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ [النساء: ٤١] وغيرهما .

وسماهم الله تعالى شهداء لأنهم يشهدون على الأمم يوم القيامة [2].

ومن قتل في سبيل الله يسمى بالشهيد [3].

---

(١) « التفسير القيم » (ص ١٧٤ ـ ١٧٩) مع اختصار.

(٢) اخرج البخاري (٨/١٧١ ـ ١٧٢) ، (٣١٦/١٣) والترمذي (٢٠٧/٥) عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك ياربِّ ، فيقول : هل بلَّغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلَّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمدٌ وامته ، فيشهدون أنه قد بلغ ، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ ،الوسط : العدل ».

(٣) ذكر الرازي في سبب تسميته بذلك وجوهًا :

الأول : أن ملائكة الرحمن يحضرون ، ويرفعون روحه إلى منازل القدس ، فيكون فعيلاً بمعنى مفعول .

الثاني : يسمى شهيداً مبالغة من الشاهد ، ومعناه أنه شاهد لطف الله ورحمته و ما أعد له من الدرجات.

الثالث : قال النضر بن شميل : الشهيد هو الحي ؛ لأن كل من كان حيًا كان شاهدًا ومشاهدًا للأحوال ، والشهيد حي بعد أن صار مقتولاً ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

الرابع : سمي شهيداً لأنه شهد الوقعة في المعركة.

الخامس : سمي شهيدًا لأنه من جملة من سيشهد يوم القيامة على الأمم الخالية قال =

وسمى الله تعالى الإنسان عمومًا بالشهيد ، من جهة أنه يشهد على نفسه ، ويعلم منها ما لا يعلمه غيره ، في قوله تعالى ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٦، ٧] [1].

* * *

= تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. «شرح الأسماء» (ص ٢٨٨).

ولا يخفى ما في القول الرابع من ضعف إذ ليس كل من شهد المعركة يسمى شهيدًا .

(١) وهذا على تفسير من فسر الشهيد هنا بأنه الإنسان ، وقيل هو الله سبحانه شهيد على بني آدم بما يعمل انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/١٦٢).